فلاديمير بيلياكوف

ناصر وخروتشوف

وثائق أرشيفية من تاريخ العلاقات السوفيتية - المصرية

ترجمة منى الدسوقى

الناشر



فلاديمير بيلياكوف

ناصر وخروتشوف

وثائق أرشيفية من تاريخ العلاقات السوفيتية – المصرية



ترجمة منى الدسوقى



الناشر



www.russiannewsar.com

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

د. حسين الشافعى

secertary_ert@yahoo.com

المراسلات

114 ش جوزيف تيتو - برج رقم (2) الدور الثالث - النزهة الجديدة - القاهرة - جمهورية مصر العربية.

Tel. & Fax: +(202) 219 271 57 & 58

الإخراج الفني/ أحمد عثمان

مراجعة لغوية / د. علي متولي أحمد

الطباعة

دار الطباعة المتميزة

مدينة العبور – القاهرة

Tel. & Fax: +(202) 4478 9644 & 46

الطبعة الأولى 2018

رقم الإيداع

2929 / 2018

بالتعاون مع

Совместно с





المؤسسة المصرية الروسية للثقافة والعلوم

Египетско-российским фондом культуры и наук

www.a-rfcs.org

فلاديمير بيلياكوف

ناصر وخروتشوف

وثائق أرشيفية من تاريخ العلاقات السوفيتية – المصرية

ترجمة منى الدسوقي

دار نشر



www.russiannewsar.com

جمع مادة علمية ، المقدمة ، الملاحظات والتعليقات للأستاذ الدكتور فلاديمير بلياكوف .

فريق المراجعة :

أ.إي ياكوفليف : أستاذ دكتور في التاريخ .

د.ف.ميكولسكي : أستاذ دكتور في التاريخ .

يتناول الكتاب طبيعة العلاقات المصرية – السوفيتية في الفترة من عام ١٩٥٨-١٩٦٤ وتطور تلك العلاقات من خلال الجهود التي بذلها الزعيم المصري جمال عبد الناصر والسوفيتي خروتشوف . يتضمن الكتاب مواد أرشيفية حول اللقاءات التي جرت بين الزعيمين المصري والسوفيتي في مصر ، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ، تبادل الرسائل بينهما ، مذكرات ناصر وخروتشوف إلى جانب مقتطفات من كتاب حول العلاقات المصرية – السوفيتية لمحمد حسين هيكل ، الصديق المقرب للراحل جمال عبد الناصر.

* مقدمة ، مادة علمية لفلاديمير بلياكوف ، ٢٠١٧ .

* معهد الاستشراق ، أكاديمية العلوم الروسية ، ٢٠١٧ .

مقدمـــــة

خروتشـوف و ناصر... كان من الصعب في أول لقاء يجمع بينهما في أبريل ١٩٥٨ في موسـكو أن تجـد زعيمـي دولتين على هـذا القدر مـن الاختلاف في الهيئة والمظهر: نيكيتا سيرجيفيتش خروتشوف، ذلك الزعيم المخضرم، قصير القامـة (١٨٩٤/٤/١٢ـ ١٩٧١/٩/١١) والرئيـس جمـال عبد الناصر، الشـاب الصغير السـن، طويل القامة (١٩١٨/١/١٥ـ ١٩٧١/٩/٢٨) . لقد كان لدى الزعيمين خبرة وحنكة سياسـية لا تُقارن. فقد قضى خروتشـوف سنوات طويلة من عمره في « سـلَّم» الجهاز الحكومي لكيان الاتحاد السـوفيتي . كذلك الحال بالنسبة لعبد الناصر، الذي كان يترأس ثورة ١٩٥٢ للقضاء على النظام الملكي بالبلاد ثـم أصبح رئيسًـا للبـلاد بعد أربع سـنوات . وعلـى الرغم من وجـود اختلافات أيدولوجيـه في وجهات النظـر فيما بينهما، إلا أن المصلحة العامة هي التي كان لها النصيب الأكبر, وكان الأهم هو انتزاع مصر من براثن تبعيتها لدول الغرب.

لم تشـهد العلاقـات الثنائيـة بـين الاتحـاد السـوفيتي والجمهوريـة المصرية تطوراً سـريعاً، فقد أشـار ن.س.خروتشـوف في مذكراته يقـول : « في البداية وبعـد حدوث الانقلاب ووصول العقيد ناصر إلى السـلطة، لم يكـن بمقدورنا تحديد الوجهة التي ستنتهجها القيادة الجديدة على الصعيد السياسـي الخارجي والداخلـي . ولكننـا توصلنا إلى أن مـا حدث هو احد الانقلابات العسـكرية التي اعتدنا عليها في أمريكا الجنوبية, ولم نتوقع أي جديد في سياسـة البلاد . وبالتالي لم يكن لدينا أي حل آخر سـوى الانتظار، لكي نرى التوجه الجديد لتلك الحكومة الجديدة».

حدث تغير في صيف ١٩٥٥، حيث وجَّهت القيادة المصرية الدعوة للوفد السوفيتي للمشاركة في الاحتفال بالذكرى الثالثة على ثورة يوليو١٩٥٢ . وكان الوفد برئاسة د.ت شيبيلوف، كان يتقلد عدة مناصب، حيث كان رئيساً لتحرير صحيفة (برافدا) ورئيساً للجنة العلاقات الدولية بالمجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي. وأثناء الاحتفال بميدان التحرير، ألقى ناصر كلمته وكان آنذاك رئيساَ للوزراء، وكان رئيس الوفد السوفيتي يكاد يبارك كل كلمة نطق بها ناصر في خطابه، حول زيادة الإصلاح الزراعي، تطوير الاقتصاد القومي، إعداد الكوادر المؤهلة، تحسين التعليم والصحة وتوفير مياه الشرب للقرى ......

وعقب الاحتفالية، طرح شيبيلوف اقتراحًا لإجراء لقاء شخصي مع الرئيس المصري[1]. وقدم شيبيلوف في موسكو تقريراً حول تفاصيل ذلك اللقاء الودي ولم يعلن تفاصيل ذلك التقرير. ولكن كان هناك حقيقة واحدة تدل على أمور كثيرة تتمثل في أن شيبيلوف قبيل مغادرته القاهرة، التقط الكثير من الصور الفوتوغرافية للعرض العسكري الذي كان يقوم به الجيش المصري آنذاك، المسلحون بالبنادق التي تعود للحرب العالمية الأولى وبعض وحدات من المدرعات القديمة»[2].

تناولت القيادة السوفيتية تقرير شيبيلوف بمزيد من الدراسة والبحث وفي أقل من شهرين، و بالتحديد في الثاني عشر من سبتمبر، تم إبرام اتفاق حول توريد أكبر صفقة أسلحة سوفيتية إلى مصر, وكانت البداية مع الطائرات والدبابات وذلك مقابل القطن والأرز. وتقرر بعد ذلك أن تتم الصفقة من خلال دولة تشيكوسلوفاكيا . وبعد نصف عام بدأ يصاحب الأسلحة ضباط سوفييت يحملون جوازات سفر تشيكوسلوفاكية. ولم تكن موسكو لها يد في ذلك، غير أن هذا قد أسهم في دفع العلاقات السوفيتية – المصرية دفعة قوية.

(١) خطأ : تم اختيار ناصر رئيسًا للبلاد في يونيه ١٩٥٦.

(٢) بريماكوف، يفجيني . الشرق الأوسط في المسرح وخلف الكواليس، موسكو ٢٠٠٦، صـ٥٧.

نشـرت صحيفة «برافدا» في عددها الصادر في الحادي عشـر من أغسـطس ١٩٥٥ خـبرًا مـن القاهـرة : «جـاء في البيـان الرسمي المعلـن هنا مـن الحكومة المصرية ما يفيد بأن الحكومة السوفيتية وجهت الدعوة لرئيس الوزراء المصري جمـال عبد الناصـر لزيـارة أراضي الاتحاد السـوفيتي في الوقت المناسـب له، وقد تلقى سـيادة رئيس الـوزراء تلك الدعوة، ويعتزم الذهاب إلى الاتحاد السـوفيتي في ربيع ١٩٥٦»[٣].

يبـدو وأن شـيبيلوف قد سـلَّم الدعـوة لعبد الناصر ولكن وقعـت بعد ذلك عدة أحداث كبرى : تأميم قناة السـويس، العدوان الثلاثي (الأنجلو- فرنسـي - إسـرائيلي) علـى مصـر ١٩٥٦، إعـلان الوحدة بـين مصر وسـوريا ... وجاءت زيـارة جمـال عبد الناصر باعتباره رئيسًـا لجمهورية مصـر العربية إلى الاتحاد السـوفيتي بعـد مرور ثلاث سـنوات من تلـك الدعوة، تمت الزيـارة في الفترة من ٢٩ أبريل إلى ١٦ مايو ١٩٥٨ , وكـانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقى فيها جمال مع ن.س.خروتشـوف . كتب خروتشـوف في مذكراته حول هـذا اللقاء يقول : «لقد ترك (يقصد ناصر- المؤلِّف) انطباعاً جيداً لديّ، فهو شاب، ذكـي، على درايـة بأمور عدة، دائماً ما تنير الابتسـامة وجهه . وأقـول في كلمة واحدة إنه أعجبني».

وبعـد مرور نصـف عام على زيـارة جمـال عبد الناصر للاتحاد السـوفيتي، قـرر خروتشـوف إجراء أول لقاء مـع صحفي مصري . في الثامن عشـر من نوفمبر ١٩٥٧ اسـتضاف القائـد السـوفيتي الصحفـي محمد حسـنين هيـكل، رئيس تحريـر أكـبر صحيفة مصريـة آنذاك وهي صحيفـة " الأهـرام". جاء هيكل إلى موسـكو برفقة عبد الحكيم عامر، نائب الرئيس المصري، الذي تم دعوته للمشـاركة في الاحتفـال بالذكرى الأربعـين على ثورة أكتوبر . اسـتطاع هيـكل، الصديـق المقرب للرئيـس المصـري، الذي تـرأس صحيفـة «الأهرام» حتـى عام ١٩٧٤، بتحقيق ما لم يلحق ناصر فعله بسـبب انتهاء حياته سـريعاً :

(٣) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الفدرالية، موضوع مصر، الحافظة رقم ٢٢، ملف رقم ٢٢، السطر الثاني .

حيث نجح هيكل في وضع كتاب حول تاريخ العلاقات المصرية - السوفيتية [٤]. وقد تم استخدام الكثير من المقتطفات من هذا الكتاب في كتاب حول مذكرات خروتشوف؛ مما ساعد في الحصول على صورة موضوعية إلى حد ما حول طبيعة العلاقات بين زعيمي الدولتين .

بيد أن هذه العلاقات لم تسر على ما يرام طول الوقت وذلك على الرغم من الاهتمام والحرص المتبادل للزعيمين للحفاظ على توازن تلك العلاقات. ففي الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٨، أثناء الخطاب الجماهيري الذي ألقاه عبدالناصر في عيد النصر بمدينة بورسعيد، كان قد هاجم الحزب الشيوعي السوري متهماً إياه بالعمل ضد الوحدة والقومية العربية . ووصف هذا الموقف بأنه رد فعل نابع من السياسة الصهيونية. ثم جاء رد خروتشوف في غضون شهر، حيث أعلن في الكلمة التي ألقاها في التاسع والعشرين من يناير ١٩٥٩ في الاجتماع الحادي والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي، أنه لا يصح اتهام الشيوعيين بأنهم يعملون ضد المصالح القومية للدول العربية . وأضاف يقول : « إنه من السذاجة تشبيه الشيوعيين بالصهاينة».

وعلى مدار عام ١٩٥٩ ظل الزعيمان السوفيتي والمصري يتبادلان الرسائل المطولة التي تبرر صحة موقف كل منهما و عمل لقاءات للدفاع عن موقفهم . لم يذهب خروتشوف إلى مصر أثناء الاحتفال ببداية إنشاء السد العالي في التاسع من يناير ١٩٦٠، وأثناء استقباله في إحدى السفارات أوضح يقول، كما جاء على لسان هيكل : «لقد نسينا خلافنا مع مصر، وكل ذلك كان مجرد سوء فهم ومضيعة للوقت»[٥] .

وبعد ذلك بدأت تنتظم العلاقات بشكل واضح، وخير دليل على ذلك يتمثل في ذلك اللقاء الذي جمع الزعيمين في نيويورك في سبتمبر ١٩٦٠ .

---

(٤) هيكل، محمدحسنين . أبو الهول و المفوض . " صعود وسقوط العدوى السوفيتية في العالم العربي .لندن، ١٩٧٨.

(5) **Heikal, Mohamed. Op. cit., p. 111**

وفي صيـف العـام التالي بدأت الحكومة المصرية في شـن هجـوم على الطبقة البرجوازيـة التي لم تكن ترغب في المسـاهمة بأموالها في مجـال الصناعة. الأمر الذي أدى إلى انهيار مصر وانسـحاب سـوريا منها في سبتمبر .وبدا أن خروتشوف كان على حق عندما لم يسـاند فكرة الوحدة بين مصر وسوريا .لأنهم أخذوا يقطعون سـوريا بالمشط المصري وليس ناصر. وقد أثر هذان الحدثان الكبيران على الرئيس ناصر وأسهما في تقريب وجهة نظره مع خروتشوف. ثم جاءت ذروة انتعاش العلاقات بين الزعيمين في إطار الزيارة التي أجراها الرئيس خروتشـوف إلى مصر في مايو ١٩٦٤ وذلك للاحتفال بمناسبة تحويل مجرى النيل. وكانت الزيارة طويلة لدرجة أن خروتشوف التقى أكثر من مرة مع الرئيس عبد الناصر وباقـي قيـادات الدولـة المصريـة. وسـرعان مـا تم إعـلان الكثير مـن الوثائق الرسميـة حول هـذه الزيـارة [٦] لدرجة أنه لا داعـي لإدماجهم في هـذا الكتاب. وهناك الكثير من المقتطفات حول تلك الزيارة التي أوردها هيكل في كتابه و خروتشوف في مذكراته.

ولم يـرد في الكتـاب أي صـدى للعلاقـات السـوفيتية - المصريـة الوثيقة والمتعـددة المجـالات حول تلـك المرحلة سـوى ما نُشـر إعلاميًّا من وثائـق ومواد. لم يهتـم أي أحـد بهذه المهمـة. غـير أن زعيمـي الدولتين نيكيتا خروتشـوف و جمال عبد الناصر قد بذلا الكثير من الجهود لتنمية تلك العلاقات، الأمر الذي يستحق أن يتم تكريس هذا العمل من أجلهم.

المؤلِّف : ف.ف. بلياكوف

---

(٦) أسـوان : رمز الصداقة السـوفيتية – العربية، زيارة ن.خروتشوف السـكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشـيوعي السوفيتي، رئيس مجلس وزراء الاتحاد السـوفيتي الى جمهورية مصر العربية . ٩-٢٥ مايو ١٩٦٤، موسكو ١٩٦٤ .

تمهيد

نحن نساند سياسة ناصر «من مذكرات ن. س. خروتشوف» [٧]

أريد هنا في بداية الحديث الكتابة عن مصر وعن طبيعة العلاقات مع الدولة المصرية والقيادة الجديدة، التي وصلت إلى مقاليد الحكم بعد الثورة، التي قام بها شباب ضباط الجيش المصري بزعامة ناصر وعامر.

سبق وأن ذكرت أن الملك فاروق، حاكم مصر، قد توجه بطلب إلى ستالين يطلب فيه الحصول على سلاح لمواجهة القوات الإنجليزية المحتلة مصر آنذاك. غير أن ستالين رفض هذا الطلب.ولا أعلم تحديداً ماذا كانت طبيعة هذا الرد، غير أن الأوساط المحيطة بستالين , التي كانت على صلة بهذا المطلب، قالت إن الرد جاء على هذا النحو : « هذا الطلب مرفوض، لأنه لا يجب علينا التدخل في هذا الشأن لأن مصر تدخل ضمن نطاق نفوذ بريطانيا ؛ ولهذا فلا داعي لذلك». ثم جاء بعد ذلك يوم عيد ميلاد الملكة، زوجة الملك فاروق، أو دعونا نقل أنها كانت حجة ما، ليقوم ستالين بإرسال هدية إلى ملكة مصر عبارة عن حرملة (إيشارب) من جلد السمور الثمين.

أقول ذلك لنعلم كيف كنا نتعامل مع مصر، وهذا لا يعني أننا لم نكن نرغب في تقديم المساعدة، بل على النقيض من ذلك، فقد كنا نريد أن ينجح الشعب المصري في التخلص من براثن الاستعمار في أسرع وقت ممكن، وهذا من صالح الشعب المصري والسوفيتي والبشرية جمعاء. ولكن يبدو أن ستالين

(٧) الأرشيف الروسي الحكومي للتاريخ المعاصر، مخزن رقم ٥٢، ن. س. خروتشوف، قائمة رقم ٢، موضوع رقم ٨، الأسطر: من ١-٥، نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة.

قد شعر في هذا الوقت، الذي توجه فيه فاروق بطلب السلاح منه، أنه لم يكن بالقوة الكافية التي تؤهله لمساعدة مصر بالسلاح، وأعتقد أن الملك كان يرغب في الحصول على هذا السلاح بصورة سرية، ولكن كيف يتم توريد سلاح بشكل سرى إلى دولة تنتشر فيها القوات الإنجليزية، غير أن هذا السر لن يصير سراً الآن على الطرف الذي كان محجوباً عنه .

بعد الانقلاب الأول، أرى من وجهة نظري، أن ناصر و عامر لم يشغلا مناصب قيادية، وترأس الحكومة آنذاك قائد عسكري ولكني لا أتذكر اسمه [٨]، وكان يشايع التيار التقدمي، من وجهة نظرنا. فقد كان يساند فكرة طرد الإنجليز من مصر، ولكن من أجل الحفاظ على دعائم الطبقة الرأسمالية في البلاد، التي نشأت وترعرعت في مصر. ولا أتذكر هنا مدة تلك الفترة الزمنية، غير أن العسكرية المصرية قامت بإسقاط رئيس الحكومة [٩].

لم نستطع تحديد الاتجاه الذي تسير عليه السياسة الخارجية والداخلية للقيادة الجديدة بعد حدوث الانقلاب ووصول العقيد عبدالناصر إلى الحكم . كنا نميل إلى تقدير ما حدث أنه أحد الانقلابات العسكرية، التي اعتدنا عليها في أمريكا الجنوبية ولم نتوقع أي جديد من ذلك الانقلاب. ولم يكن أمامنا أي مخرج آخر سوى الانتظار لرؤية الاتجاه الذي ستنتهجه القيادة الجديدة.

لا أتذكر تحديداً متى تقدم المصريون بعد وقوع الانقلاب بطلب الحصول على السلاح لدينا، وهذا يعني أنهم فكروا جدياً في اتخاذ الإجراءات اللازمة لطرد الإنجليز من مصر، الأمر الذي يتطلب وجود جيش قوي يملك السلاح. وقد قررنا من جانبنا تقديم المساعدة لهم . ولا أتذكر على أي أساس تم تقديم تلك المساعدة ولكنى أعتقد أن تكون على أساس التجارة وليس بكامل التكلفة وإنما بسعر اقتصادي . ولا أعلم حجم السلاح الذي قمنا ببيعه

(٨) محمد نجيب .

(٩) صدر قرار في ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ حول تجريد اللواء محمد نجيب من كافة المناصب التي يتولاها, ووضعه تحت الإقامة الجبرية.

للمصريين، ولكنه لن يخرج عن كونه سلاح مشاه و مدفعية ولا أعتقد أن يكون بينهم سلاح الطيران [10].

لقد انتهج المصريون سياسة تحمل العزة والكرامة وساروا يتحركون بشكل نشط ضد الإنجليز وطالبوا بخروجهم من الأراضي المصرية، أدرك الإنجليز أنه لم يعد أمامهم أي مخرج آخر سوى استيعاب كيفية التعامل مع المطالب القومية للمصريين وقد وافقوا على سحب قواتهم من البلاد وتم إخراج القوات، ولكني لا أتذكر متى خرجت القوات الإنجليزية بعد وصول العقيد ناصر إلى السلطة[11]، وهذا جعلنا متأكدين من ضرورة الاهتمام بتحقيق مطالب هذه الحكومة، خاصة وأنها حكومة غير عادية وصلت إلى الحكم عقب وقوع الانقلاب العسكري، بل هي حكومة تقوم بالفعل بتنفيذ المطالب الوطنية لشعبها، وهي حكومة تستحق الدعم والاهتمام إذا ما حافظت على مصالح شعبها ودافعت عنها في مواجهة الاستعمار.

لقد كان من الصعب تحديد السياسة التي تنتهجها الحكومة الجديدة للمصريين . ترى ما هي الأهداف الاجتماعية – السياسية التي تسعى لتحقيقها هذه الحكومة؟ وما الركيزة التي تستند عليها الحكومة لتطوير ودعم بلادها؟ خاصة وأنه لم يتم المساس برأس المال والبنوك، فقد كان انقلاباً وطنياً. ونرى أن تلك الحكومة التي وصلت إلى السلطة هي حكومة برجوازية، وكان من مصلحتنا مساندة ودعم تلك الحكومة لأنها تهدف لمقاومة النفوذ الاستعماري لإنجلترا مما يعني إضعاف نفوذ إنجلترا في منطقة الشرق الأوسط وهذا يصب في صالح الاتحاد السوفيتي. لأن إنجلترا كانت تعتمد على الشرق الأوسط منتهجة سياسة معادية للاتحاد السوفيتي؛ ولهذا كنا نساند سياسة عبد الناصر.وفي عهد الرئيس اليوغسلافي تيتو، كانت هناك علاقات جيدة مع مصر. فعندما ذهب تيتو إلى الهند على متن باخرة، كان قد

---

(١٠) تم توريد سلاح الطيران عبر أراضي يوغسلافيا في نهاية عام ١٩٥٥

(١١) انسحبت القوات الإنجليزية بالكامل من مصر في الثالث عشر من يونيه ١٩٥٦ .

مر عبر قناة السويس وزار العديد من الدول من بينها إندونيسيا، الهند ومصر. وكانت الصحافة اليوغسلافية قد كتبت الكثير عن السياسة المصرية آنذاك وقيادتها الجديدة التي تُعد قيادة تقدمية وتستحق الرعاية والدعم.

لم تكن قد نشأت لدينا علاقات جيدة مع يوغسلافيا ولكنها تحسنت بعد اللقاء مع تيتو وتبادل الآراء حول القضايا الدولية وتطرقنا للحديث عن الشأن المصري. وتحدث الرفيق تيتو بشكل جيد عن سياسة ناصر وقلتُ آنذاك: « من الصعب فهم ما الذي يريد أن يقوله في حديثه، هل يريد تكوين طبقة تقدمية ؟ ولكن كيف ذلك ؟ فهو لم يمس لا الطبقة البورجوازية ولا الرأسمالية ولهذا فمن الصعب علينا تقييم الأهداف التي يرغب تحقيقها من وراء تلك السياسة «. أكد الرفيق تيتو على أن ناصر ما زال شابًا صغير السن، يفتقر إلى الحنكة السياسية، غير أنه يحمل نوايا طيبة، ولم يجد الركائز الضرورية لكي يقف عليها . ولكن يجب الوقوف إلى جانبه وتقديم الدعم اللازم له لأنه يريد مستقبلاً جيداً لشعبه .ويمكن الاتفاق معه وممارسة الضغط عليه لصالح التيار الشيوعي. وأريد أن أوضح هنا إنني أقصد من ذلك الضغط الذي سيمارس على ناصر، إنه ضغط لا يهدف لتحقيق مصالح استغلالية لصالح من يؤثر عليه. فهنا سنجد امتزاجًا في المصالح : بين مصالح هؤلاء الذين يريدون فرض نفوذهم وسلطتهم، ومصالح الشعب الذي يراد به التأثير على قيادته. هنا المصالح متبادلة، فهي ليست مؤامرة لطرف ضد آخر، بل هي رغبة طرف ما في مشاركة خبراته وتقديم المساعدة والدعم للطرف الآخر لكي يعود عليه بالنفع.

ولكننا نتعامل بمستوى من الحيطة والحذر مع ناصر، لقد ساندناه بالفعل ووفرنا له كمية كافية من السلاح. قدمنا له سلاحاً بحريًا ممثلاً في زوارق الطوربيد وأعتقد أننا بعنا له شيئًا ما من سلاح الطيران لا يهم هنا ذكر ذلك التوقيت الذي قمنا فيه بذلك، ولكن يكفي أننا بعنا له كل أنواع الأسلحة في نهاية الأمر: أسلحة مشاة، مدفعية، دبابات، هذا بالإضافة إلى زوارق الطوربيد وبعنا له الكمية التي كان يحتاجها ناصر.

أرى من وجهة نظري أن ناصر بدأ يتحدث في خطبه الكلامية عن بناء الاشتراكية وذلك بعد تأثره بالرفيق تيتو.ولكنه أوضح مفهوم الاشتراكية التي تحدث عنها بشكل لا نفهمه نحن، لدرجة جعلتنا نعتقد أنه هو نفسه لا يدرك ما يقول أو أنه يقصد ما يقول بالفعل . لأن كلمة « الاشتراكية « في الظروف الحالية أصبحت مصطلحًا معاصراً يتواكب مع الموضة . حتى إن هتلر أدخل لفظ الاشتراكية في حزبه، ولكن العالم كله يعلم ما هي طبيعة تلك الاشتراكية ؛ ولهذا فإننا نتعامل بحذر مع هؤلاء الذين يتسلحون بلفظ «الاشتراكية» دون أن يوضحوا مفهومهم لتلك الكلمة، وكيف يفكرون في الاستفادة منها وما الأهداف التي يسعون لتحقيقها من ورائها .

لقد كان لدينا علاقات طيبة مع سوريا وحكومتها قبل هذا الوقت . حيث كنا نساند الحزب الشيوعي السوري، الذي كان واحدًا من أقوى الأحزاب في دول العالم العربي . كان ومازال يترأسه الزعيم المحنك خالد بكداش . فقد شهدت سوريا في ذلك الوقت حركة قوية ذات طابع ديمقراطي وكان هناك ضغط يُمارس على الحكومة بهدف انتزاع التنازلات الاشتراكية – السياسية لصالح شعب سوريا. وكانت الطبقة البورجوازية وأصحاب الأملاك في حالة فزع ورعب شديد، حيث رأوا بأعينهم حجم تلك القوة التي يجمعها الحزب الشيوعي ومدى تأثيره على الرأي العام في البلاد ؛ ولهذا فقد ظلوا يبحثون عن أي وسيلة للتخلص من النفوذ الشيوعي وسعوا نحو إبقاء الدولة على دعائم وركائز الرأسمالية .

وفجأة ظهرت فكرة الوحدة بين مصر وسوريا . وبدأت حملة إعلامية كبيرة في الصحف للترويج لهذه الفكرة . وكان هناك بالفعل قوى كبيرة في مصر وسوريا تساند تلك الفكرة، التي لم يكن بها أي توجه تقدمي . أولاً لأن سوريا كانت دولة بورجوازية – ديمقراطية ذات برلمان ولديها حزب شيوعي وأحزاب أخرى . والنظام البرلماني المعمول به في سوريا هو نظام على الطراز الفرنسي. وبالتالي فقد كانت سوريا هي الأكثر ملاءمة للقوى التقدمية عنها في مصر

. حيث لم يكن هناك أي ديمقراطية في مصر، لم يكن هناك سوى مجموعة من الجنرالات يترأسهم عبد الناصر، وبالنسبة للأحزاب فقد كانت بورجوازية. ولهذا فإننا لم نساند فكرة الوحدة بين البلدين لتتحول إلى الجمهورية العربية المتحدة . من الواضح أن عبد الناصر كان يحاول استنساخ نموذج الاتحاد السوفيتي، أي الوحدة على أسس متساوية، بحيث يكون بمقدور كل الدول العربية الانضمام إلى ذلك الاتحاد وإقامة الدولة العربية العظمي . وبالطبع فقد كان ناصر يقصد أن تكون مصر هي القوة الرائدة في هذا الاتحاد.

نحن لا نعترض على هذا النموذج من الاتحاد والاندماج بهدف توحيد القوى العربية، وهذا سيحدث في وقت ما وسيكون بمثابة ظاهرة تقدمية . ولكننا نعترض على مثل هذا الاتحاد في الوقت الذي كان فيه الحزب الشيوعي في مصر بمثابة جماعة أو خلية سرية، وكان الشيوعيون داخل السجون والمعتقلات، ولم يتمتع الشعب بأي من حقوقه الديمقراطية ؛ ولهذا فقد كان من الطبيعي أنه عندما تتحد مثل هذه الدولة مع سوريا، فلن تعود عليها بأي تقدم . ومن هنا يجيء سبب عدم مساندتنا لهذه الوحدة . ولا أتذكر هنا شكل التصريحات المعلنة لدينا في هذا الشأن وأقصد هنا تلك الصحفية، لأن القادة لم يعترضوا على سياسة عبد الناصر حيث لم يكونوا يرغبون في دفعه بعيدًا عنهم.

أول لقـــاء لخروتشوف مع صحيفة مصريـــة:

حوار مع م. ح. هيكل –رئيس تحرير «صحيفة الأهرام» [١٢]

ن. س. خروتشوف: لقد اطلعت على الأسئلة التي كتبتها لي .

السؤال الأول: الـذي طرحتـه يتمثل في طبيعـة الأهداف الـتي يعتزم الاتحاد السوفيتي تحقيقها في المجال السياسي، وعلاقته بدول منطقتي الشرق الأوسط والشرق الأدنى.

إذا ما تحدثت بشـكل عـام، فدعني أقول إن سياسـتنا إزاء هاتين المنطقتين هي سياسـة لا تختلف عن السياسـة العامة التي نمارسها لدعم وتوطيد علاقات الصداقـة مـع كافة الـدول لتعزيـز التعايش السـلمي والاسـتقلال في البناء السياسي والاجتماعي لأي دولة وضمان تحقيق السلام في العالم أجمع. ولكن نظراً لأن منطقتي الشرق الأوسط والأدنى يحملان طابعاً خاصاً وأهمية كبيرة ولأن شعوب تلك المناطق عانوا كثيرًا من نير الاستعمار الأجنبي، وهناك بعض الدول وبعض من تلك الشعوب قد تحرروا من قيود هذا الاستعمار والبعض الآخر لم ينل اسـتقلاله حتى الآن، وبالنسبة لهؤلاء الذين حصلوا على الاستقلال فهم لم يحصلوا على اسـتقلال حقيقي وإنما هو اسـتقلال سياسـي فقط . وبعض الدول التي نالت اسـتقلالها فقد اسـتقلت شـكليًا فقط، وفي حقيقة الأمر فإن حكومات تلك الدول التي لا تعكس دائمًا إرادة ورغبات شعوبها العربية، إنما

(١٢) من الأرشـيف الروسـي الحكومي للتاريخ المعاصر، حافظة رقم ٥٢، خروتشوف، ن. س. قائمة رقم ١، موضوع رقم ٦٠٨، السـطور من ١٤٢ – ١٥٨، نسـخة مطبوعة على الآلـة الكاتبة. يوجد في أعلى الوثيقة ملحوظة مكتوبة يدويًا تعود لتاريخ قبل ١٨ يونيه ١٩٥٧ .

يمارسون سياستهم فحسب، أي أن تلك الحكومات تنتهج سياسة لصالح الدول التي كانت مستعمرة لهم ولشعوبهم .

ولهذا فإننا نولي اهتمامًا كبيرًا إزاء تلك المناطق وشعوبها وينبع هذا الاهتمام الخاص من أنه هذه الشعوب تطالب بمزيد من العلاقة المتيقظة لأجل بناء علاقة متبادلة مع تلك الدول بهدف تخفيف حجم استقلالهم من خلال تلك العلاقات المتبادلة. وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا لكي تستقل تلك الدول العربية ليس فقط على الصعيد السياسي، بل والاقتصادي والثقافي ولابد من دعم حكومات تلك الدول كي تتطور وتنهض كحكومات مستقلة وقائمة بذاتها وقادرة على استيعاب اقتصادها وثقافتها في ظل تلك الظروف التي تحثنا على بذل كل الجهود لأجل دعم علاقاتنا بتلك الحكومات والإبقاء على سياسة لينين القوية في التعايش السلمي وعدم التدخل .

م.ح.هيكل : هل هذه هي الإجابة على السؤال الأول؟

ن.س.خروتشوف : أعتقد أنني أجبت كذلك على سؤالك الثاني لأنه مرتبط بالسؤال الأول.وإذا ما كان لديك أية أسئلة في حاجة لمزيد من الإيضاحات، فإنني على استعداد للإجابة عليها عن طيب خاطر.

م.ح.هيكل: أرجو إذا سمحت لي أن أطرح علي سيادتكم الأسئلة الإضافية في نهاية الحوار. والآن يمكننا الانتقال إلى السؤال الثالث .

ن.س.خروتشوف : إذن أنت ترى أنه الإجابة على السؤالين الأول والثاني هي إجابة وافية .

م.ح.هيكل: السؤال الثالث .ما هي الأسباب الحقيقية من وجهة نظرك التي تقف وراء حالة التوتر التي يشهدها إقليم الشرق الأدنى ؟

ن.س.خروتشوف : نرى أن أسباب ذلك التوتر تعود إلى أن قوى الاستعمار قد رضخت أمام نضال وكفاح الشعوب التي كانت تحت وطأة ذلك الاستعمار. ولكنهم لم يرضخوا وأرادوا التظاهر بالفوز وخاصة الإمبريالية الإنجليزية، حتى إن البعض منهم أعلن أنهم سيقضون على مطالب الشعوب المحتلة. غير أن تلك الدعوات محسوبة على هؤلاء من لا علاقة لهم بالسياسة، وإنما اضطروا لفعل ذلك لأنهم أصبحوا غير قادرين على إخضاع تلك الشعوب تحت إمارتهم وإذلالهم أمام قيود وأشكال الاستعمار القديمة.ولهذا فقد رأوا أنه من مصلحتهم الحيلولة دون وصول الوضع إلى حد الأزمة في حالة طردهم من البلاد على أيدى الانتفاضة المسلحة . ومن المعروف أن الإنجليز من المستعمرين المحنكين ولديهم خبرة جيدة في هذا الشأن ولذلك فقد أرادوا النزول على رغبات الشعوب، ولكنهم في الواقع ينظرون بعين الاعتبار إلى الوضع الراهن في تلك الدول المستعمرة، ويعتزمون الانسحاب منها مع الاحتفاظ بنفوذهم بشكل غير مباشر بحيث لا يقوم حاكم منهم بإدارة شئون شعوب تلك الدول، بل يقوم المحتل والمستعمر الإنجليزي بترشيح شخص ما من بين هذا الشعب على أن يكون على صلة وولاء بالنظام الإمبريالي الإنجليزي وكأن الشعب هو الذي يحكم بنفسه ولديه حكومته، غير أن هذه وسيلة لخداع الأفراد المعنيين بالحياة السياسية وهكذا تقوم الحكومة بتنفيذ سياسة المستعمرين وهذا سيكون أفضل حالاً من منح الشعب الاستقلال . وبذلك يكون المستعمر قد نجح سياسياً، حقق مطالب الشعب ولكنه في الواقع جعل هذا الشعب خاضعًا وتابعاً له وقام باستغلال كل مقدرات الشعب وثرواته لصالح الاستعمار. وهكذا تحصل الشعوب على استقلالها، يظهرون إرادتهم ويريدون الحفاظ على ما وصلوا إليه من إنجاز. وهذا يأتي في صراع مع مصالح المستعمر ومن هنا تبدأ حلقة النضال والكفاح. فالشعوب التي تحررت من براثن الاستعمار تقوم بانتخاب حكومات من المفترض وأن تعكس إرادة ورغبة شعوبها. يقوم المستعمر من جانبه بالتصدي لمواجهة هذه الحكومات لأجل إسقاطها وفرض حكوماتهم الموالية لهم . وهذا هو ما أثار صراع المستعمر الإنجليزي والفرنسي

ضد مصر وسوريا وبعض دول الشرق العربي . غير أن حكومتي مصر وسوريا كانا الأكثر مقاومة . وتجيء تلك المقاومة من حرصهم على خدمة شعبهم وعدم السماح للمحتل بالتدخل في شئونهم ولهذا يقوم المحتل بتغيير كافة وسائله في الصراع من خلال عقد المؤامرات، إرسال أفراد مخربين، عملاء بهدف تنفيذ عمليات اغتيال سرية بطرق مختلفة قد تصل إلى حد التسمم، التصفية الجسدية، نشر الأكاذيب والشائعات المغرضة .

من المعروف أن رجال مخابرات الدول الاستعمارية لديهم ترسانة غنية بكل وسائل المقاومة ضد الأفراد والحكومات النزيهة التي تراعي مصالح شعوبها . ولا ننسى أن تلك المناطق غنية بالثروات الطبيعية إلى جانب موقعها الجغرافي المتميز وهو ما تصفه القوى الإمبريالية بالمواقع الإستراتيجية الحيوية . بالنسبة لمصر فلديها قناة السويس التي تعد حلقة وصل، وهي الدولة التي تشرف على الطرق الاقتصادية والسياسية لدول أوروبا لتربطهم مع قارتي آسيا وإفريقيا والدول الأخرى؛ ولهذا نرى أن قوى الاستعمار تريد أن تبقى هذه المناطق بدون أي سيطرة، يكون لديهم حكومات تنفذ سياسة تتوافق مع مصالح الدول الاستعمارية القديمة التي كانت تفرض هيمنتها على مصر، سوريا وباقي الدول العربية .

ولكن هناك صراع يدور الآن وقد تدخلت فيه الولايات المتحدة الأمريكية، التي لا تريد فيه وأن تلعب دور المشاهد فقط، ولهذا عندما اندلع العدوان الثلاثي على مصر من جانب إنجلترا، فرنسا وإسرائيل، أعلنت أمريكا إدانتها لهذا العدوان، ولكن في الواقع إذا ما كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أدانت هذا العدوان بالفعل، وهي التي تفرض هيمنتها ونفوذها على إنجلترا، فرنسا وإسرائيل، الذين يعيشون على الصدقات والتبرعات، لالتزموا الهدوء والسكينة . واعتقدوا أنه عندما يتم طرح تلك القضية في أروقة منظمة الأمم المتحدة، يكونون قد انتهوا من لعبتهم القذرة وإنشاء حكومة إنجليزية عميلة مؤلفة من العرب .

نتيجة لتحرك الدول المحبة للسلام والاتحاد السوفيتي والاقتراحات التي قدمها الاتحاد السوفيتي للولايات المتحدة الأمريكية التي تدور حول أنه إذا ما كانت الأخيرة تتفق بالفعل على الإدانة الحقيقية لهذا العدوان، فإننا نقترح تقديم عمل عسكري مشترك ضد هؤلاء المعتدين [١٣]، وعلمنا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقبل بهذا الاقتراح، ولكننا أردنا في الوقت نفسه أن نوضح ونكشف للجميع أن هذه سياسة غير صادقة والهدف منها هو تضليل العالم العربي وأن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تؤوي سياسة هذه الدول.وما حدث كان مجرد عملية لتوزيع المهام والأدوار، حيث يقوم أحدهم بشن عدوان مسلح مباشر والآخر يقف عند دور الإقناع دون اتخاذ أية إجراءات فعلية لوقف هذا العدوان . ولكن تم القضاء علي هذا العدوان الغاشم، نتيجة لمثابرة العالم العربي وعلى رأسه الحكومة المصرية والشعب المصري والشعوب العربية التي وقفت بجانبهم . ونرى أن دور الاتحاد السوفيتي هنا كان مهماً للغاية و نحن نشعر بالرضاء عنه . والآن بعد أن تم تصفية المستعمر الفرنسي والإنجليزي الذين واصلوا ممارسة سياستهم، تشكل وضعًا غير مستقر و عندئذ قررت الولايات المتحدة الأمريكية تقديم المساعدة، ولكنها أشبه بتلك المساعدة عندما يتم تقديم الحبل للشخص المعلق في الهواء، وأعلنوا ما يُطلق عليه اسم مذهب دالاس – إيزنهاور[١٤]، وأعلنوا أنهم لا يستطيعون تحمل ذلك

---

(١٣) قامت الحكومة السوفيتية في الخامس من نوفمبر ١٩٥٦ بإرسال خطاب إلى قادة الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا وإسرائيل تقترح فيها على أمريكا الاستخدام المشترك لقواتهم المسلحة للتصدي للعدوان الثلاثي على مصر وذلك وفقا لقرار منظمة الأمم المتحدة . انظر: . ا.س.برانابابوف، كتاب الاتحاد السوفيتي ، أزمة السويس ١٩٥٦ ، موسكو، ١٩٦٩، ص ٢٠٤.

(١٤) مذهب إيزنهاور هو برنامج في السياسة الخارجية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية في منطقتي الشرق الأوسط والأدنى، تم تطبيقه بعد إفشال العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ والضعف الواضح لوضع الدول الاستعمارية في تلك المناطق. تم تفعيل البرنامج في ظل التحرك النشط لوزيرالخارجية الأمريكي جورج.ف.دالاس وتم تقديم البرنامج لأول مرة في خطاب الرئيس الأمريكي إيزنهاور في ١٥ يناير ١٩٥٧ ثم دخل حيز التنفيذ القانوني في مارس ١٩٥٧ . يهدف البرنامج لدعم موقف الولايات المتحدة الأمريكية في دول الشرق الأوسط والأدنى والتصدي الممنهج لقوى حركة التحرر الوطنية. حصل الرئيس الأمريكي بموجب هذا البرنامج على «حق» تقديم « المساعدة « العسكرية والاقتصادية لدول تلك المناطق واستخدام القوات المسلحة الأمريكية في تلك المناطق حسب رغبتها .

الفـراغ . ولكــن كـيف يمكــن الحديث عن وجــود فراغ في منطقتي الشــرق الأوسـط والأدنــى في الوقت الـذي نجد فيه أن تلـك المناطق مـن أكثر المناطق المأهولـة بالسـكان وبهـا جحافل مـن البشـر، حيث ترقـد هنا أقـدم الحضارات الإنسـانية, وبالتالي فإن المسـألة ليسـت في الفراغ . ولكن مفهوم ذلك الفراغ أنهم لا يعترفون بهذا الشـعب ولا بحقوقه لأن هذا الشـعب كان تحت الحماية والوصاية . فالمسـألة مسألة شـكل. وما القالب الذي يحوي هذا الشكل؟ إنهم ينتهجون سياسـة أكثر حداثة فهم يقومون بعمــل قذر.يريدون مواصلة تلك السياسـة ولكنها ليست في صالح المسـتعمر الإنجليزي أو الفرنسي، يريدون جـني ثمارها لصـالح المحتكرين لديهم . فهـم يضعون احتياطـي النفط نصب أعينهم وعندما يفقدون رباطة جأشـهم، فسرعان ما يلجئون إلى الطرق القذرة لأجل الاستحواذ علـى كل هذه الثروات التي تصبح مصدراً لثراء المحتكرين في الولايات المتحدة الأمريكيـة . وعندما بدءوا يتحركون ويستعرضون نفوذهم معلنـين مذهب دالاس – إيزنهاور، بدأت الدول العربيـة في المقاومة وأبدت مصر وسوريا الإصرار في المقاومة مرة أخرى مع الاحتفاظ بالكرامة الوطنية وعندها أرادوا إسقاط الحكومة

وعندمـا فشـلوا في ذلـك، بدءوا الحديـث عن حـركات التمـرد للبحث عن الخائنـين داخل البلاد . وبعد فشـلهم أيضًا ، أرادوا تنظيـم هجوم على كل من الأردن والعـراق ولكنهـم لم يفلحوا فيه. وسـبب فشـلهم هنـا لا يعود إلى عدم رغبـة حكومتي الأردن والعراق في تنفيذ هـذا العمل القذر، بل يعود إلى عدم ثقة هذه الحكومات في جيوشها . وأعلنوا أنهم إذا ما قدموا الجيش، فإنه سرعان ما سـينضم إلى مصر وسوريا . وهذا أمر مستحيل . فالأمريكان يعلمون جيدًا ما الذي تريده إسـرائيل. فقد كانت إسـرائيل تريد تنفيذ مهمة الجندرمة هذه ولكنهم كانوا يخشون من أن يؤدي هجوم إسرائيل إلى إثارة مشاعر الغضب والاحتجاجـات ؛ ولذلك كانوا يأمرون إسـرائيل بالبقاء صامتـة .وقرروا آنذاك اسـتخدام تركيا، دولة مسـلمة يمكنها تنفيذ الهجوم . ولكنكم تعلمون أن حكومـات الدول العربية قد أبدت تذمرهـا . ولا نريد هنا إغفال الحديث عن

دورنـا . فقد بذلنا أقصى جهودنـا معلنين التحذيرات المناسـبة، محذرين من أنه إذا ما قامت قوى الاسـتعمار بإشـعال فتيل الحرب في منطقتي الشـرق الأوسـط والأدنـى، فلن نصبح في وضع المشـاهد للأحداث ؛ لأنه عندما يتم إشـعال نيران الحـرب، فمن الممكن أن تضطـرم نيرانها لأبعد من ذلك . نحن لا نهدف لتحقيق أهـداف اقتصادية ولا سياسـية مغرضـة، غير أن مصالح الأمن والسـلام تتطلب منا متابعة تحركات القوى الاسـتعمارية والحيلولة دون منحهم فرصة إشعال نيران الحرب للحفاظ على العالم . ومن ثم فقد قمنا بتحذير الحكومة التركية والأمريكيـة وتوجهنـا إلى منظمـة الأمم المتحـدة والأحزاب الاشـتراكية في كل الدول الأعضاء بحلف الناتو، ونرى أنه بفضل دعم ومساندة القوى المحبة للسـلام فقـد تمت بنجـاح إنهـاءً أول مرحلة لإحبـاط ذلك العـدوان الذي كان مخططا ضد سـوريا . ولكن لابد من إظهـار اليقظة واتخاذ الحيطة والحذر لأن العـدو لم يتراجع طالمـا أن النفط أصبح في أيدي الشـعب، فهو قـوة جاذبة مثل المغناطيس، فهو مصدر جذب المحتكرين المتعطشـين في الدول الاستعمارية . وسيبحثون عن طرق جديدة للحصول على هذه الثروة الدفينة وبالتالي لابد من القضاء على أية طرق يسلكونها في هذا المضمار.

سنظل من جانبنا أوفياء لسياستنا ومبادئ التعايش السلمي وتقديم الدعم والمساعدة لتلك الدول التي تحررت من براثن وقيود الاستعمار .

وقـد كان كل مـا سـبق بمثابـة الأسـباب الـتي تقـف وراء حالـة التوتـر والاعتبـارات التي رأيتها من الضروري الحديـث عنها وكيف تطورت وما الطرق التي يجب اتباعها لأجل القضاء على مثل هذه الظواهر.

م.ح.هيكل : أريد هنا الإشارة إلى ملحوظة ما، فهناك سؤال يتبادر إلى أذهان البعض حول ذلك الفرق في الاقتراحات التي قدمها الاتحاد السوفيتي أثناء العدوان علـى مصر وسـوريا. فقد أعلن الاتحاد السـوفيتي عن إنذاره في غضون أسـبوع بعد بداية شن العمليات العسكرية على مصر. أما فيما يتعلق بسوريا، فقد جاء الإنذار قبل وقت طويل من الهجوم عليها ..... بم تفسر هذا الفرق؟

ن. س. خروتشوف : إذا ما نظرت إلى الخطوات التي اتخذناها للحيلولة دون وقوع هذا الهجوم على مصر، لأدركت أننا قمنا بالتحذير ليس بعد الهجوم ولكن قبل شنه بوقت طويل . فهناك خطابات مشهورة ومعروفة للجميع، قمنا بتحذير السفراء أيدن و السيد جي مولي في تلك الخطابات من أنه في حالة وقوع عدوان فإنه سيتم إحباطه . وقد أعربنا عن وجهة نظرنا بعبارات واضحة وصريحة. عندما كنا في ضيافة بولجانين تلبية لدعوة السيد أيدن في إنجلترا [15] ومن خلال محادثاتنا مع السيد أيدن والسيد ليود وغيرهم، أعربنا عن رأينا محاولين إبراز حجم الدمار والخراب الذي سيخلفه هذا العدوان الذي تعتزم بريطانيا شنه . غير أن حكومة كل من إنجلترا، فرنسا وإسرائيل كانوا يجتمعون على رغبة واحدة تتمثل في سرعة التخلص من الحكومة المصرية غير الموالية لهم وضمان إنشاء حكومة أخرى تتسم بالطاعة والولاء لإنجلترا وفرنسا ولكنهم لم يفلحوا في ذلك ولم يأخذوا اقتراحاتنا في الاعتبار وشنوا العدوان ولم يجنوا منه إلا الطيش، فهم لم يضروا مصر فقط، بل ضروا أنفسهم لأن فشل هذا العدوان أوضح فشل سياسة وعظمة بريطانيا التي كانت تنعم بها. و نحن من جانبنا قمنا بواجبنا كدولة عظمى للحيلولة دون وقوع الحرب، وإذا ما وقعت فقد كان علينا إيقافها . وتم ذلك بنجاح و نحن نفخر به ونعتقد أن شعوب إنجلترا وفرنسا ينتقدون حكامهم المعتدين على ذلك العدوان .

كان ذلك فيما يتعلق بتاريخ الأحداث التي اندلعت في العام الماضي بمصر ضد الدولة المصرية، والآن يأتي الحديث عن إنذارنا السابق لأوانه لسوريا . بعد النظر بعين الاعتبار إلى تجربة العام الماضي التي تفيد بأن قوى الاستعمار لا تنصت أحيانًا إلى النصائح الجيدة، فقد اتخذنا تلك الإجراءات والتصريحات التي ليس لها سوى تفسير واحد لموقفنا في حال اندلاع حرب في منطقتي الشرق الأوسط والأدنى, و نحن سعداء لتصرف الحكومة التركية بشكل صحيح ومسئول تجاه تصريحاتنا ولكن لا نخفي كذلك أنه لم تكن الحكومة التركية وحدها هي من اتسمت بالتعقل في هذه المسألة، بل فقد كانت

(١٥) جرت تلك الجولة في أبريل ١٩٥٦ أي قبل أزمة قناة السويس .

هنـــاك خطوات جيدة مــن جانب الولايـــات المتحدة الأمريــكيــة . فــإذا ما كـانت الولايات المتحدة الأمريـكيــة تســتعجل تركيا في المرحلة الأولى لكـي تواجه ســوريا بأقصى قــدر ممكـن والتنكـيل بها في الوقت الــذي اندلعت فيه الحرب علــى مصر، فقــد رأت الأوســاط الرسميــة الأمريـكيــة آنذاك أنه مــن الصعب التغلــب على الشــعوب العربية من خــلال نزهة عســكرية خفيفة ضد مصر وســوريا، مما يبشر بمزيد من الضرر وإمكـانية شن عملية واحدة (كـما ورد في النــص - المؤلف) وهــو ما يــروج له المســتعمر الأمريــكـي، فهــم يــعلنون أنهم لا يســتبعدون إمكـانية انــدلاع حروب صغيرة لأجل ترويع وتهديد الشــعوب المســالمة التي خرجت من تحت عباءة الولايات المتحدة الأمريـكـيــة . فإذا ما كــانوا يـدفعون بتركـيا نحو الحرب، فهم الآن يـنصحون بعدم القيام بذلك .

أعتقد أن هذا قد أثر على الأوساط التركية التي فاقت من غفوتها، وأدركت أن هــؤلاء الأصدقاء الأجانــب، الذين يـدفعون بهم نحو الحــرب و يحرضونهم ضد جيرانهــم و يحاولون تأجيج العداء ضد تركـيا (كـما جاء في النص - المؤلف)، ليسوا دائمًا هم من يـقود مصالح العالم، بل علـى النقيض من ذلك، فهم يـتربحون من تلك « الحرب الباردة « عن طريق إثارة المخاوف .

هنـــاك نتيجة أخرى تتمثل في أن الولايات المتحدة الأمريــكـيــة ليســت دائمًا بتلــك القوة الباطشـــة، فهناك قوى أخرى معادية لهـا وأمريـكـا غير قادرة على مواجهة هذه القوى ؛ ولهذا فإن معالجة القضايا الشائكـة لا يـنبغي وأن يـكـون من خلال تأجيج المخاوف وإشــعال فتيل « الحرب الباردة «، بل يـكـون من خلال الاتفاق على الاعتراف بالمصالح المتبادلة .

نحن ســعداء بانتهاء شــبح الاســتعمار بدون حرب، بالرغم من عدم وجود أية ضمانـــات لإمكـانية اندلاعها في أي وقت، لكـن من الضروري الالتزام بالتعقل وضبــط النفس. و نحن على يـقين من أنه إذا ما تم تعبئة وتجنيد قوى الشــعوب المحبة للسلام بما فيه الشعوب العربية، سيتم إحباط أي عدوان لقوى الاستعمار سواء كـان الآن أو في المستقبل .

م. ح. هيـكل : عندمـا تحدثتُ عن إجراءاتكم قبيل شـن الهجوم على مصر، هناك احتمال أن يكونوا قد شـنوا الهجوم لأنهم لا يعلمون أن لديكم قذائف صاروخية ؟

ن. س. خروتشـوف : سـبق وأن تحدثنـا معهم في هـذا الشـأن عندما كنا في إنجلـترا، وأعلمناهـم أن لدينـا مثل هذه الصواريـخ . نظرًا لأنهـم يريدون الآن تهدئة شـعوبهم بأن لدينا هذه الصواريخ، دعنا نجري إذن تجارب ميدانية لنرى مـن يملك صواريخ باليسـتية ومـن لا يملكهـا، لأن هذا قد أوضـح بالفعل أن أمريكا وفرنسـا لا يمتلكون مثل هذه الصواريـخ الموجودة فقط لدى الاتحاد السوفيتي .

م. ح. هيـكل: احتمـال أن تكـون مثل هـذه التجارب المشـتركة في غاية الأهميـة . ويبـدو أن هذا القمـر الصناعي[١٦] يُعـد دليلاً علـى امتلاك الاتحاد السوفيتي (غير موجود بالنص) ميدان لتجارب الأسلحة.

ن. س. خروتشوف : لا يبدو كذلك، لأن مثل هذه التجارب لا تُرى كثيراً مثلما يقـول الروس، فلابد من لمسـها، فمن المسـتحيل رؤية مثل هـذا القمر الصناعي لأنه يحلق بعيداً ولكن بمقدورنا أن نعطيهم الفرصة لرؤيته.

أريـد الحديـث هنـا كذلك عن اسـتقلال تركيـا، لأنها إحـدى دول الجوار بالنسـبة لنا ونريد أن نعيش في سـلام وصداقة معها. ونأمل من جانبنا أن تقوم تركيـا بتأسـيس علاقاتها مع كافـة دول الجوار على أسـاس مبـدأ الصداقة والسلام . ولكننا نأسف على عدم وجود مبدأ الصداقة في علاقاتنا معها، فهي تقـول إنهـا لا تريد محاربتنا، وهذا أمر بديهي، نظـراً لاختلاف توازن القوى فيما بيننـا . ولا نريـد أن تعتمـد تركيا على هـذا المبدأ في علاقاتها مـع باقي دول الجـوار. فـإذا ما كنا نعتبر أنفسـنا دولة عظمى في تعاملنا مـع تركيا، فهذا

(١٦) تم إطلاق أول قمر صناعي سوفيتي من كوكب الأرض في ٤ أكتوبر ١٩٥٧، أي قبيل حوار هيكل مع خروتشوف .

لكي تقوم تركيا هي الأخرى بانتهاج هذا المبدأ في علاقاتها المتبادلة مع دول الجوار، التي تعد دولاً صغيرة أمام تركيا وأن تحترم استقلالهم وعدم التدخل في شئونهم . و نحن نلتزم بمبدأ واحد سواء كان في علاقاتنا مع تركيا او مع باقي الدول الأخرى، يتمثل هذا المبدأ في عدم الهجوم، التصدي للحرب، عدم التدخل، بناء العلاقات وتطويرها على كافة الأصعدة : الثقافية، التجارية، وإقامة علاقات صداقة مع كافة الدول . هذا فيما يتعلق بالإجابة على السؤال الثالث والآن ننتقل إلى السؤال الرابع .

م. ح. هيكل: بالفعل هذه إجابة وافية وشاملة للسؤال الثالث، أما السؤال الرابع فهو يتعلق بمنطقتي الشرق الأوسط والأدنى الذي ازدادت أهميتهم الآن عن ذي قبل .

ن. س. خروتشوف : تُرى ما الذي يمكنني قوله للإجابة على هذا السؤال . فإن مجمل تصريحاتي والتصريحات الحكومية السابقة كانت تدور حول رؤيتنا لأهمية وضرورة الوصول إلى تصفية « الحرب الباردة « وضمان التعايش السلمي والتنافس في ذلك بين كل الدول باستخدام كافة الإمكانيات بصرف النظر عن الأنظمة السياسية التي تحكم تلك الدول . كل ذلك لأجل توضيح أفضل النظم للمعيشة والتي تلبي متطلبات وأمنيات الشعوب سواء كانت مطالب مادية او معنوية, وهذا هو مبدأ التعايش السلمي، الذي ليس له وجود حتى الآن في الأوساط الحكومية للدول الاستعمارية وبالرغم من ذلك فالحياة تمضي وتسير و» الحرب الباردة « مستمرة. فهي تمثل عبئًا على كاهل الشعوب التي تأمل في حياة هادئة لا يكتنفها القلق الدائم . فلا أحد يأمل أن ينهض من سباته على صوت انفجار أوان يجد نفسه مصابًا أو مكلومًا من ذلك الانفجار. لابد من الاتفاق مع الدول لكي نبرهن لهم أن هذه السياسة هي سياسة رعناء طائشة عندما تُنتهج من موضع القوة ولابد من توضيح تلك المصطلحات مثل «على أعتاب الحرب» التي تستخدمها القوى الإمبريالية الكبرى . من الضروري عمل لقاءات واتفاقات لأجل تهدئة الأجواء ليس فقط بالكلام، بل بالأفعال .

و نحن من جانبنا بذلنا قصارى جهدنا وسبق وإن أبرمنا اتفاق سلام مع النمسا وقمنا بسحب قواتنا من هناك، كما تخلينا عن قاعدتنا العسكرية في فنلندا، وقمنا بتقليص عدد قواتنا المسلحة إلى مليون وثمانمائة ألف جندي، تخلينا كذلك عن القاعدة العسكرية في الصين وسحبنا قواتنا من هناك . وقعنا على اتفاق لإنهاء حالة الحرب مع اليابان وألمانيا، وأبرمنا اتفاق آخر وتغلبنا على الخلاف الذي كان ناشباً مع يوغسلافيا وتغلبنا على كافة الإشكالات التي كانت سببًا وراء تفاقم العلاقات فيما بيننا .

تقدمنا كذلك باقتراحات حول نزع السلاح، حظر استخدام الأسلحة الذرية والهيدروجينية، وحظر إجراء مثل تلك التجارب .

لن أعدد كل تلك الجهود التي بذلناها والخطوات التي اتخذناها، فهي كثيرة للغاية ولكنها جميعًا تنطلق من مبدأ واحد وهو ضمان التعايش السلمي، تجنب الحروب، استبعاد اتخاذ أي قرار يؤدي إلى إشعال نيران الحرب لمعالجة أي مشكلة شائكة .

لا أعلم ما مدى واقعية هذا اللقاء، غير أن الواضح من خلال تصريحات تلك الحكومات أنها تتعامل بشكل سلبي إزاء هذا اللقاء وتعلن عن ضرورة قيامنا بتقديم الأدلة والبراهين . ولكننا قمنا بالفعل بتقديم تلك الأدلة، ولكنهم يريدون أن نقدم تنازلات سياسية . والمقصود هنا بمصطلح تنازلات سياسية أي أن نتخلى عن نظام الحكم لدينا لصالح الأنظمة الاستعمارية . ولكنك لا ترى هيمنة ونفوذ تلك الأنظمة الإمبريالية التي تقف على موضع «الحرب الباردة»، تمامًا مثل الشخص الذي لا يستطيع رؤية أذنيه إلا من خلال المرآة . لابد من الانطلاق من واقع السياسة الحقيقية والاعتراف بالوضع الراهن وإيجاد عالمين : العالم الاشتراكي والآخر الرأسمالي في محاولة للتغلب على كافة الأسباب والعراقيل التي تنشئ علاقات غير سوية . ومازالت الفرصة متاحة لأجل القضاء على «الحرب الباردة» والانتقال إلى وضع التعايش السلمي وتطوير علاقات الصداقة بين الدول على أساس المبادئ الخمسة الخاصة بعدم التدخل،

التي وضعتها الصين والهند وتم الاعتراف بهم في مؤتمر باندونج [١٧].

والسؤال الآن هو كيف انعكس ذلك على منطقتي الشرق الأوسط والأدنى؟ نحن لم نفرق مطلقًا بين الشرق الأوسط، والشرق الأدنى، الشمال والجنوب والغرب. فكل تلك المناطق بصرف النظر عن مسمياتها تريد تحقيق السلام والهدوء. وأرى أن ما تروج له القوى الإمبريالية بشأن أننا نريد الاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية لأجل تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ نتقاسم السيطرة عليها فيما بيننا، فهذا يعد هراء من اختراع وابتكار قوى الاستعمار التي ترى نفسها ملاكاً للعبيد، ويفكرون دائمًا في أنهم طالما أقوياء، فيجب عليهم امتلاك كل شيء والعيش على حساب الآخرين.

إن دولتنا لا تسمح بالتواطؤ مع دول أخرى، سواء كانت قوية أو ضعيفة لأجل إضرار دولة ثالثة أو التواطؤ مع دول قوية على حساب دول نامية. فنحن نصر في كافة مفاوضاتنا على مبادئ عدم التدخل والمساعدة في تعزيز استقلال الدول، تطوير اقتصادها لأجل تحسين مستوى المعيشة والمستوى الثقافي لديهم.

م.ح.هيكل: أشكر سعادتكم على ذلك. ولكن لدى سؤال آخر، إذا ما شعرت بعدم الرغبة في الإجابة عليه، فأعتبر أنه لم يُطرح من الأساس. أثناء حديثك مع المشير عامر قلت إن السياسة السوفيتية في علاقاتها مع مصر تعتمد على مبادئ محددة ولا ترتبط بأسماء أفراد، ولكن في بعض الأوقات كانت تلك السياسة مقترنة باسم شبيلوف....

ن.س.خروتشوف : نعم هذا صحيح.

---

(١٧) تم اتخاذ المبادئ الخمسة للتعايش السلمي في إطار الاتفاق المبرم بين الهند والصين لتسوية النزاع حول منطقة التبت في عام ١٩٥٤، وتدور هذه المبادئ حول : الاحترام المتبادل لوحدة وسيادة الأراضي الإقليمية، وعدم الاعتداء، وعدم التدخل في الشئون الداخلية، والمساواة وحق الانتفاع المتبادل، والتعايش السلمي . وقد تم إدراج هذه المبادئ مع المبادئ العشرة للتعايش السلمي في الوثيقة الختامية للمؤتمر الذي شارك فيه ٢٩ دولة من قارتي آسيا وإفريقيا، وانعقد في باندونج بإندونيسيا في الفترة من ١٨-٢٤ أبريل ١٩٥٥ .

م.ح.هيكل: هذا يروق لي كثيراً.يبدو وأنني قد تجاوزت الوقت المسموح به، أريد أن أشكر سعادتكم على كرم أخلاقكم ورحابة صدركم. ولي رجاء لديكم، أن يُحجز لي مقعد لمشاهدة إطلاق أول صاروخ إلى القمر. فالكثير من المصريين ينتظرون تلك اللحظة.

ن. س. خروتشوف : دعنا لا نتعجل الأمور، ولنتأكد أولاً من تهيئة الظروف على الأرض وسيتم إعداد النواحي الفنية بشكل أفضل ..

م. ح. هيكل: خالص الشكر لسعادتكم.

حوار مع ن. س. خروتشوف[18]

لقـد طلبتُ إجـراء لقاء مع السـيد خروتشـوف، ولكنهم أبلغونـي بالموافقة في اليـوم الأخير لي بموسـكو . طلبوا منى تحضير الأسـئلة، ولكني اقترحت خمسة موضوعات للنقاش بدلاً من الأسئلة لأنني أردت أن يكون حواراً مفتوحاً قـدر الإمكان. قادونـي إلى مبنى اللجنة المركزيـة، كان هناك عقيد يقف إلى جانـب المصعد يحمل المفتـاح، ذلك المصعد يقود إلى مكتب السـكرتير الأول وهو المكتب الذي كان يشـغله لينين لوقت ما . جلس خروتشـوف على مقعـده، أو بالأحرى على مقعد لينـين، وكان يتحدث بعزة وفخر وهي عادته دائماً. يوجد على المكتب العلم السـوفيتي ونموذج للطائرة النفاثة « تو- ١٥٤» التي كانوا قد انتهوا للتـو من تصنيعها [19]. وهناك مائدة منفصلة يوجد عليها شـوكولاته ومياه. وكان معنا في الغرفة مترجم لغة إنجليزية والسكرتير. ظل خروتشـوف يتفحص الورق المطبوع جيداً ونظر تجاهي وسـألني : «أسئلتك ليست محددة».

قلـتُ له: «أعلـم ذلك، إنها مجرد موضوعات للمناقشـة «ثم أشـرت إلى الورق الذي يمسـكه بيده، وقلتُ له: «هل كل هذه الأوراق خاصة بأسئلتي ؟».أجاب خروتشـوف : «لا أنهـا بيانات عنك» . اندهشـتُ قائلاً: «ومـا المكتوب عني فيها إذن؟».

خروتشـوف: «جـاء فيها أنك صديـق لناصر، وصديق ناصـر يعني أن يكون صديقـي أنا شخصياً».

---

(18) **Heikal, Mohamed. Sphinx and Commissar,P. 83-85.**

(١٩) من المرجح أن يكون المؤلِّف قد أخطأ وأن نموذج تلك الطائرة يعود لطائرة " تو-١٠٤".

أجبتُ قائلاً: «حسنا جداً، غير أن هذه المعلومات لا تتعدى ثلاثة أسطر، فماذا يوجد أيضًا في هذه الأوراق ؟». قال خروتشوف : «جاء فيها أنك لا تحب الشيوعيين» . اعترضتُ قائلاً: «هذا ليس صحيحاً سيادة الرئيس، فاختلافي مع الشيوعيين في أحد المواقف لا يعني أنني أكرههم، فأنا لدى أصدقاء كثيرون شيوعيون».

عاد خروتشوف إلى اتهامه مرة ثانية وسألني : « لماذا لا تحب الشيوعيين إذن ؟»

سألته : «هل يمكنني الحديث بصراحة ؟» ، وسمح لي بالحديث عن واقعة ستيبانوفسكي[٢٠] . « لا أستطيع أن أفهم دولة تقوم بتقييد أحلام مواطنيها». أجاب خروتشوف : «أنت لا تفهمنا جيداً، فقد أتيت وتجولت بعينك فقط، ولكنك نسيت أننا فقدنا عشرين مليون من مواطنينا في الحرب، نسيت أن منازلنا قد دُمرت. هؤلاء هم مواطنونا وجيشنا وليست المعونة الأمريكية هي من قادت الحرب وانتصرت فيها . لقد كنا مضطرين لوضع أولويات في كل أمورنا، وإذا ما أردت ان تحكم بشكل حاسم على دولتنا، عليك إذن أن تنظر إلى كل ما قمنا به بعد الحرب».

ملحوظة : قبل إجراء اللقاء طلبت السماح لي بالتدخين، وقد أتوا لي بسيجار أدخنه الآن .

سأل خروتشوف فجأة : «هل أنت رأسمالي ؟ فلماذا تدخن السيجار إذن ؟» -أجبته قائلاً: « لأنني أحب السيجار «. سرعان ما أخذ خروتشوف السيجار من يدي وأطفأه في الطفاية وعندما بدأت أعترض، قال خروتشوف : «إن تدخين السيجار من عادات الرأسماليين، وأنت لست رأسمالياً، فأنت صديق عبدالناصر . أحسنت، فلنكمل حوارنا».

(٢٠) ستيبانوفسكي هو أحد موظفي وزارة الخارجية الروسية، كان يرافق هيكل وسأله هيكل ذات مرة : " هل تحلم أن يكون لديك منزل خاص وسيارة ؟"، اجاب ستيبانوفسكي : " لا أحلم بذلك، لان مستوى دخلي قليل جدا ولا يسمح لي بامتلاك سيارة, ولكني اعتزم شراء موتوسيكلاً لأنه يتناسب مع مستواي" (Heikal ,Mohamed.Op.cit,p.81) .

في المرة التالية عندما كنتُ أجري حواراً مع خروتشوف في عام ١٩٥٨، لم آخذ السيجار معي. سألني خروتشوف : «أين السيجار، لأنني أعتزم إطفاءه مرة ثانية». ولكن في عام ١٩٦٣ عندما قدمت إلى موسكو مرة أخرى، أهداني خروتشوف علبة سيجار فاخر من أجود الأنواع، قلتُ له : «سيادة الرئيس إنني مندهش، ألا تذكر ماذا فعلت مع السيجار الخاص بي في المرة الماضية؟، لماذا تغيرت ؟».

أجاب خروتشوف : « إنني لم أتغير، وأن ما تغير هو نوع السيجار، فمنذ اندلاع الثورة في كوبا، وقد تحولوا إلى تدخين سيجار ماركس – لينين «.

تم نشر مضمون لقائي الأول مع خروتشوف في صحيفة « الأهرام « ولهذا السبب فقد تعرضتُ لنقد أعمي في صحيفة « برافدا»، ولم يكن النقد حول اللقاء، وإنما بسبب كلماتي التي تفوهت بها، حيث إنني وصفت خروتشوف بأنه « القيصر الأحمر».وإنني أتفق على أن هذا الوصف لم يكن في محله وكان يفتقر إلى اللباقة، ولكنه كان كافياً لكي ينصب فوق رأسي غضب السوفييت .

الفصل الأول

لقـــــاء شخصـــــي

زيارة رسمية للرئيس جمال عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتي في ربيع ١٩٥٨[٢١]



تسجيل حديث القيادة السوفيتية مع قيادة الجمهورية العربية المتحدة [٢٢]، ٣٠ أبريل ١٩٥٨، سري.

تم استقبال الرئيس المصري جمال عبد الناصر والوفد المرافق له في موسكو في الثلاثين من أبريل وذلك بناء على تكليف من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي لممثلي الحكومة السوفيتية ممثلة في :ن.س.خروتشوف، ك.إ.فاروشيلوف، أ.إ.ميكويان، أ.محي الدينوف، أ. أ. جروميكو [٢٣].

---

(٢١) قام ج.ت.زايتسيف بتسجيل هذا الحديث، من كتاب : الصراع الشرق أوسطي (١٩٥٧–١٩٦٧) وثائق، موسكو، ٢٠٠٣، ص ص١٩٠– ١٩٧ .جرت تلك الزيارة في الفترة من ٢٩ أبريل –١٦ مايو ١٩٥٨.

(٢٢) كان يُطلق اسم الجمهورية العربية المتحدة على مصر وسوريا حيث تم إعلان الوحدة بينهم في ١١فبراير ١٩٥٨.

(٢٣) لم يُذكر أسماء باقي أعضاء الوفد .



والآن تُجرى مراسم بروتوكول المباحثات :

ن. س. خروتشوف يرحب بعبدالناصر والوفد المرافق له قائلاً: «إنه من حق الضيوف دائماً الإعراب عن آرائهم و نحن على استعداد للاستماع إليكم» .

قام عبدالناصر بالإعراب عن خالص الشكر باسم الوفد المرافق له على كرم الضيافة وحسن الاستقبال, وقال إنه سعيد جدًا للالتقاء مع قيادات الحكومة السوفيتية . وأضاف أنه على الرغم من إرهاق الوفد بالأمس، إلا أنهم تبادلوا الآراء حول الموضوعات التي تطرقوا إليها أثناء الزيارات وعلى استعداد لمواصلة المباحثات. في حين أشار ن.س.خروتشوف إلى أن الوفد لم يبدُ مرهقاً للغاية لأنه استطاع تبادل الآراء .

أوضح ناصر أنه على الرغم من التعب والإرهاق الذي حل بأعضاء الوفد من الطريق، إلا أنهم رأوا أنه من الضروري أن يتم تبادل الآراء حول الموضوعات التي سيتم التطرق إليها أثناء المباحثات. وعند تبادل الآراء انقسم أعضاء الوفد إلى فريقين كما جاء على لسان عبدالناصر. حيث قال عبدالناصر موجهاً حديثه لخروتشوف : «انقسم الوفد إلى فريقين . أدرك الفريق الأول من سياق حديثك أننا نسير في طريق التعاون مع الاتحاد السوفيتي بهدف مساومة الأمريكان على تقديم المساعدة . والفريق الثاني أدرك مقصد حديثك بشأن التعاون

مع الاتحاد السوفيتي بهدف عدم تحقيق اية أغراض طامعة والرغبة في تطوير الصداقة الحقيقة بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة . ولهذا نريد استيضاح تلك النقطة من وجهة نظرك حتى لا يكون هناك أي التباس في هذا السياق .

يقول ن.س.خروتشوف إن الفريق الذي ذهب إلى رغبتنا المخلصة في تطوير الصداقة بين البلدين هو فريق على حق في استنتاجه، أما الفريق الآخر فليس على حق ولابد من إدانته فيما توصل إليه . يشير ن.س.خروتشوف، ولولا أنكم مسلمون لكنا حكمنا على ذلك الفريق الذي فسر حديثنا عن الصداقة بشكل غير صحيح، لكنا حكمنا عليه حسب التقليد الجورجي . ذلك التقليد المعمول به في أرمينيا وجورجيا , ويتمثل في أن كل من يخالف قواعد المنضدة، يتعرض للعقاب ويتم سكب الخمر عليه من خلال بوق كبير وعليه أن يشرب كل هذا الخمر!

يواصل خروتشوف حديثه، لقد تحدثت بالأمس عن أن الاتحاد السوفيتي يقدم المساعدة المادية للدول النامية دون أن يكون هناك أية شروط سياسية،عسكرية أو غيرها من شأنها أن تمتهن سيادة ووحدة أراضي تلك الدول وذلك في الوقت الذي لا يستطيع فيه المستعمر الإنجليزي، الفرنسي أو الأمريكي مجرد التفكير بأن تلك المساعدة من الممكن تقديمها بدون أية شروط . فهم يقيسون كل شيء على أنفسهم، ويعتقدون انه عندما يقوم الاتحاد السوفيتي بتأسيس علاقات صداقة مع الدول النامية فذلك يكون بهدف تحقيق أغراض طامعة من وراء تلك الصداقة . فهم لا يعرفون سوى قانون الاستعمار الذئبي . نحن بالطبع لسنا ضد أي شيء يعود على العرب من جانب الولايات المتحدة الأمريكية . ولكنكم تستطيعون التمييز بين الصداقة الحقيقية وتلك المفروضة بشكل ما. وإذا ما كانوا سيعطونكم أي شيء مفيد بالنسبة لكم، فعليكم أن تقبلوه حتى وإن كان بنسبة ضئيلة مقارنة بما حصلوا عليه طوال فترة احتلالهم لأراضيكم . إن الاتحاد السوفيتي

يحرص على إقامة علاقات صداقة مع العرب دون النظر إلى العائد الذي سيعود عليه من تلك العلاقة خاصة وأن لديه كل ما يلزمه. ربما نكون في حاجة للقهوة والموالح، ولكننا نستطيع الاستغناء عنهم : يمكن استبدال القهوة بالشاي والموالح بالتفاح .

يقول ناصر : ليس لدينا قهوة .

يشير ن.س.خروتشوف إلى وجود نوعية جيدة من بن القهوة في اليمن .

يقول ناصر : مصر لديها برتقال ولكن بكميات ليست كبيرة .

يواصل ن.س.خروتشوف حديثه، إذا ما نظرنا إلى دول أخرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية، سنجد أنهم يحصلون على النفط من الدول العربية ؛ وبالنسبة لإنجلترا وفرنسا فهم يأخذون النفط والقطن .وأثناء مباحثاتنا في لندن[٢٤]، قال لنا إيدن انه إذا لم تعط الدول العربية النفط لإنجلترا، فإنها ستحاربهم .

وقلتُ له إذا ما أشعلتم نيران الحرب في الشرق الأوسط، فإننا لن نشارك في تلك الحرب . وقد شهدت مباحثاتنا معهم تلك اللحظات التي قلنا فيها لإنجلترا أنه إذا ما سارت مباحثات الغد على هذا النحو، الذي تسير عليه الآن، فإننا سنوقفها ونعود إلى موسكو. كما أوضحنا لإيدن، ماكميلان و لويد أن الاتحاد السوفيتي لا يخشى أية تهديدات ولا يخشى الحرب .

الجميع يعلم أنه عندما شنت إنجلترا، فرنسا وإسرائيل العدوان على مصر، فقد نشرنا رسائل تحذيرية والجميع يعلم بها وأنتم تعلمون النتائج التي ترتبت علي تلك الرسائل . حيث اضطرت إنجلترا وفرنسا وإسرائيل لوقف أعمال العدوان في غضون ١٤ ساعة . فقد حملت تلك الرسائل إنذارا نهائياً وأدركت على أثرها حكومات الدول الثلاثة المعتدية أن المزاح معنا في هذا الشأن هو أمر مرفوض .

---

(٢٤) جرت زيارة الوفد السوفيتي لبريطانيا في أبريل ١٩٥٦.

تعلمـون كذلـك أننا وجهنا عدة رسـائل لإيزنهـاور، وهذا يُعـد خطوة من خطـوات التحـرك السياسـي . وحاولـت الولايات المتحـدة الأمريكيـة تصوير نفسـها على أنها حامي حمـي العرب، وكنـا نعلم أن هذا إحـدى صورالنفاق. ولهذا اقترحنا عليهم أن يكون هناك تحركًا مشتركًا لمواجهة الدول المعتدية . كنـا نعلـم مـن الذين نخاطبهـم، وعلى يقـين من أنهـم لن يحاربـوا العرب، ولكننا أردنا أن نوضح للعرب صديقهم من عدوهم .

نحن نلعب على تحدٍ واحد : الصداقة الحقيقية، التعايش السلمي والمواجهة المشتركة ضد الاستعمار.

انتقـالاً إلى مسـائل التعـاون الاقتصـادي، أوضـح ن.س.خروتشـوف أن هذه المسـائل لابد من إقرارها على أسـاس المنفعة المتبادلة . يقول خروتشوف اشتروا لدينا ما ترونه نافعًا بالنسـبة لكم ويمكننا التعاون هنا على أساس التوازن بـين حجم المبيعات والمشـتريات. ولا يمكـن التعامل معكم بعملـة الدولار، فليس لدينا دولارات ونقوم بتطوير اقتصادنا بشـكل ناجح بدون ذلك الدولار . أمـا فيما يتعلق بالدول الاسـتعمارية، فلديها مفهوم خاص للصداقة مع الدول العربيـة . فهم يريدون من العرب النفط والقطن وأن يقدموا أراضيهم كقواعد عسـكرية وفي حالـة رفض العـرب القيـام بذلـك، سـرعان مـا تعلـن الدول الاسـتعمارية الحرب ضدهـم . وهنا يكمن الفرق الجوهري بين السياسـة التي تنتهجها الدول الاستعمارية وتلك التي ينتهجها الاتحاد السوفيتي .

والآن يمكنكـم أن تفرقـوا بـين الصديـق المخلص الـذي ليـس لديه أية مطامـع . وكان هذا هو المقصد من الحديث الـذي دار بالأمس عن العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السـوفيتي؛ ولهـذا لابد من إدانة هذا الفريق الذي أساء فهم معنى صداقتنا مع العرب .

يتقدم عبد الناصر بالشـكر علـى الإيضاح الذي قدمه خروتشـوف ويقول إن الجمهوريـة العربيـة المتحـدة ترحب بسياسـة الوفاق والصداقة الـتي يتبناها

الاتحاد السوفيتي في علاقته مع العرب ويرحب بتلك المساعدة التي يقدمها أيضا لهذه الدول . وجاء على لسان عبد الناصر أنه سيصرح بذلك عدة مرات سواء في الصحافة المحلية أو الدولية وكذلك أثناء حديثه مع التلفاز الأمريكي. ويشير عبد الناصر إلى أنه عندما بدأت تتطور علاقات الصداقة بين بلدينا، أخذت الدول الغربية في بث بذور الشك لدينا إزاء تلك العلاقة .

وأعلنت إنجلترا آنذاك أنه في حالة قيام مصر بتوقيع اتفاق لاستيراد السلاح من الاتحاد السوفيتي، فإنها ستوقف توريد السلاح لنا . وقلنا للإنجليز آنذاك إننا لا نخشى أية تهديدات . وحاولوا إخافتنا بأن الخبراء السوفييت سيقومون بالترويج للفكر الشيوعي، ولكن سرعان ما تأكدنا من أن الخبراء السوفييت لا يقومون بذلك وإنما ينفذون التزاماتهم و نحن راضون عن أدائهم . ومما لاشك فيه أن هذا خلق لدينا حالة من الحيطة والحذر في البداية ولكننا سرعان ما أدركنا أن هذه الحالة ليست في محلها .

كانت دول الغرب العظمي تحرص على أن تظل مصر واقعة تحت مظلتها، ولكننا بالقطع رفضنا تلك السياسة وظللنا نعلن مراراً وتكراراً لممثلي دول الغرب أن الاتحاد السوفيتي يقدم لنا مساعدة مخلصة ونزيهة بعيدة كل البعد عن أية أغراض طامعة ولكنهم واصلوا تأكيداتهم على أن الاتحاد السوفيتي لديه أغراض أخرى .

لقد رأينا في إطار علاقات الصداقة التي تجمعنا وإياكم مدى صدق وإخلاص سياسة الحكومة السوفيتية إزاء العرب. ويسعدنا هنا الإشارة إلى انه لا يوجد أي شيء قادر على تعكير صفو العلاقات فيما بيننا .

لقد التقيتُ مع أكثر من مائة صحفي أجنبي طوال فترة استيراد الأسلحة من الاتحاد السوفيتي، وكانوا جميعهم يطرحون أسئلة استفزازية، وفي كل مرة كنتُ أقول إن الاتحاد السوفيتي يتعاون معنا بكل نزاهة وإخلاص وهذا هو تقييمنا للعلاقة معه . وهذا النوع من العلاقات كان جديداً بالنسبة لنا مقارنة مع علاقاتنا مع باقي الدول الأخرى .

ثم عرج عبد الناصر بعد ذلك للحديث عن الوضع في منطقة الشرق الأوسط، وأوضح أن الهدف الرئيس للجمهورية العربية المتحدة يتمثل في الوصول إلى الاستقلال الكامل والقضايا على بقايا فلول الاستعمار وهذا هو ما تسعى إليه شعوب المشرق العربي. ولكن كان من الطبيعي أن تقوم الدول الاستعمارية بعرقلة الوصول إلى هذا الهدف، خاصة وأن هذه الدول تتمتع بنفوذ قوي في منطقة الشرق الأوسط وتسعى لجعل الدول العربية في وضع التابع لهم . فقد كان إقليم الشرق الأوسط منطقة خاضعة لهيمنة ونفوذ إنجلترا منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تضع قدميها في المنطقة، و نحن لا نرغب في أن تنتقل هيمنة إحدى الدول علينا إلى دولة أخرى. ولهذا فإننا نظهر حالة من اليقظة والحذر حتى لا نسمح بتوغل النفوذ الأمريكي.

تعلمون كذلك أن الشرق الأوسط يتمتع بموقع إستراتيجي في غاية الأهمية، هذا إلى جانب وجود كميات هائلة من النفط داخل أراضيه. و نحن إذ نتفق مع خروتشوف بالكامل في حديثه بشأن الأهداف التي تسعي الدول الاستعمارية لتحقيقها في منطقة الشرق الأوسط. فهذه الدول تحرص على توطيد وتعزيز شوكة نفوذها وإنشاء قواعد عسكرية لها بالمنطقة، فهم يحصلون على النفط بأقل الأسعار من تلك المنطقة، بل ويمكن القول بأنهم يحصلون عليه بدون مقابل، ولهذا فإن الدول العربية تعترض على إبرام أية اتفاقات مجحفة مع دول الغرب.

كما تسعى دول الغرب كذلك لتوريط الدول العربية في مختلف أنواع التحالفات العدائية،غير أن سوريا ومصر تعترضان على الانضمام إلى مثل تلك التكتلات وذلك في الوقت الذي يوجد فيه بعض الدول العربية مثل : العراق، الأردن، لبنان، ليبيا والسعودية ينتهجون فيه سياسة تعود بالنفع على المستعمر. إن إقليم الشرق الأوسط يشهد الآن معركة ضد الإمبريالية، نضال من أجل الاستقلال الوطني، القضاء على عواقب الاستعمار وهذا من اشد أنواع النضال.

يستكمل عبد الناصر حديثه، لقد التقيتُ مع إيدن في يناير ١٩٥٥ عندما كان وزيراً للخارجية، وكان الهدف من زيارة إيدن للقاهرة هو محاولة إقناعنا بأهمية انضمام مصر إلى حلف بغداد معللاً ذلك بضرورة التصدي لأي هجوم ممكن من جانب الاتحاد السوفيتي .

وقدم لنا إيدن مخططات الاتحاد السوفيتي للاستحواذ على مناطق متفرقة بالشرق الأوسط . ولكننا أجبنا عليه بأننا سنحمي أنفسنا وإذا ما هاجمنا الاتحاد السوفيتي، فإننا سنطلب المساعدة منكم ولكن إذا ما هاجمتنا الدول الغربية، فإننا سنتوجه للاتحاد السوفيتي لطلب المساعدة منه . وانتهت المباحثات مع إيدن دون الوصول إلى أية نتائج، ثم بعد ذلك توجه إلى بغداد وأبرم ما يسمي بـ « حلف بغداد « وبعد خمسة أيام، قامت إسرائيل بمهاجمة غزة .

إن وجود الكيان الإسرائيلي دائمًا ما يشكل خطراً على الدول العربية، فإسرائيل تتزود بالسلاح من دول الغرب, ونعلم جيداً أنها تسعى لإقامة دولة تكون حدودها من النيل إلى الفرات . وبالنسبة لدول الغرب فهي دائماً ما تستخدم إسرائيل لتنظيم أي عمل استفزازي ضدنا وخاصة بعد رفضنا الانضمام إلى أية تحالفات عسكرية .

لقد تم تدبير سلسلة كاملة من المؤامرات ضد مصر وسوريا ولكننا ما زلنا نواصل سياستنا، وهي مؤامرات تهدف إلى خلق حالة من العداء بيننا ودول الجوار المحيطة بنا، كما تدور حملة دعائية عدائية شرسة ضد مصر وسوريا وتُدار هذه الحملة الدعائية عبر عشر محطات إذاعية كبرى في الوقت الحالي من قبرص وفرنسا وعدد من الدول العربية مثل العراق ولبنان، التي تعمل على تنفيذ المنهج الغربي . تقوم تلك المحطات الإذاعية طوال الليل ببث الافتراءات على تعاوننا مع الاتحاد السوفيتي .

يُعد إقليم الشرق الأوسط في الوقت الراهن واحداً من أهم القطاعات بالنسبة للقيادات السوفيتية. ولو كانت الدول الكبرى قد نجحت في إسقاط

الحكومات الوطنية، كما كانت تحلم وتسعى لفعل ذلك في مصر وسوريا، لتغلبت على القوى الوطنية في الإقليم.

ولكن بعد فشل العدوان الثلاثي بقيادة (إنجلترا، فرنسا وإسرائيل) علي مصر، بذلنا كل الجهود لأجل جذب الدول العربية تجاهنا . ولابد من الإشارة إلى أن الأردن كانت من أولى الدول العربية التي اقتربت نحونا، واستطعنا إلغاء ذلك الاتفاق الذي كان مبرمًا بين إنجلترا والأردن بشأن إرسال قوات إنجليزية إلى أراضي الأردن . وأوقفت إنجلترا آنذاك المساعدة المالية التي كانت تقدمها للأردن وتعهدت مصر، سوريا والسعودية بدفع ١٤ مليون جنيه إسترليني سنويا للأردن لتخفيف وطأة الوضع . غير أن الأمريكان نجحوا في استقطاب ملك الأردن نحوهم وقام بعمل انقلاب في البلاد بحجة ان هناك مؤامرة تُحاك ضده من قبل الاتحاد السوفيتي . وبعد ذلك باتت الأردن تحت نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية .

أما في لبنان فقد انضمت حكومتها إلى « مبدأ دالاس – إيزنهاور»[٢٥] وتمركزت هناك العديد من القوى المعادية لمصر وسوريا . وكانت تلك العناصر العدائية تحصل على السلاح بسهولة وتقوم بتنفيذ كل أنواع الأعمال الاستفزازية والهجمات الإرهابية، وفي سوريا تم اكتشاف عدد من المخازن ومستودعات الأسلحة المجهزة لتلك العناصر المخربة .

مما لاشك فيه أن الوحدة بين مصر وسوريا قد تركت أثراً إيجابياً على منطقة الشرق العربي بأكمله.

فأثناء وصولنا من دمشق و نحن قادمون من لبنان، ذات المائة وعشرين ألف نسمة، كان في استقبالنا في دمشق حوالي سبعمائة ألف شخص، الأمر الذي يوضح الأثر العميق الذي تركته الوحدة بين مصر وسوريا على لبنان، وهذا يدل أيضًا على عدم رضاء الشعب اللبناني على السياسة التي تنتهجها حكومة بلده .

---

(٢٥) أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية هذا المبدأ في مارس ١٩٥٧ لتقديم الدعم العسكري والاقتصادي لدول إقليم الشرق الأوسط المهددة من قبل " الخطر الشيوعي ".

لقد كان العاهل السعودي يخلفنا في تلك المرحلة، ولكنه انفصل عنا وقام بتغيير سياسته قبيل جولته إلى الولايات المتحدة الأمريكية. حيث كانت تسعى أمريكا بفضل عملائها في الشرق الأوسط إلى جعل الملك سعود قائداً للشرق العربي، في محاولة لعزلنا عن باقي الدول العربية، بيد أن الملك سعود ذاته هو من أصبح في حالة عزلة.

يقول ناصر إننا نضع نصب أعيننا تلك المحاولات التي تقوم بها الدول الاستعمارية لوضع العراقيل أمامنا. ويستخدمون بعض الدول مثل إسرائيل، العراق والأردن لتحقيق هذه الأهداف، غير أن سياستنا تعتمد على القومية العربية ودعم الشعب.

تتمثل مهمتنا الأساسية في الحفاظ على الاستقلال, ونرى أن مقاومتنا ضد أي تحالف، وسياسة الحياد الإيجابي التي ننتهجها هي سياسة تخدم مصالح السلام. وليس لدينا أي خيار آخر سوى انتهاج تلك السياسة التي يدعمها الشعب العربي. وندرك جيداً أن أمامنا العديد من المعارك لمواجهة قوى الاستعمار، التي ترى في حركات التحرر الوطني خطراً يهدد الكيانات النفطية.

إن تعاوننا مع الاتحاد السوفيتي يُعد عاملاً مهمًا في مسألة التصدي لأي هجوم استعماري، حيث يضمن هذا التعاون تحقيق النصر، ويكفي أنه قطع الطريق على الدول الغربية التي كانت تحتكر عملية توريد السلاح لدول الشرق الأوسط.

كما أسهم إقرار التعاون الاقتصادي مع الاتحاد السوفيتي في التصدي للحصار الاقتصادي، ونرى أنه بمقدور هذا التعاون إفشال أية مؤامرات تُحاك ضدنا.

ونضع نصب أعيننا كذلك أن هذا النصر لن يكون سهلاً وخاصة مع الوضع في الاعتبار ذلك الاهتمام الذي تبديه الدول الاستعمارية تجاه إقليم الشرق الأوسط ولا نستبعد أن يقوموا فيما بعد بشن عمليات عسكرية ضدنا.

يستكمل عبد الناصر حديثه مشيراً إلى أن الوضع في الشرق الأوسط يشهد حالة من التوتر. فشعب الأردن غير راض عن حكومته الحالية، ومن المتوقع في أي وقت أن تتحرك قوى للمطالبة بإنشاء حكومة وطنية . وفي حالة قيام مثل تلك الحكومة نتيجة للحراك الشعبي، فهذا سيتطلب الدعم والمساعدة من جانبنا و نحن لن نتخلى عن تقديم المساعدة . ومن الطبيعي أن يكون هناك رد فعل إزاء تلك المساعدة من جانب العراق وإسرائيل . وفي تلك اللحظة سيكون بمقدور دول الغرب استغلال الموقف والدفع بإسرائيل للتقدم نحو حدود الأردن . وهذا من الممكن أن يؤدى إلى إعلان الحرب على إسرائيل، التي سيدعمها دول الغرب من خلال إرسال أفراد متطوعين من دول أخرى مثل فرنسا وأمريكا .

الوضع كذلك لا يقل توتراً في لبنان، إذ أنه من الممكن أن تنتفض أحزاب المعارضة ضد الحكومة الحالية ويتوجهون إلينا لطلب المساعدة، وفي الوقت نفسه، من الممكن أن تلجأ حكومة لبنان التي تسير على منهج الغرب، لطلب المساعدة لدى الولايات المتحدة الأمريكية، التي يتمركز أسطولها البحري السادس بالقرب من لبنان .

كانت هذه نظرة حول مستقبل الأحداث في منطقة الشرق الأوسط، وبالتالي فإن الجمهورية العربية المتحدة في وضع يضطرها لخوض معارك في شتى المجالات .

على صعيد آخر، نجد أن اليمن قرر الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة على أساس الاتحاد ، وترى إنجلترا أن هذا الأمر يشكل خطراً على مصالحها. وهي تشعر بالقلق البالغ إزاء توجهنا إلى موسكو وتقوم بتعزيز ثكناتها العسكرية في منطقة عدن وترسل قواتها إلى هناك. بالإضافة إلى ذلك، فإن إنجلترا تقوم بعمل وشاية بين القبائل العربية في اليمن، ويشاركها في ذلك كلٌ من السعودية وأمريكا . وقد علمنا أنه تم إنفاق حوالي عشرين مليون دولار لتحقيق تلك الأهداف مؤخراً. ومن المتوقع أن يندلع اشتباك مسلح

مع إنجلترا، هذا الاشتباك من الممكن أن يورط الجمهورية العربية المتحدة في الحرب .

كذلك الوضع في العراق ليس أفضل حالاً، فقد تحدد يوم الخامس من مايو لإجراء الانتخابات، التي من الممكن أن تؤدي إلى وقوع اشتباكات عنيفة، نظراً لأن الحكومة تحرص على الاحتفاظ بالسلطة لنفسها والقوى الوطنية تسعى هي الأخرى لتغيير الوضع في البلاد وإسقاط نظام حكم نوري سعيد وتشكيل حكومة وطنية وذلك في الوقت الذي تبذل فيه إنجلترا قصارى جهدها لأجل الحفاظ على الحكومة الموالية لها . وعندئذ سنضطر لاتخاذ موقف محدد في هذه المسألة . وبالتالي سيكون هناك نضال في اتجاهين داخل العراق : الاتجاه الأول يتمثل في محاولات التخلص من الحكومة الموالية للدول الاستعمارية والاتجاه الثاني يتمثل في تلك القوى التي تسعى للحيلولة دون تشكيل تلك الحكومة التي من الممكن أن تنتهج سياسة وطنية .

بالنسبة للسودان، فهو في وضع متأرجح . حيث تحاول الدول العظمى الغربية جذب السودان نحوهم وتعقيد العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة . وبات لدينا مشاكل عدة في علاقاتنا مع السودان .

أما بالنسبة للوضع في ليبيا فهو صعب للغاية. حيث توجد قوات أجنبية في الأراضي الليبية ولا يمكن أن تبقى هذه القوات دون تلقي الدعم المالي المناسب . إنجلترا من جانبها تهدد ليبيا بوقف تلك المساعدات المالية وقد توجهت الحكومة الليبية إلينا لطلب المساعدة . والولايات المتحدة الأمريكية تحاول هي الأخرى إزاحة إنجلترا من الأراضي الليبية لكي تحل محلها .

كذلك الحال في تونس، التي تتواجد على أراضيها القوات الفرنسية، وتلعب الولايات المتحدة لعبة مع الحبيب بورقيبة لإزاحة فرنسا من تونس وشغل مكانها . وبالنسبة لبورقيبة فهو ينتهج سياسة معادية للجمهورية العربية المتحدة، فهو معادي لسياسة عدم الانحياز ويريد إنشاء جيش، غير أن قوام هذا الجيش حتى الآن لم يتجاوز ثلاثة آلاف جندي .

كمـا توجد قوات احتلال في أراضي المغـرب، وقد تم دعوة الملك المغربي الآن إلى واشـنطن وذلك بحثاً عـن الرعاية والحمايـة لديها فهو يـرى أن الجمهورية العربية المتحدة في مواجهة مع الملوك العرب.

أما بالنسـبة للوضع في الجزائر فهو متفاقم للغايـة، حيث تدور على أراضيه حرب استعمارية حقيقية, وتقوم الجمهورية العربية المتحدة بتقديم يد العون للحركة الوطنية هناك من خلال توريد السلاح، تدريب الضباط وإرسال الأفراد ... إلخ. وتسـعى فرنسـا من جانبها لمحـو كافة أوجه الحياة فـوق أرض الجزائر. فقـد قمنا من جانبنا بإمداد جيـش التحرير الوطني بالجزائر بالسـلاح من خلال تونس، المغرب وليبيا . غير أن المغرب الآن يرفض مرور السلاح عبر أراضيه . ففي البداية كان الملك المغربي يتعاون معنا لتزويد جيش التحرير الوطني الجزائري بالسلاح، ولكن بعد زيارته لأمريكا، بات يعترض بشكل قاطع على نقل السـلاح عبر أراضيه . وكذلك في السابق كانت إسبانيا تغمض عينيها عن توريد سـلاحنا لجيـش التحرير الوطني بالجزائـر، أما الآن نجد إسـبانيا تقترح علينـا الاتفاق على هذه المسـألة مع المغرب . الأمر الـذي يزيد من تعقيد عملية نقل السلاح إلى الجزائر. لم يتبق سوى نقل السلاح عبر الأراضي الليبية، غير أن هذه الإمدادات سـتكون من نصيب القطاع الشرقي من الجزائر والمسالة ستزداد تعقيـداً بالنسـبة لإمداد القطاع الغربي بالسـلاح. وفي السـابق كان الجيش الجزائري يحصل على كل ما يريد من شعب الجزائر، أما الآن نجد الفرنسيين يشعلون النيران في المناطق السكنية، يدمرون المحاصيل الزراعية ويطاردون الأهالي وبالتالي بات شـعب الجزائر يعاني صعوبات كبيرة . والنتيجة أنه بات يتعـين علـى الجيش الجزائري ليـس فقط أن يزود نفسـه بالإمـدادات اللازمة لـه، بـل وأن يوفر الإمدادات الغذائية للسـكان. وإذا مـا كُللت جهود حركة التحـرر الوطـني بالجزائر بالنجاح، سـيكون من المسـتحيل إنشـاء تكتل في شمـال إفريقيا وسـيكون من الصعب على الفرنسـيين تنفيذ مخططاتهم في الصحراء . وفي حالة فشـل حركة التحرير الوطنية، سـيكون من السهل على دول الغرب العظمى إقامة تحالف في منطقة شمال إفريقيا وضم هذه الدول إلى حلف الناتو وبالتالي سيكون هناك وضع جديد في السودان .

كان هذا كان ملخصًا الوضع في منطقة الشرق الأوسط وقد تحدثت بالتفصيل لكي أوضح ن هناك معركة حامية الوطيس تُدار في تلك المنطقة.

تقدم خروتشوف بالشكر والثناء على الكلمة التي ألقاها عبد الناصر وتحليله الدقيق والمفصل حول الوضع في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

أوضح عبد الناصر أنه إذا ما كان هذا الشأن يثير اهتمام الجانب السوفيتي، فبمقدوره أن يسهب بمزيد من التفاصيل عن الوضع في إفريقيا. خاصة وأن القارة الإفريقية تشهد الآن ازدياد حركات التحرر الوطني مثل الكاميرون، الصومال، رودسيا ودول أخرى. غير أن الفرص المتاحة أمام الجمهورية العربية المتحدة لدعم الصداقة مع تلك المناطق هي فرص محفوفة بالصعوبات، نظراً لأن ممثلي الدول الاستعمارية يحظرون على شعوبنا السفر إلى تلك الدول.

يتوجه خروتشوف مرة ثانية ببالغ الشكر على ذلك التحليل المفصل الذي قدمه عبد الناصر، وقال إنه على الرغم من أننا نبدو ظاهريًا على علم ببواطن الأمور، إلا أننا لا نعلم الكثير عن الوضع في تلك المنطقة. لقد أسهم تحليلك الشامل هذا في إنارة أفكارنا. وهذا من دواعي سرورنا، حيث إننا نرى أنه لا يوجد لدينا أي اختلاف في هذا التقييم للوضع وهذا يزيد من تقاربنا بصورة كبيرة. ونأمل أن تكون سياستنا واضحة لكم ونساند بشكل كامل كل من يدافع عن استقلاله وسنساعده في نيل هذا الاستقلال بقدر المستطاع.

و نحن إذ نقدر ذلك الدور الذي تلعبه الجمهورية العربية المتحدة باعتباره االصوت المعبر عن سيادة العرب ونرى أنها تحظى بالشهرة التي تستحقها لدى الشعوب التي تناضل لأجل نيل استقلالها، نحن نتعاطف معكم ونفخر بأصدقائنا الذين يناضلون لأجل التحرر الوطني لشعوب إفريقيا. ونشارككم تلك الصعوبات التي تواجهونها للحفاظ على استقلال الجمهورية العربية المتحدة وكذلك اليمن. ونوافقكم الرأي في أن أعدائكم سيبذلون قصارى جهدهم ضد الجمهورية العربية المتحدة. والآن لابد من بذل الجهد لإظهار الدعم

والمساندة وعدم الخضوع والاستسلام لتلك الأعمال الاستفزازية .والتاريخ هنا لصالحكم وليس لصالح المستعمر على الإطلاق. فسرعان ما سينهار الاستعمار تحت وطأة الضربات التي تكيلها حركات التحرر الوطني. حان الوقت الآن لشحذ القوة وإظهار مزيد من الحيطة والحذر، فمن الضروري مواصلة النضال والكفاح لمواجهة قوى الاستعمار .

نحن نقف إلى جانبكم على الرغم من عدم وجود أية مصلحة مادية تعود علينا من ذلك . لابد من الإشارة إلى ان التحلي بالصبر لا يعني الخضوع والاستسلام للضغط، بل يعني عدم الخضوع لتلك الأعمال الاستفزازية واختيار اللحظة المناسبة لمهاجمة الخصم . لابد كذلك من إظهار رباطة الجأش والتعقل، ولكنكم من الشعوب الشابة المفعمة بالحماس . أرجو ألا يُفهم كلامي هذا على أنه تكليف، بل إننا نتحدث على هذا النحو لأننا اضطررنا لانتهاج سياسة في وضع صعب للغاية. يشير ت.فاروشيلوف إلى أن الشباب - يتسم بأنه يحظى بأولوية كبيرة . هنا يمزح خروتشوف قائلاً إنه يشعر من كلمات فاروشيلوف بغبطة وحسد كبار السن على الشباب. ويتوجه خروتشوف بالشكر مرة ثانية على ذلك التحليل الذي تقدم به الرئيس، والذي يساعدنا كثيراً في التعرف على الوضع بشكل صحيح .

وفي الختام يتوجه خروتشوف بدعوة أعضاء الوفد لتناول الغذاء .

مباحثات بين حكومتي الاتحاد السوفيتي و الجمهورية العربية المتحدة بشأن زيارة جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي[٢٦]

تسجيل المحضر

١٤ مايو ١٩٥٨، الساعة ١٠ صباحاً.

في الرابع عشر من مايو، تم استقبال الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، والوفد المرافق له في موسكو وذلك بناء على تكليف من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي لممثلي الحومة السوفيتية ممثلة في :ن.س.خروتشوف، ك.إ.فاروشيلوف، أ.إ.ميكويان، أ.محي الدينوف، أ.أ.جروميكو <.......>[٢٧].

ن. س. خروتشوف يسأل كيف حال الضيوف .

ك. إ. فاروشيلوف مندهشاً، ألا يشعر الضيوف بالقلق إزاء حالة تغير الطقس لدينا .

ن. س. خروتشوف يمزح مقترحاً عمل تبادل: أن تمنحنا الجمهورية العربية المتحدة مزيدًا من الدفء والحرارة المتوفرة لديها، مقابل أن يعطيها الاتحاد السوفيتي مزيدًا من البرودة .

---

(٢٦) قام بتسجيل الحديث : ج.ت.زايتسيف، أرشيف السياسة الخارجية لدولة روسيا الاتحادية، مخزن رقم ٠٨٩، قائمة رقم ٢١، حافظة رقم ٤٤، موضوع رقم ٢، السطور من ٢٦-٤٧، نسخة رقم ٣، مطبوعة على الآلة الكاتبة.

(٢٧) لم يتم ذكر باقي أعضاء الوفد.

يقول عبدالناصر إن الطقس يتحول من البرودة إلى الدفء في كل المدن التي زاروها بالاتحاد السوفيتي، غير أن ذلك مرتبطاً بحرارة وحماس لقاءات أعضاء وفد الجمهورية العربية المتحدة مع نظيره السوفيتي، أشار ناصر إلى أنه أثناء تلك اللقاءات تم طرح الكثير من الموضوعات للمناقشة ومعظمها كانت حول الوضع في الشرق الأوسط وعلاقاتنا واحتياجات الجمهورية العربية المتحدة . حيث تطرق الحديث حول طلب السلاح، تنفيذ مطلب صفقات السلاح لسوريا وتقليص مواعيد تسليم تلك الصفقات.

وتحدث كذلك عن أن الوضع في منطقة الشرق الأوسط في غاية الصعوبة والتعقيد, مشيراً إلى عدم وجود أي اختلاف في تقييم هذا الوضع لدى الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي . وفي الختام أوضح عبدالناصر أنه ليس لديه أيه مطالب من الحكومة السوفيتية .

يقول **ن. س. خروتشوف** إنه على يقين من ذلك، وعلى استعداد لسماع أية مطالب وسنقوم بإعدادها لأننا افترضنا أنه بمجرد أن يأتي إلينا العرب فإنهم سيطلبون شيئًا ما، مثلما فعل المشير عامر.

يرى عبدالناصر أن حديث عامر، كما يبدو لي، أنه طلب أكثر من المتوقع وتقع عليه مسئولية كبيرة ويعتقد أن هذا يلزمه بالعديد من الالتزامات .

يقترح **ن.س.خروتشوف** إجراء مباحثات حول صفقات السلاح لسوريا وتكليف أفراد محددين بهذا الشأن، ويعلن أن الجانب السوفيتي سيقوم بتعيين الرفيق ميكويان لهذه المهمة .



يوضح عبد الناصر بأنه سيقوم بتكليف علي صبري لهذه المهمة، ويشير إلى وجود مسائل أخرى لابد من مناقشتها، حيث تشكل انطباع في القاهرة يفيد بأن هناك مغالاة ومبالغة في تلك النفقات الخاصة بوضع مشروعات خرائط تدريب الكوادر، المقترحة لإبرام عقود للحصول على قرض من الاتحاد السوفيتي لصالح الجمهورية العربية المتحدة، فهي تشكل الآن نسبة ١٢ ٪ من إجمالي المبلغ، وذلك في الوقت الذي أشرتم فيه إلى أنها لن تتجاوز نسبة ٣ ٪.

يقترح **ن.س. خروتشوف** أن يقوم الرفيق ميكويان وعلى صبري بمناقشة هذه المسألة، ويشير إلى أن الرفيق ميكويان يكترث كثيراً بالعرب ويهتم بهم ؛ ولذلك فإنه سيلتقي كثيراً بعلي صبري .

يقول عبد الناصر إن مصر بها جالية كبيرة من الأرمن .

في حين يوضح ن.س. خروتشوف أن الجمهورية العربية المتحدة لديها الكثير من الموارد المالية: هناك تزايد في الدخل العائد من قناة السويس، كما تم فك تجميد الأصول المالية بالولايات المتحدة، ومن المتوقع أن تحذو إنجلترا حذو أمريكا وتقوم بفك تجميد أصول الجمهورية العربية المتحدة، كما أن ألمانيا الغربية تمنح الجمهورية العربية المتحدة قرضًا ماليًا . ويبدو أنه من الصعب عليكم استغلال كل هذه الأموال، فمن الممكن أن تعطونا إياها

ونحن سنقوم باستثمارها في تطوير الصناعة الكيميائية لدينا، حيث لدينا خطط عديدة في هذا المضمار.

يشيد عبدالناصر بحجم الاستفادة التي عادت عليهم من زيارتهم للاتحاد السوفيتي ويقول، لقد تعرفنا على الطريق الذي يسير فيه الاتحاد السوفيتي. أما فيما يتعلق بالموارد المالية، فدعني أقول لكم إننا حصلنا على مجرد وعد من الولايات المتحدة الأمريكية بفك تجميد أصولنا التي تبلغ حوالي ثلاثين مليون دولار.

يتساءل **ن. س. خروتشوف** ما هي النسبة التي يمكن أن يحصل عليها الاتحاد السوفيتي من تلك الأموال.

عبدالناصر: لقد حصلنا في غضون عامين على مبلغ معروف لدى البنك الدولي للتعمير، والذي يستحق الدفع في نوفمبر. ونعتزم إرسال شيك بالمبلغ إلى الولايات المتحدة الأمريكية لكي تغطي مديونيتنا من خلال الأرصدة المجمدة لديهم.

ومازال لدينا في إنجلترا أرصدة مجمدة تُقدر بنحو اثنين وخمسين مليون جنيه إسترليني، ونجري الآن مفاوضات مع إنجلترا حول هذا الشأن، ولكن لدينا نفقات كثيرة في تقييم الأملاك الإنجليزية التي فرضنا عليها الحراسة. ونرى نحن أن كل هذه الأملاك تُقدر بنحو ثمانية وعشرين مليون جنيه إسترليني، في حين ترى إنجلترا أن تلك الأملاك تساوي ثلاثين مليون جنيه إسترليني. كما أن هناك نفقات عديدة حول أملاك أخرى، حيث تشترط إنجلترا أن يتم رفع الحراسة من فوق تلك الأملاك مقابل الموافقة على فك تجميد أملاكنا الموجودة لديهم.

كما أن هناك مشاكل عدة مع إنجلترا، واختلاف في وجهات النظر حول عملية دفع التعويضات بعد شن العدوان. حيث تطالبنا إنجلترا بدفع تكلفة قواعدها العسكرية السابقة التي تركتها في منطقة قناة السويس والتي يقدروها بنحو ثلاثين مليون جنيه إسترليني.

أما بالنسبة للقرض الذي أرسلته لنا ألمانيا الغربية، فهو ليس كبيرًا للغاية . فنحن لدينا خطة خمسية ومطالب كثيرة . فهذه الخطة تتطلب نفقات لا تقل عن مائة وخمسين مليون جنيه إسترليني . وما نحصل عليه من الاتحاد السوفيتي هو اثنين وستين مليون جنيه فقط. وندرس في الوقت الراهن إمكانية الحصول على موارد إضافية لتنفيذ تلك الخطة وسداد القروض التي حصلنا عليها . فإجمالي ما نريده هو مائة وستين مليون جنيه إسترليني . بالإضافة إلى ذلك فإننا نقترح الحصول على قرض من الاتحاد السوفيتي بنحو خمسة ملايين جنيه إسترليني والذي لن نستخدمه في شراء القمح. أما فيما يتعلق بالدخل العائد من قناة السويس، فهو لا يتجاوز أربعة مليون جنيه إسترليني سنوياً. ويذهب ٥٠ ٪ من إجمالي هذا الدخل لأعمال تطوير وصيانة القناة وباقي الـ٥٠ ٪ الأخرى نعتزم تخصيصها لإنشاء مشروع السد العالي .

يشكل احتياطي النقد الأجنبي حوالي خمسة وستين مليون جنيه إسترليني، أنفقنا منه خمسة ملايين جنيه إسترليني أثناءأزمة السويس وأصبح حجم الاحتياطي لدينا الآن يشكل ستين مليون جنيه إسترليني فقط.

يقول **ن.س.خروتشوف**، يبدو أننا لن نحصل على أي شيء من تلك الموارد المالية إذن .

يقول **عبد الناصر**: نحن لدينا الذهب الأبيض، فنحن نزرع القطن، ولكن بعد الكلمة التي ألقيتها بشأن تطوير الصناعة الكيميائية، فإننا نطرح هذا السؤال : هل سيكون الاتحاد السوفيتي في حاجة لهذا القطن فيما بعد ؟

يقول **ن.س.خروتشوف**: نحن نسير بالفعل في الاتجاه الذي يغنينا عن القطن ويضيف أن الرفيق ميكويان سيناقش أية تساؤلات في هذه المسألة معكم .

يمزح عبد الناصر قائلاً إن على صبري أشبه إلى حد كبير بالرفيق ميكويان، تُرى هل توجد صلة قرابة بينهما؟

يعـود **ن. س. خروتشـوف** إلى جوهـر الموضـوع ويقـول بعـد أن يقـوم الرفيـق ميكويـان والسـيد على صبري بمناقشـة الموضوعـات المطروحـة لديكم، سـنقوم نحن بدراستها وحسمها . والآن يسـأل الرفيق خروتشوف هل يريد عبد الناصرالحديث عن أي شيء آخر .

يقـول **عبدالناصـر** إنه يرغب في العودة مرة أخرى إلى مسـألة توريد السـلاح وهو يعني الآن ما سبق وأن طلبه المشير عامر .

يشير أ. إ. **ميكويان** إلى أنه سيتم حسم كل هذه الأمور .

يؤكـد **عبـد الناصر** علـى رغبتـه في الحصول مـن الاتحاد السـوفيتي على مقاتلات « تي ـ ١٦» بعيدة المدى، وصواريخ متوسطة المدى . وذلك يعود إلى أنه بعد الوحدة بين مصر وسـوريا وانضمام اليمـن إلى الجمهورية العربية المتحدة، باتت الحدود لدينا مترامية الأطراف وظهرت التزامات جديدة.

ن. س. خروتشـوف : لقـد كلفنا المشـير مالينوفسـكي بدراسـة هـذا الملف وسيقوم بموافاتنا بتقرير حول ما توصل إليه .

يطالب عبدالناصر بزيادة عدد المقاتلات النفاثة وخاصة المعدلة منها أكثر من طائرات « ميج ـ١٧».

يقـول **ن.س.خروتشـوف** إن طلبـات الرئيس ناصـر لا تقل حجمـا عن طلبات المشـير عامر، ولهذا اقترح أن يقوم عامر بتنفيذ تكليف الرئيس . ولكني أرى الآن وكأن الرئيس هو من يقوم بتنفيذ طلبات عامر.

يقـول **عبدالناصـر** إن عامر لم يحصل على كل مـا طلبه، وأصبح في وضع صعـب للغايـة . لقد بات لـدى الجمهوريـة العربية المتحـدة حدوداً مـع الأردن، العراق، تركيا ، إسـرائيل، لبنان وفي اليمن باتت الحدود مع إنجلترا مباشـرة . ولا يمكـن التغاضي عن حجم الخطر الناجم من الحدود مع لبنان التي يوجد بها

قواعد عسكرية تابعة لإنجلترا وأمريكا . وبالنسبة لعامر فهو يحمل على عاتقه مسئولية كبيرة في تأمين حدودنا والحفاظ على سياسة عدم الانحياز ولهذا فإن احتياجاته كثيرة .

يوضح عبد الناصر أن الدول الغربية تتخذ إجراءات لأجل حصار وتطويق دولتنا وهذا يفرض علينا النضال، فنحن نتعرض لضغط قوي ويتوجب علينا مقاومة هذا الضغط الذي نتعرض له من جانب الدول الغربية وصد أية محاولات لهم للسيطرة على قنوات الاتصال المهمة . هذا إلى جانب المسئولية الكبيرة التي نحملها على عاتقنا للتصدي لأي هجوم محتمل من جانب إسرائيل التي تتحرك بتحريض من أمريكا وإنجلترا والتصدي كذلك لأي تدخل لحماية سياسة عدم الانحياز.

يمزح **ن.س.خروتشوف** قائلاً لقد قلت في بداية حديثك إنك لا ترغب في أية طلبات .

يقول **عبد الناصر** إنني أقصد ليس لدي طلبات مالية فقط .

ن.س.خروتشوف : هنا تتجلى مهارة الدبلوماسيين العرب وتظهر عظمة حضارتهم القديمة .

عبدالناصر: لابد وان أشير إلى أننا نحمل على عاتقنا مسئولية جسيمة، فنحن ندير معركة مع قوى كثيرة . فقد أبلغني عامر بالأمس القريب في برقية أن الحكومة اللبنانية طلبت إرسال القوات الأمريكية المسلحة لأراضيها للمساعدة في الحفاظ على النظام داخل البلاد . وذلك في الوقت الذي تتهمنا فيه كل من إنجلترا وأمريكا بتدخل الجمهورية العربية المتحدة في الشأن الداخلي للبنان . وأعلنت الحكومة اللبنانية الاعتراض في وجهنا . وبالنسبة للسودان، فالأمور معها ليست أفضل حالاً . فنحن محاطون بدول عدائية من جميع الجهات، ويتعين علينا أن نكون على أهبة الاستعداد للتصدي لأي هجوم .

ن.س.خروتشوف : هذا صحيح، فنحن نعلم مدى صعوبة كفاحكم ودفاعكم عن استقلالكم وسيادتكم الوطنية . أما فيما يتعلق بتطور الوضع، فهو أمر من الصعب التنبؤ به، بل لابد من انتظاره طوال الوقت .

عبدالناصر: كذلك الأحداث التي شهدتها إندونيسيا، يمكنها أن تؤثر على الوضع في اليمن. وقد تلقينا برقية من ملك اليمن تفيد بأن الإنجليز بالتعاون مع السعودية يستعدون لإحداث انقلاب داخلي في البلاد . حيث يطالب الملك اليمني بإرسال قوات الجمهورية العربية المتحدة إليه، وإرسال قوات بحرية لحماية الجزيرة الواقعة بالقرب من اليمن .

من المعروف أن اليمن – دولة متخلفة للغاية، ما زالت تعيش الحياة البدائية ولا يستخدم أهلها السلاح الذي نصدره إليهم، فهو حبيس المخازن والمستودعات . نحاول من جانبنا تنظيم عملية تدريب للكوادر لديهم، غير أن النظام الروتيني القائم لديهم يعوق تنفيذ هذه المهمة . وبما أن عامر هو القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة، إذن فهو المسئول عن حماية وتأمين حدود اليمن. نحن نحاول من جانبنا عدم الرد على آية أعمال استفزازية، حتى لا يتعقد الوضع، ولكن من الممكن أن تظهر على السطح ظروف ما تجبرنا على الدخول في صراع مُعلن. فقد أعلن الإنجليز الآن فرض حالة الطوارئ في عدن، كما قاموا بتكثيف العمليات العسكرية على حدود اليمن، والملك اليمني يطلب المساعدة .

ن.س.خروتشوف : إن المعلومات التي ذكرتها الآن هي معلومات صحيحة بالفعل، ولدينا معلومات أخرى تفيد بأن إنجلترا وأمريكا تعتزمان إسقاط إمامة الملك أحمد وتنصيب الأمير حسن مكانه وذلك في أقرب وقت ممكن، ولدينا معلومات أخرى تفيد بأن الإنجليز والأمريكان ينسقون أمورهم بالتعاون مع السعودية .

عبدالناصر: تنامي إلى معلوماتنا كذلك أن إنجلترا وأمريكا بالتعاون مع السعودية والعراق يحاولون تغيير الوضع في اليمن، وإسقاط نظام حكم الملك أحمد وتنصيب الأمير حسن مكانه . وقد أنفقت المملكة السعودية حوالي خمسة عشر مليون دولار لهذه المسألة .

ن.س.خروتشوف : من الضروري إذن كشف كل هذه المكائد والدسائس أمام الشعب، حيث لابد وأن يصل إلى الشعب حالة عدم الرضاء من تلك السياسة وعندئذ سيتم تلقين المعتدين درساً خطيراً. كما نعلم كذلك أن السلاح الذي حصلت عليه اليمن هو حبيس المخازن وقد بدأ يصدأ أيضاً، فلابد من تدريبهم على كيفية استخدام السلاح وطريقة حفظه في المكان المناسب . وبالنسبة لبدر، فهو شخص جيد ولكنه يفتقر الخبرة لتهدئة الوضع، لابد من مساعدته .

يقول عبد الناصر أن زمام الأمور في اليمن يوجد في أيدي الإمام، ولا يستطيع أي أحد القيام بأي شئ دون الحصول على إذن منه . هذا بالإضافة إلى أن اليمن ما زال يغرق في العادات القديمة جداً. ولكن مما لاشك فيه سيأتي الوقت الذي يتم فيه استخدام السلاح للتصدي للمعتدي، الذي يسعى لاستعمار البلاد . كما أن الجمهورية العربية المتحدة تقود صراعاً على كافة الجبهات في إفريقيا . ونعلم أنه بعد أيام قليلة سيُعقد مؤتمر في إثيوبيا لبحث سبل كيفية عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقي الدول العربية. إن سياستنا ستجد مقاومة من جانب المستعمرين والدول الأخرى التي لا تنتهج سياسة وطنية .

ن.س.خروتشوف : كل هذا صحيح ؛ ولهذا فإننا ننظر إليكم نظرة بطل حركة التحرير الوطنية، ذلك البطل المضطر لإنجاز كل المهام المعقدة .

على ذلك فقد كان لينين عظيماً لأنه استطاع أن يحث الشعب كله على النضال، وعندما شنت الدول الرأسمالية هجوماً على دولتنا السوفيتية الوليدة، قام شعبنا بصد تلك الهجمات .لقد هزمنا أربع عشرة دولة كبرى،

جاءوا إلينا في مسيرات، كما استطعنا هزيمة جيوش مسلحة بشكل جيد تابعة للدول الرأسمالية، وذلك في الوقت الذي لم يكن فيه جيشنا مسلحاً بشكل جيد، ولكن كان لدينا روحًا معنوية مرتفعة، مما ساعدنا في التغلب على أعدائنا.

يحشد الأمريكان الآن حوالي ثلاثين مليون دولار لأجل إثارة حالة اليقظة لديكم، ففي الوقت الذي يقدمون فيه إليكم شيئًا ما، فهم يضعون أقدامهم على ظهوركم، والأمريكان قادرون على القيام بذلك بشكل جيد. فبعد قيام ثورة أكتوبر، قام الأمريكان بإرسال الدبلوماسي الأمريكي بوليتإلى الاتحاد السوفيتي لكي يستوضحوا من لينين، هل ستقدم روسيا السوفيتية تنازلات، وعندما لم يحدث أي شيء من ذلك، لم تعترف الولايات المتحدة الأمريكية بالاتحاد السوفيتي قرابة ستة عشر عامًا. كما أن الدول الغربية هي الأخرى، كانت ترغب في أن يصبح الاتحاد السوفيتي دولة ضعيفة. فقد حاولوا اختبار قوتنا بالسلاح، وحاولوا شن هجوم علينا في عهد هتلر. ولكن ما الذي انتهى إليه كل ذلك ؟ ـ فقد نجح الاتحاد السوفيتي في سحق العدو وأصبح أقوى دولة بالعالم.

إن الاتحاد السوفيتي يعتمد على شعبه، والاعتماد على الشعب هو مسألة في غاية الأهمية، كذلك الحال بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة. وبالنسبة للاتحاد السوفيتي سيظل يقدم الدعم والمساعدة لسياستكم المستقلة الهادفة نحو دعم وتوطيد أواصر السلام.

وفيما يتعلق بطلبكم الخاص بالطائرات النفاثة القاذفة المتوسطة المدى والصواريخ الموجودة لدينا، فإن مفعولها سيكون أقوى إذا ما أصبحت لديكم. ولكن وفقاً لمعلوماتنا، فإن مساحة أراضيكم لا تسمح بامتلاك مثل هذا السلاح الآن، وبالتالي فهو لن يمثل لكم أية فائدة. إن أراضيكم قابلة للاختراق والتسلل من جميع الجهات، وذلك بحكم موقعكم الإستراتيجي. كما يمكنها أن تقوم بعملية إطلاق النيران من جميع الجهات. وهذا الأمر

لابد من النظر إليه بعين الاعتبار. نحن سندعمكم، ولن نقف بمعزل عنكم في حالة تعرضكم لأي هجوم. فإن حدود دولتكم أشبه بحدود دولتنا ولا يمكننا التعامل بحالة من اللامبالاة إزاء ما يبتغي أعداء العالم إجراؤه معكم وهذا هو واجبنا نحوكم.

يقول عبدالناصر إنه يتفق في الرأي مع خروتشوف، ولكن مع الوضع في الاعتبار أن دولة إسرائيل تقع ضمن دول الجوار بالنسبة لنا، وهي مستمع ومنفذ جيد لمهام الدول الإمبريالية. كما نضع في اعتبارنا كذلك أنه لن يكون سهلاً على الاتحاد السوفيتي التدخل بشكل دائم في الأحداث مثلما حدث أثناء العدوان الثلاثي. فالدول الغربية تقوم بتسليح إسرائيل، كما يرسلون خبراءهم إلى هناك، ويمكنهم إرسال كمية كبيرة من المتطوعين في أي وقت. ولا يجب أن نسقط من حساباتنا أن كل يهودي يعتبر نفسه إسرائيليا أينما وجد. وبالتالي يمكن لإسرائيل أن تقوم باستدعاء المتطوعين من شتى أنحاء العالم. وإذا ما نجحت إسرائيل في شغل أي جزء من الأراضي العربية، فهذا سيلقي بظلاله السلبية على الحالة المعنوية للعرب، خاصة إذا ما نجحت إسرائيل في احتلال شبه جزيرة سيناء ودمشق. فالحالة المعنوية للعرب مرتفعة الآن للغاية.

وأرى أن هناك اختلافًا قوي بين وضع الاتحاد السوفيتي ووضعنا. فأنتم لديكم مساحات شاسعة من الأراضي، أما نحن فليس لدينا كل هذه المساحات. لقد استطاع الألمان الوصول إلى ليننجراد و ستالينجراد وبعد ذلك قمتم بهزيمتهم. وساعدكم في ذلك المساحات المترامية الأطراف من الأراضي لديكم. أما نحن فليس لدينا هذه الإمكانيات ويتعين علينا التصدي لأي هجوم على الفور، لابد لنا من امتلاك القوة التي تمنحنا مقاومة فعالة.

ن.س.خروتشوف: ولكن يبدو لنا أنه لا توجد دولة عربية واحدة ستحارب مع إسرائيل ضد دولة عربية أخرى. وأنتم على حق في ضرورة أن يكون لديكم تفوق في القوة على إسرائيل.

عبدالناصر: نحن في حاجة للقوة، ليس فقط لصد العدوان، بل وكذلك للحفاظ على النظام داخل البلاد وخاصة سوريا . فإذا ما نشبت معركة على الحدود السورية، فإن أنصار التوجه الغربي، وعددهم كبير في سوريا، سرعان ما سيستغلون ذلك و يحدثون انقلاب داخل البلاد .

ن.س.خروتشوف : نعم هذا صحيح، ولابد من التنبؤ بكل ذلك، فالولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا يبذلون قصارى جهدهم للقضاء على الجمهورية العربية المتحدة . وأنتم تدركون ذلك جيداً.

ناصر : لهذا، أريد الإشارة إلى أن طلبات عامر كانت مبررة، ومن المتوقع أن يزور الاتحاد السوفيتي في غضون الأيام القليلة القادمة .

ن.س.خروتشوف : سنكون سعداء برؤية عامر في الاتحاد السوفيتي ونتباحث معه في أمور البيع والشراء على البحر الأسود . فمشهد البحر يعمل على تهدئة الأعصاب، وفي مثل هذه المباحثات لابد من ضبط النفس، وهذا سيكون أفضل لإبراز كافة تفاصيل الموضوع. فنحن نعلم الشخصيات العسكرية جيداً. إذا ما أعطيتهم ضعف ما يطلبون، سيقولون لك في اليوم التالي إن ما حصلوا عليه يعد قليل، وكذلك الحال بالنسبة لشخصياتنا العسكرية، فإذا ما سمعنا كلامهم، فهذا يعني أننا لن ننتج سوى الطائرات، الدبابات والصواريخ ولكن لا يمكننا أن نضحي بباقي مجالات الإنتاج اللازمة للشعب . لابد من وضع تلك الشخصيات العسكرية تحت مياه الدوش البارد .

عبدالناصر: أعلم بالفعل أن العسكريين لديهم مطالب جمة .

ن. س. خروتشوف : نعم فالعسكر يقولون إن مدفع زيادة لن يضر في شيء .

عبدالناصر: نعم، إن العناء الذي يسببه هذا المدفع هو أثناء عملية نقله فقط، ولن يضر في شيء بالفعل. إنني أرى هناك خمسة قيادات عسكرية بين أعضاء وفدكم، هذا يعني أن توجهاتهم ستكون عسكرية.

يقول ك. إي. فاروشيلوف إنه لابد من الاستعداد للحرب في وقت السلم، حتى يتم القضاء على العدو بشكل أفضل وقت الحرب .

ن. س. خروتشوف : أرى أنه لا داعي لكل هذا الاهتمام والشغف بالنفقات العسكرية، إذ من الممكن ان يتم نسف تلك الميزانية وسيكون من السهل على العدو إذن استغلال ذلك .وهنا تبرز أهمية التعويضات، فإذا ما نفذنا خطتنا الخاصة بتطوير الصناعات الكيميائية، فهذا سيكون بمثابة ضربة قوية للعدو ومساعدة كبيرة لأصدقائنا .

ويستكمل ن.س.خروتشوف : حديثه موضحاً أن السياسة السلمية التي ينتهجها الاتحاد السوفيتي قد أسهمت في تعقيد وضع الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا، بل وأثارت حالة من الجدل الكبير بين أعضاء حلف الناتو .

نعلم أنه قبيل زيارتكم للاتحاد السوفيتي، قامت أمريكا بتكليف سفيرها في مصر للتباحث معكم، وظلت المباحثات مستمرة طوال الليل ؛ ولهذا كانت تبدو عليكم علامات التعب والإرهاق عند وصولكم إلينا . فقد عملوا على إطلاق سراح دولاراتكم لإثارة حالة التأهب والحذر لديكم، وكلفوا أيزنهاور ليقدم قرضًا لكم في محاولة للتقرب منكم والتملق إليكم، فهم يهتمون بكم تمامًا مثل اهتمامهم بالعروسة الثرية . يستخدمون سياسة الترغيب والترهيب . فهم يدركون جيداً أن الخطوات الدبلوماسية ستعود بمزيد من النفع أكثر من اللجوء لاستخدام قوة السلاح . الأهم هو القدرة على استغلال الموقف .

نرى أنه في حالة إذا ما حصلتم على مقاتلات نفاثة متوسطة المدى، وصواريخ، فهذا لن يحسن من وضعكم، بل سيزيده سوءًا، وكذلك سيزيد وضعنا تعقيداً. فقد قال دالاس إن الاتحاد السوفيتي يجهز للحرب، وهذا يعني أن لقاءات الرئيس ناصر في موسكو مع قيادات الحكومة السوفيتية تحمل طابعاً عسكرياً.

يقـول عبدالناصر: إنه اسـتقبل السـفير الأمريـكي وقـت الظهيرة وليس في الليـل، وأنـه وصل إلى الاتحاد السـوفيتي دون الشـعور بأي إرهاق. وأن السـفير الأمريكـي قال لـه أثنـاء المباحثـات أن الولايـات المتحـدة الأمريـكية تعترف بسياسـة عدم الانحياز، التي تنتهجهـا الجمهورية العربية المتحدة وهذه هي المرة الأولى التي تعلن فيها الولايات المتحدة مثل هذا الاعتراف.

يقول ن. س. خروتشوف: إنه لابد من مواصلة انتهاج هذه السياسة.

يقـول عبدالناصر إن الولايات المتحدة الأمريـكيـة أعلنت أنها ترغب في أن تكـون صديقـة للجمهوريـة العربية المتحـدة. وأثناء المباحثـات طرحتُ عدة موضوعـات على السـفير الأمريـكي لكـي ينقلهـا إلى دالاس، لكـي يجيب عليها بقلب مفتوح.

ن. س. خروتشـوف: كـان لابد إذن من سـؤال السـفير الأمريـكي عن موضع قلب دالاس.

يقـول عبدالناصر: إنه تحدث مع السـفير الأمريـكي قائلاً له: «إن السياسـة التي تنتهجها الولايات المتحدة الأمريـكية معنا لن تحسن من علاقاتنا، وطرحتُ سـؤالاً موجهاً لـدالاس، هل تعتزم أمريـكا تغيير سياسـتها في علاقاتها معنا، وانتهاج سياسـة صديقة؟ لكني لم أحصل على إجابة قبل وصولي إلى الاتحاد السوفيتي، ولكن من الممكن أن أحصل عليها بعد عودتي».

قال لي السـفير الأمريـكي «إن سياسـتنا تتمثل في الدفـاع الذاتي لمواجهة أية أعمال تحريضية تجاهنا، وأننا لا ننتهج ولا نميل لسياسـة التحريض على الأعمـال الاسـتفزازية، فنحن نحـرص على الأمن والسـلام، ولكننـا نريد أن نثق في أن الأمريـكان لن ينظموا أية أعمال اسـتفزازية ضدنا أو ممارسـة أية ضغوط علينا».

يستكمل عبد الناصر حديثه، لقد تباحثنا حتى الآن في شئون الوضع بالشرق الأوسط والأدنى. وسنكون شاكرين لكم مجهودكم إذا ما حدثتمونا باختصار عن الوضع الدولي.

يقول **ن. س. خروتشوف**: إن الوضع الدولي يعني معالجة القضايا مع عدة أطراف غير معروفة. يسود العالم الآن حالة من عدم الثقة بين الدول، وبالتالي فإن علاج مثل هذه المسائل يتطلب الاستعداد لفهم كل طرف للطرف الآخر. وبالرغم من ذلك، فإننا نرى في الوقت الراهن حالة من تحسن الوضع الدولي وتنامي مفهوم مقاومة الشعوب للحروب في العالم أجمع.

ثم تحدث الرفيق خروتشوف بعد ذلك عن الوضع في دول متفرقة. حيث أشار إلى إن إنجلترا غير مستعدة للحرب، وبالنسبة لفرنسا فهي باتت دولة مفلسة ماليًا، حتى إنها أصبحت غير قادرة على التغلب على الوضع في الجزائر. وألمانيا الغربية هي الأخرى ليست مستعدة للحرب والشعب الألماني لا يرغب في خوض الحرب ويعترض على تسليح جيش ألمانيا الغربية بالصواريخ والسلاح الذري. ومما لا شك فيه أن تسليح جيش ألمانيا الغربية بالسلاح الذري هو أمر يشكل خطراً كبيراً. ولابد من وضع هذه المسالة في عين الاعتبار، غير أن ألمانيا الغربية غير مستعدة للحرب في الوقت الحالي.

فيما يتعلق بإيطاليا، فهي غير مستعدة للحرب هي الأخرى، وغير قادرة كذلك على شن حرب، وكذلك الحال لباقي دول أوروبا الغربية، فهم ليسوا على استعداد للحرب، ولا يشكلون قوة خطيرة. أما فيما يتعلق بدول الكتلة الاشتراكية، فهي دول ضد الحرب ولن تستطيع أن تشن الحرب حسب شخصيتها وطابعها.

لقد تغير الوضع السياسي في أوروبا بشكل جذري بعد الحرب العالمية الثانية، ويكفينا القول بأن ثلث ألمانيا أصبحت دولة اشتراكية. وهناك دول أخرى تحولت إلى النظام الاشتراكي مثل بولندا، تشيكوسلوفاكيا، المجر،

ألبانيا، بلغاريا، يوغسلافيا ! ولا يوجد دولة واحدة في أوروبا تستطيع أن تشن الحرب على أي واحدة من تلك الدول .

أما الولايات المتحدة الأمريكية، فهي القوة العسكرية الوحيدة الآن بالعالم، ولكنها لم تحارب بنفسها داخل أوروبا، فمن المعروف أنهم يحاربون على الطريقة الأمريكية . فالأمريكان يرغبون في أن يكون لديهم الدور القائد في التنمية الاقتصادية والتكنولوجية . والقوة التي يستطيعون الاعتماد عليها في أوروبا، هي ألمانيا الغربية، حيث قليلاً ما يعتمد الأمريكان على إنجلترا وفرنسا .

إيزنهاور: عجوز فطن ومحنك ويدرك جيداً أنه من الممكن القضاء على ألمانيا الغربية في الساعة الأولى من الحرب، وكذلك الحال بالنسبة لإنجلترا وفرنسا، وباقي الدول الصغيرة الأخرى. وهذا هو ما يدركه الدول الغربية، ولهذا يتنامى لديهم شعور مقاومة إشعال نيران الحرب والتصدي لها .

وعلى صعيد آخر، لا يجب أن تسقط تركيا من عين الاعتبار، فعندما حذرنا تركيا من إمكانية سقوطها، وأن الحلفاء لن ينقذوها، ساعدنا آنذاك نورستيد – قائد القوات المسلحة لحلف الناتو وأعلن أن الدول الغربية في حاجة لعشرة أيام لكي ترسل قواتها إلى تركيا وهذا يعني أن حلفاء تركيا كانوا يرسلون قواتهم فقط لأجل دفن الجثث، وكأن لسان حالهم يقول : لماذا نرسل قواتنا إلى مناطق منكوبة ومتضررة من التفجيرات النووية في الوقت الذي لا يتوجب علينا مساعدة تركيا .

لقد تشكل لدينا انطباع يفيد بأن الولايات المتحدة الأمريكية لا ترغب في الحرب الآن، وأن الرئيس إيزنهاور لا يريد الحرب. أما فيما يتعلق بدالاس، فهو ليس بحاجة لتضخيم حجم الحرب الباردة لأكثر من ذلك. لأن تضخيمها يعطي الولايات المتحدة الفرصة لوضع حلفائها في أوروبا في حالة رعب دائم وتجعلهم في حالة تعلق بالولايات المتحدة . دالاس من جانبه يحارب فكرة

وقف الحرب الباردة، لأن استمرارها يعود بالنفع على أمريكا، فهي وسيلة ردع للدول الغربية في حلف الناتو، مما يعطيها الفرصة لتطوير صناعتها العسكرية على أعلى مستوى , وبيع السلاح للدول الأخرى، توفير مزيد من فرص العمل، إرهاق ميزانية حلفائها وتطوير قدرتها على التنافس .

بيد أن حلفاءها في حلف الناتو بدأوا يدركون ذلك، ويعلنون صراحة أن تلك السياسة لم تعد مُجدية بالنسبة لهم .

لابد لنا من التحلي بالمثابرة, وأن نعلن لشعوب العالم ان الحرب الباردة تعود بالنفع فقط على المحتكر الأمريكي؛ ولهذا فليس من صالحهم تهدئة حالة التوتر والقلق التي يشهدها العالم الآن .

هناك حالة من التوتر تسود العالم في الوقت الراهن، لكن من الممكن تجنب الحرب إذا ما تكاتفت كل الدول والقوى المحبة للسلام لأجل دعم السلام والحفاظ عليه . هناك حروب محلية مشتعلة الآن، مثل تلك التي تقودها فرنسا في الجزائر على سبيل المثال، وإنجلترا في اليمن وأمريكا في إندونيسيا. ومؤخراً، تم وقف العدوان الثلاثي على مصر، وإفشال المخطط الأمريكي في سوريا . من الممكن أن تندلع الحرب فجأة باستخدام القنابل الهيدروجينية. فالأمر لا يتطلب سوى أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بعبور الحدود وإلقاء تلك القنابل وبذلك تندلع الحرب . ومن الممكن كذلك أن تندلع الحرب بسبب حادث ما . لنفترض أن طائرتنا فقدت اتجاهها أثناء تحليقها، سيعتقد العدو أننا بذلك نقوم بمهاجمة طيرانهم وبالتالي سيرسلون سلاح الطيران الخاص بهم لمحاربتنا .

لا توجد الآن أية قوى ترغب في شن حروب كبيرة، سوى هؤلاء الطائشين، ولحسن الحظ لا توجد في حكوماتنا أمثال هؤلاء الطائشين . يبدو وأننا نعيش في وضع صعب للغاية ولهذا لابد من اتخاذ الحيطة والحذر وإبداء الحكمة في السياسة واستخدام دعم الدول والقوى الاشتراكية التي لا تدعو للحرب .

إن النهضة الاقتصادية الناجحة للاتحاد السوفيتي والتطوير المذهل لتكنولوجيا العلوم، إطلاق أقمار صناعية من كوكب الأرض، فكل هذا يدل على مدى التفوق التكنولوجي الذي وصلنا إليه.وهذا يؤثر بشكل سلبي على القوى المعادية، لأنهم يكرهون نظامنا الاشتراكي، ولكنهم لا يستطيعون القيام بأي شيء، لأننا في كل عام نزداد قوة إلى قوتنا وهم يزدادون ضعفًا إلى ضعفهم . نقولها بكل صراحة، أننا لا نريد الحرب ولن نشنها في أي وقت . نحن على استعداد لإبرام اتفاقيات لدعم السلام، المشاركة في التصدي للعدوان كما سبق وأن أعلنا أثناء العدوان الثلاثي عليكم واقترحنا على الولايات المتحدة الأمريكية البدء في عمل تحركات مشتركة لمواجهة المعتدين .

كانت هذه هي وجهات نظرنا باختصار عن تقييم الوضع الدولي الحالي .

يسأل عبد الناصر كيف يمكن أن تندلع حروب محلية؟ .

يجيبه **ن. س. خروتشوف** إن تلك الحروب مندلعة الآن بالفعل .

يسأل عبد الناصر، وهل يمكن استخدام السلاح الذري في مثل تلك الحروب المحلية؟

يقول ن. س. خروتشوف إن هذا الأمر غير مُستبعد. ولكن الأمر يحتاج لمزيد من التفكير والدراسة الجيدة في كيفية استخدام مثل هذا السلاح.خاصة وأن الحرب في كوريا قد أوضحت أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تخاطر باستخدام هذا السلاح الذري . فعلى الرغم من مشاركة متطوعين صينيين، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تخاطر بمهاجمة الصين، وهذا يوضح أن أمريكا كانت تخشى من الهجوم على الصين لان هذا سيشعل حربًا كبيرة للغاية .

وفي الحرب مع فيتنام، لم تقتصر المشاركة على فرنسا فقط، بل وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية ولكنها لم تخاطر هناك باستخدام السلاح الذي



بالرغـم من تكبدهم الهزيمة . وهذا يشـير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية تنظـر بعين الاعتبار إلى مسـألة توافق القوى، ولا ترغب في إشـعال فتيل حرب كـبرى الآن . ولكنهـا ترغب في اسـتعادة وضعهـا ومكانتهـا الاجتماعية مـن خـلال تفجـير سـوريا، الـتي رفضـت الاعـتراف بمبـدأ « دالاس - إيزنهاور « الاسـتعماري. فقد أرادوا معاقبة سـوريا، غير أن إحبـاط تلك المحاولات كان أكبر هزيمـة تتجرعها الولايات المتحدة الأمريكية وأكبر دليل على فشـل مبدأ « دالاس - إيزنهاور».

سـتظل الشـعوب الواقعة تحت براثن الاسـتعمار تناضل من اجل نيل التحرر الوطني والاسـتقلال ومن الواضح أن المسـتعمرين لن يغادروا أراضـي تلك الدول علـى أنغام العروض العسـكرية، وإنما سـيرحلون على أصـوات دوي المدافع, وهـذا أمر يعلمه الجميع. فالتخلص من نيران الاسـتعمار لـن يأتي إلا من خلال النضـال، الذي سـيمكـن من حماية ذلك الاسـتقلال والدفاع عنـه. فلن يترك المستعمر مكانه دون أن يكون هناك مقاومة ضده .

يقـول **عبدالناصر** : نعرب عن عميق شـكرنا لهذا التحليـل الدقيق للوضع الدولي .

يتوجه ن. س. خروتشوف بالشكر لعبد الناصر على الكلمة التي ألقاها .

يقول عبد الناصر إنه إذا ما كان هناك تصريح أو بيان عن نتائج مباحثاتنا، فمن الممكن أن يُطرح هذا الموضوع على بساط المناقشة على مستوى وزراء الخارجية : أ. أ. جروميكو و أ.فوزي.

يوافق ن. س. خروتشوف على هذا الاقتراح .

انتهى الحديث عند هذا الحد.

كلمة ن. س. خروتشوف في اجتماع ١٥ مايو ١٩٥٨[(٢٨)]



سيادة الرئيس الموقر جمال عبد الناصر !

السادة الضيوف الأعزاء مرافقي رئيس الجمهورية العربية المتحدة !

الرفاق الأعزاء !

نجتمع اليوم هنا لكي نعبر عن مشاعر الصداقة التي يكّنها شعوب الاتحاد السوفيتي إزاء شعوب الجمهورية العربية المتحدة . اسمحوا لي أن أرحب في البداية من عميق قلبي بحضور السيد جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة والسادة الضيوف الأعزاء المرافقين له .

(٢٨) الأرشيف الحكومي الروسي للتاريخ المعاصر، مخزن رقم ٥٢، ن. س. خروشي، قائمة رقم ١، موضوع رقم ٤٦٠، السطور : ٤٠-٥٧، النسخة مكتوبة على آلة كاتبة.



يمكننا القول بكل فخر إن العلاقات بين البلدين والشعبين تتحسن من عام لآخر وتتطور في إطار روح الصداقة المخلصة والتعاون الجيد .

حيث يُعتبر الاتحاد السوفيتي عدوًا لا يُستهان به في وجه نظام الاستعمار المشين، ويقدم الدعم لكافة الشعوب التي تناضل لأجل نيل استقلالها وتحرير أراضيها . نعلم مدى صعوبة ميلاد مولود جديد والقوى القديمة لا تريد الاعتراف بهذا المولود الجديد فحسب، بل وتبذل قصارى جهدها لتدميره والقضاء عليه منذ لحظة ميلاده .

لقد ولدت الدولة السوفيتية ونشأت وسط صراع قوى العالم القديم, وكذلك الحال بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة، فقد ولدت هى الأخرى في ظل صراع ضد قوى الاستعمار، هذا الكيان الجديد يضم دولتين مستقلتين هما مصر وسوريا، يتمتعان بحضارات قديمة .

لقد وجهت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمي لكمة قوية على وجه الأنظمة الإمبريالية والاستعمارية. حيث شهدت العقود الأربعة الماضية تغيرات كبيرة في الكرة الأرضية ومنها هزيمة المعتدين في سنوات الحرب العالمية الثانية، انتصار ثورة التحرير الشعبية بالصين، تشكيل مجموعة كبيرة من الدول الاشتراكية في أوروبا وآسيا – فقد أسهمت كل هذه التغيرات في توجيه ضربة قاسمة جديدة للنظام الأمريكي, وبدأت تظهر على خريطة العالم دول مستقلة جديدة .

فعندما وصلت حكومة عبد الناصر إلى السلطة في مصر وأخذت تنتهج سياسة لصالح البلاد، بدأ المستعمر يعرقل نشاط تلك الحكومة في مصر، من خلال تدبير المؤامرات والمكائد، تنفيذ عمليات اغتيالات وإسقاط الحكومة . وعندما فشلت كل تلك المحاولات، قرروا آنذاك استعادة النظام الاستعماري بالقوة وأشعلوا نيران الحرب على مصر .

غير أن تلك المغامرة العسكرية التي دُبرت ضد مصر قد انتهت بفشل ذريع للدول الاستعمارية و نجاح كبير للشعب المصري. نحن نفخر بالنضال

البطولي للشعب العربي لأجل نيل حريته واستقلاله ونفخر كذلك بشهامته التي أبداها أثناء تصديه للعدوان الثلاثي .

والشعوب السوفيتية من جانبها تشعر بالسعادة إزاء تحرر شعوب آسيا وإفريقيا من براثن الاستعمار . ونحن على استعداد لبذل قصارى جهدنا للمساعدة في تحقيق التحرر الكامل من براثن ذلك الاستعمار. وبالنسبة للجمهورية العربية المتحدة فهي تسير في طريق حماية مصالحها والدفاع عنها أمام مكائد ومؤامرات المستعمر ودعم التعاون مع الدول والحكومات المحبة للسلام .

لقد نشأت علاقات الصداقة بين بلدينا على أساس الاعتراف بمبادئ الاحترام المتبادل لوحدة وسيادة أراضي كل دولة، عدم الاعتداء، عدم التدخل في الشئون الداخلية، المساواة والمنفعة المتبادلة، مبدأ التعايش السلمي والتعاون الاقتصادي . وقد أصبحت هذه المبادئ بمثابة الركيزة التي تقام عليها أية علاقات ثنائية مع الدول الأخرى، فهي تتوافق مع السياسة الخارجية الداعمة للسلام التي ينتهجها الاتحاد السوفيتي . خاصة وقد أعلن فلاديمير لينين هذه المبادئ منذ لحظة ميلاد السلطة السوفيتية .

يجيء من أهم عوامل التقارب بين الدول هو العلاقات الاقتصادية المتبادلة، ففي حالة وجود علاقة غير سليمة لدولة ما إزاء المصالح الاقتصادية لدولة أخرى، فهذا من الممكن ان يؤدي إلى تدهور كبير في تلك العلاقة وأحيانًا ما تظهر مثل هذه الحالات كذلك بين الدول الصديقة .

أما نحن فليس هناك مثل هذه الحالات فيما بيننا وهذا أمر يسعدنا كثيراً.

هناك مفاهيم مختلفة لمصطلح « الصداقة «، بالنسبة للإمبرياليين فهم يحبون الحديث عن «صداقتهم « مع الشعوب المستعمرة.ولكنهم في الواقع يريدون من ذلك الصديق الذي يتوددون إليه، أن يصبح عبداً لهم لكي يعمل دائمًا على تحقيق مصالحهم بدون أي تفكير .

لقـد كان هناك دول محتلة في وقت ما، ولكن ما سـبب ذلك الاحتلال؟ في الحقيقة لم تكن تلك الدول محتلة، بل وصل إليها أفراد متعلمون نقلوا إليهم الحضارة . وأراد السكان الأصليون لتلك الدول سواء كانوا مسلمين أم هنودًا الحيـاة في بلادهم وفقـاً لقوانين ومعتقدات أجدادهم، فقام المسـتعمر بإطلاق النيران على قطاع كبير من هؤلاء السكان . و انتصرت « الحضارة « في نهاية المطاف, وأقر المحتل نظامه ليفرضه على تلك الدول التي احتلها .

تتواصـل عملية اسـتعباد الشـعوب بشـكل بغيـض, وذلك تحت غطاء التأكيدات المليئة بالرياء حول البعثة النبيلة للمستعمرين .

ونتيجـة لتغلغـل «الحضـارة» علـى هـذا النحو، فقـد أصبح هناك شـعوب كثيرة كانت في الماضي مراكـز تنوير وتطوير الحضارة الإنسـانية، باتت تلك الشـعوب الآن متخلفـة ولم تلحق بقطار التنمية وتخلفـت عن باقي الدول التي أصبحتهي المسـئول عن تدبير شـئون تلك الدول المسـتعبدة . والآن يـؤكد المستعمرون أنهم لن ينسحبوا من تلك الدول، لأنها مازالت في طور التنمية وغير قادرة على حكم نفسها بنفسها .

يا للكذب السافر الذي تحتويه مثل تلك التأكيدات! يا ترى ما هي أهمية أن يقوم المستعمر الهولندي، الإنجليزي، الفرنسـي وغيرهم بتعليم طريقة إدارة شـئون البلاد والبناء المجتمعي لشعوب دول مثل إندونيسيا، مصر، الهند، بورما أو دول أخـرى كانت مهـداً للحضارة والثقافـة قبل وقت طويـل مـن ظهور تلك الدول التي توصف بأنها دول متحضرة ؟

نعلـم جيـداً أن دول الغرب تحـرص علـى الحصـول علـى المواد الخـام من دول الشـرق، غير أن هذا لا يعني علـى الإطلاق أن القوى الإمبريالية تسـتطيع فرض شـروطها المجحفة بالقوة لاسـتغلال ثروات تلك الدول. فلابـد من ضمان لتوفير المـواد الخـام للـدول الغربية، غـير أن هذا الضمـان لا يأتي من خلال سـرقة دول الشـرق، وإنما عـن طريق تطوير علاقـات التجارة المتبادلـة معها كي تحصل

على التعويض المناسب من الدول الغربية مقابل المواد الخام والسلع التي تحصل عليها من دول الشرق. و نحن من جانبنا نشجع تطوير مثل هذه العلاقات لأننا نحترم مبدأ تنمية علاقات المنفعة المتبادلة مع كافة الدول .

ولكننا في الوقت نفسه، لا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي في حالة إذا ما حاولت الأطراف الإمبريالية فرض إرادتها بالقوة على الدول التي أسقطت من على كاهلها قيود وأغلال نفوذ الاستعمار. حيث إن هذا يتعارض مع مفهومنا للعلاقات المتبادلة السوية بين الدول .

فعندما نقيم علاقات صداقة مع الدول الأخرى، فإننا لم ولن نفرض أنفسنا على الشكل الإداري لنظام حكمهم وليس شغلنا الشاغل هو الحصول على أية مكاسب مادية من وراء تلك العلاقات . ترى هل يوجد بالدول العربية ما هو غير موجود لدى الاتحاد السوفيتي؟ فما هي ثروات الدول العربية ؟ فنحن لدينا ثروات نفطية لا حصر لها .

من المعروف أن الدول العربية غنية بالشمس التي تسطع عليها طوال العام، وكان لتلك الظروف المناخية الملائمة الفضل في مساعدتهم على زراعة « الذهب الأبيض «، ولكن لدينا إمكانات كبيرة لزراعة القطن ونزرع منه بالفعل بعض الحقول .

ترى ما الذي تمتلكه الدول العربية ؟ إنهم يزرعون الموز، البلح وهي من المحاصيل غير المتوفرة لدينا , ولكننا لن نحارب من أجلهم في يوم من الأيام! ويمكننا الحصول على الموز والبلح من خلال إبرام اتفاقيات مع الجمهورية العربية المتحدة أو أية دولة أخرى بشرط أن يبيعوا لنا بسعر مناسب ويشتروا لدينا سلعًا أخرى غير متوفرة لديهم .

لقد اعتاد شعبنا على العيش والحياة على حساب المجهود الذي يبذله، ونحن نحترم مجهود كل الشعوب, ونرى أنه من حق كل فرد وكل شعب أن يتذوق ثمار جهده ويستمتع بثروات بلاده .

ولهذا لا يوجد ما يدعو للخلاف في علاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة وباقي الدول . وفي حالة إذا ما حرصت كل دولة وكل حكومة على تجنب خلق أية أسباب مصطنعة لشن الخلافات، سيكون هناك تطور وسمو للعلاقات الطبيعية بين الدول على أساس سليم وراسخ .

وفي الوقت نفسه، فقد أبرم الاتحاد السوفيتي اتفاقًا مع مصر وسوريا اللتين أصبحتا تشكلان كيانًا عربيًا واحداً الآن . ونحن نلتزم ببنود هذا الاتفاق ونأمل المساعدة في تطوير وتنمية الجمهورية العربية المتحدة وزيادة حجم اقتصادها .

من المعروف أنه لا يمكن تحقيق الاستقلال السياسي لأي دولة إلا في حالة إذا ما كان لدى تلك الدولة ركيزة اقتصادية قوية . فالشعب غير القادر على حماية استقلاله والدفاع عنه من الممكن أن يفقده إما نتيجة لهجوم العدو أو تقويض كيان الدولة من الداخل بمساعدة الحكومة المزيفة والعميلة.

وتتمتع القوى الإمبريالية بخبرة كبيرة في هذا الشأن. فهم قادرون على خلق وإيجاد مثل تلك الحكومات في الدول التي استقلت عنهم وتخلصت من تبعيتها لهم، ومن ثم يتم تشكيل حكومات وطنية من حيث الشكل الخارجي فحسب، أما في الواقع فهي تعمل على تعزيز سيطرة وهيمنة المستعمر. وبفضل تلك الحكومات التي اشترتها قوى الاستعمار، تُعد القوى الإمبريالية هم أصحاب اليد العليا لاقتصاد تلك الدول التي تحررت من براثن الاستعمار ظاهرياً فقط .

ويسعدنا كثيرًا أن الجمهورية العربية المتحدة تنتهج سياستها المستقلة على الرغم من دسائس ومكائد قوى الاستعمار، وهي تسير بخطى ثابتة نحو

تطوير اقتصادها ودعم استقلالها الوطني على الصعيد الدولي وتناضل لأجل الحفاظ على سلام وأمن الشعوب .

إن الشغل الشاغل لدى معظم شعوب دول العالم الآن هو الحيلولة دون السماح باندلاع حرب، فالشعوب تحكم على سياسة حكومتها من خلال الجهود التي تبذلها لتحسين الوضع الدولي، إقامة علاقات سوية بين كافة الدول، القضاء على «الحرب الباردة» والحفاظ على السلام . فنحن نسعى من جانبنا للقضاء على «الحرب الباردة» والجميع يعلم موقفنا من ذلك . فقد قام الاتحاد السوفيتي بحظر تجارب السلاح النووي من جانب واحد . ولكن للأسف، فعلى الرغم من دعواتنا المتواصلة ومن مطالب الشعوب التي تنادي بأن يصبح الاتحاد السوفيتي قدوة يحتذى بها أمام كل من أمريكا وإنجلترا، إلا أن هذه الدول لم تحتذ بنا، ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل وبدأت تجرى تجارب جديدة على السلاح النووي بشكل علني وصريح على مرأى ومسمع من الجميع .

ويساند الاتحاد السوفيتي من جانبه فكرة حظر « الحرب الباردة » ومبدأ التعايش السلمي والتنافس بين الأنظمة المجتمعية . فلدينا القدرة على النظر إلى الأمام، ونثق في نظامنا الاشتراكي وأولوية تطويره المنهجي البعيد عن الأزمات .

وعلى صعيد آخر، نجد أن الإنجازات الاقتصادية و النجاحات تتوالي في مجال العلوم والتكنولوجيا يومًا تلو الآخر . ومؤخرًا رحب العالم أجمع بتجربة إطلاق أول قمرين صناعيين سوفيتي الصنع من الأرض إلى الفضاء . واليوم (١٥ مايو- المؤلف) تم إطلاق ثالث قمر صناعي سوفيتي وبدأ عمله داخل المدار، يصل وزنه لأكثر من ١٣٠٠ كجم ومزود بأحدث جهاز علمي بوزن ٩٦٨ كجم. لا أريد التقليل من شأن الولايات المتحدة الأمريكية، ولكني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الفرحة والفخر بإنجازات دولتنا (تصفيق).

إذا ما نظرنا إلى وزن القمر الصناعي الثالث, وكيف تم ذلك في علم الحساب وفقًا لقاعدة المراحل الثلاثة، مقارنة بذلك القمر الصناعي الذي أطلقته الولايات المتحدة الأمريكية، فالأمر يحتاج إلى سلة كبيرة جدًا لوضع هذا الكم من مثل تلك الأقمار التي صنعت بحجم البرتقال[٢٩] التي تنتجها أمريكا لكي تنافس بها الاتحاد السوفيتي . (تصفيق).

أريد أن يتم تأويل حديثي بشكل صحيح داخل الولايات المتحدة الأمريكية، حيث إنني لم أشكك في الإنجازات التي حققوها في مجال الصناعة، العلوم والتكنولوجيا، ولكن اسمحوا لنا ألا نحرم أنفسنا من الفخر القومي بنظامنا الاشتراكي الذي سمح لنا بالتفوق على الولايات المتحدة الأمريكية وتخطى علومها وتكنولوجيتها في هذا المضمار (تصفيق).

وأكرر للمرة الثانية أننا لا نريد استخدام هذه الاختراعات لإلحاق الضرر بالبشرية بأي حال من الأحوال سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر .أريد الإشارة كذلك إلى أن البيئة المحيطة بنا ، أو حالة العزلة إن صح القول، هي محاولة لعرقلة تنمية اقتصاد وتكنولوجيا الاتحاد السوفيتي وهو ما حاولت الولايات المتحدة الأمريكية القيام به منذ عدة سنوات وهذا لن يؤدي إلى أي شيء يذكر. إنهم يتوهمون بأنهم يحاصروننا ولكنهم في الواقع لا يحاصرون إلا أنفسهم لبعدهم عن إنجازاتنا , وقد تفوقنا على تطورهم الاقتصادي والتكنولوجي . (تصفيق).

ألم يحن الوقت للعودة إلى عقولنا والنظر بشكل واقعي للأشياء وعدم إخافة وترويع كل طرف للآخر، فالأفضل هو الجلوس على مائدة التفاوض والحديث عن كيفية الحياة والعيش، كيف نؤسس ونطور علاقاتنا الاقتصادية والثقافية . ولا تقتصر هذه الرغبة فقط على شعوب الاتحاد السوفيتي، التي أرادت ذلك منذ عهد بعيد، بل هي رغبة شعوب الولايات المتحدة الأمريكية الآن وكل شعوب العالم (تصفيق).

---

(٢٩) تم إطلاق أول قمر صناعي أمريكي " اكسبلورر ١ " في فبراير ١٩٥٨، بوزن يقدر بنحو ٨,٣ كجم .

إن الإنجاز الجديد الذي توصل إليه العلماء السوفييت والمهندسين والفنيين والعمال الذين أسهموا في إطلاق هذا القمر الصناعي القوي إلى الفضاء هو خير دليل على معدلات التطور السريع للفكر العلمي والتكنولوجي بالاتحاد السوفيتي, وبالتالي يمكن معالجة أية مسائل في التنمية الحديثة من خلال قوة الصناعة السوفيتية.

اسمحوا لي أن أتقدم بخالص التهنئة القلبية لكل علمائنا، مهندسينا والفنيين الذين شاركوا في إنتاج هذا القمر الصناعي الجديد، أهنئهم بهذا الانتصار العظيم.

لقد بات واضحا للجميع إننا لسنا بحاجة للبحث عن معالجة القضايا الدولية من خلال شن العدوان والحروب ونسعى بإخلاص نحو التقليل من حالة التوتر الدولي.

ولهذا فإننا نتعجب من أن الاحتجاج المبرهن للحكومة السوفيتية إزاء تلك الغارات التي شنتها الطائرات الأمريكية التي كانت تحمل قنابل هيدروجينية في اتجاه حدود الاتحاد السوفيتي، لم يجد هذا الاحتجاج الدعم اللازم لدى مجلس الأمن الدولي، مع ملاحظة أن هذا المجلس هو المنوط بإصدار الأمر المباشر للتصدي لمخاطر الحرب والحفاظ على السلام.

وبدلاً من توجيه الإدانة للمذنبين والمحرضين على شن مثل هذه الغارات التي تهدد العالم، فقد حاول ممثلو الولايات المتحدة الأمريكية استبدال هذا الموضوع بموضوع آخر. وبدلا من أن يتم مقاضاة هؤلاء الذين يقومون باتخاذ خطوات عدائية يمكن أن تؤدي إلى شعال نيران الحرب، نجدهم يقترحون علينا أن نعترف بحقهم في شن مثل هذه الغارات بشكل واضح. وقامت الحكومة الأمريكية بتقديم اقتراح إلى منظمة الأمم المتحدة حول إقرار عملية تفتيش في منطقة القطب الشمالي ووعدت بتقليل حجم الغارات التي تقوم بها طائراتها عند حدود الاتحاد السوفيتي, وأكرر تقليص الغارات

وليس منعها . ولكن هل يمكن الموافقة على مثل هذه الاقتراحات ! فعندما يوافق مجلس الأمن الدولي على حجة المحرضين على تلك المناورات الخطيرة فهو بذلك ينسف الثقة به . وهذه الأمور ليست من باب المصادفة، فمن المعروف أن مجلس الأمن الدولي يضم تلك الدول التي ترتبط بالولايات المتحدة الأمريكية في صورة تكتلات عسكرية . كما أن هذا المجلس لا يمثل أي طرف لأن وجوده يعتمد على تلك التبرعات التي تدفعها الولايات المتحدة الأمريكية . ترى هل يستطيع ممثلو الدول الأعضاء بحلف شمال الأطلنطي أن يكون لهم صوت مخالف لما تريده الولايات المتحدة الأمريكية ؟ الإجابة ستكون بالنفي لأن هذه الدول مقيدة من يديها وقدميها بالتزامات مختلفة أمام الولايات المتحدة الأمريكية .

من الضروري كذلك أن ندرك جيدًا أن علم الرياضيات لا يتوافق دائمًا مع السياسة. ودائمًا ما نتعرض للوم لاستخدامنا حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي، فلم نكن نحن أصحاب مبادرة إدراج هذا الحق ضمن ميثاق منظمة الأمم المتحدة ولكننا نرى أنه حق جيد . فيكفي أنه يسمح بتجنب اتخاذ القرارات المجحفة وغير العادلة ويدفع للبحث عن القرارات السليمة لمعالجة القضايا الشائكة من خلال الجهود المشتركة، وهي قرارات تراعي مصالح كافة الأطراف المعنية والحفاظ على السلام . كما أن حق الفيتو يحمي منظمة الأمم المتحدة من اتخاذ أية قرارات تهدد السلام. و نحن سنظل نستخدم هذا الحق لحماية العالم من القرارات المجحفة والظالمة .

نجد اليوم أن شعوب العالم الآن باتت تعلق آمالاً عريضة على اللقاءات والاجتماعات التي تعقد على مستوى القمة . فلماذا نرى أن مثل هذه اللقاءات ستكون مجدية ؟ لأننا نرى أن هناك بعض القضايا الدولية قد وصلت إلى ذروتها وحان الوقت لعلاجها والتوصل إلى اتفاق لحلها من خلال اجتماع رؤساء الحكومات مما سيضع حجر الأساس لمعافاة الوضع الدولي وسيكون خطوة للأمام في طريق القضاء على «الحرب الباردة « . نرى أن لقاءات القمة هي

أمـر في غاية الأهمية ولابـد من أن يتعامل الجميع معهـا بصورة جديدة، و نحن مـن جانبنا نبذل قصـارى جهدنا لـكي يتـم عقد هذا الاجتماع في أسـرع وقت ممكن و نحرص على إنجاحه .

أحيانًـا ما يقدم بعـض ممثلي دول الغرب شـروطاً غير مقبولـة وقضايا من المفترض أن يتم مناقشتها من خلال لقاءات القمة، فهل من الممكن أن يتم حسم قضية نظام الدولة في دول أوروبا الشـرقية ومناقشـة المسألة الألمانية بالشكل الذي تقترحه دول الغرب، متجاهلين في ذلك وجود دولتين ألمانيتين، فهل هذا من الممكـن أن يكتـب النجاح لهذا الاجتماع؟ فإن وضع هاتين المسـألتين هو غير قانوني، وسـبق وأن تحدثنا في هذا الشـأن مرات عديدة .حيث يمكـن مناقشـة الملـف الألمانـي في لقاءات القمة في الجزئية المتعلقة بإبرام اتفاق السـلام فقط. كما أن مسألة لمّ شمل ألمانيا من جديد هو شأن داخلي خاص بالشعب الألماني .

وتجـيء قضية نزع السـلاح ضمن القضايـا الجوهرية الدوليـة التي يتطلب معالجتها أيضًا وسـبق وأن أشـرنا إلى أن الاتحاد السوفيتي على استعداد لحسم تلـك القضايا على الفور، ولكـن يجب معالجتها مع الوضع في الاعتبار مصالح أمن كافة الأطراف المعنية .

لقد أوضحت تجربتنا مع الدول الغربية أنهم لا يريدون السير في طريق البحث عن حل رئيس لقضية نزع السـلاح, وذلـك في الوقت الذي يمكـن فيه التوصل إلى هـذا الحل بشـكـل تدريجي . فلمـاذا لا يتم التوصـل إلى اتفاق حول وقف تجارب السـلاح النووي على سـبيل المثال، وحول تقليص حجم القوات المسلحة ثـم بعد ذلـك نبدأ معالجة باقي قضايا نزع السـلاح وإقرار رقابـة فعلية في هذا الشأن. فقد تقدم الرئيس الأمريكـي إيزنهاور مؤخراً باقتراح لتكليف الخبراء الفنيـين بالتوصل إلى اتفاق حول صيغة إقرار تلك الرقابة بحيث لا يمكـن لأية دولة القيام بتجارب تفجيرات السلاح النووي سراً. ومن المعروف أن موقفنا من تلك المسـألة واضح من البداية، حيث إننا لم نرفض فقط تلك التجارب، بل واقترحنا إقـرار الرقابـة اللازمة علـى تطبيق اتفاقيـة حظر التجـارب النوويـة والقنابل

الهيدروجينية. ولكن نرى أن الأهم من ذلك هـو الاتفاق على حظر التجارب ثم معالجة المسائل الفنية المرتبطة بهذا الشأن. وبما أن الحكومة الأمريكية تفترض أن يتم تحقيق نتائج إيجابية من خلال هـذا الطريق، إذن فنحن على الاستعداد الفوري لاختيار الخبراء لدينا وتكليفهم بعمل التفاصيل اللازمة في هذه المسألة, وندعو شركاءنا لاختبار تلك الإمكانية .

لقد حان الوقت للوقوف على الطريق الحقيقي انطلاقاً من الوضع المتأزم للبحث عن حلول للقضايا المعقدة التي يمكن الوصول إلى اتفاقات مقبولة بشأنها دون المساس بأمن أي طرف من الأطراف . ونرى من وجهة نظرنا أن هذا الطريق سيضمن إنقاذ الوضع الدولي، القضاء على « الحرب الباردة « وتهيئة الظروف المناسبة للتعايش السلمي .

أيها الرفاق ! والأصدقاء!

لقد أوشكت زيارة الرئيس عبد الناصر والوفد المرافق لـه لأراضي الاتحاد السوفيتي على الانتهاء، وقد تجول ضيوفنا خلالها في عدد من أنحاء البلاد ورأوا بأعينهم مشاعر الصداقة الحقيقية التي يكنها الشعوب السوفيتية تجاه الجمهورية العربية المتحدة وشعبها العاشق للحرية . و نحن سعداء بهذه الزيارة, ونأمل أن يأتي إلينا مزيد من الضيوف لكي يتعرفوا على حياتنا. ويمكنهم الاستفادة من كل ما يرونه يأتي في صالحهم ومناسب لهم . و نحن على استعداد لمشاركة خبرتنا مع أصدقائنا وكل الإنجازات التي توصلنا إليها في شتى المجالات : العلوم، الثقافة، التكنولوجيا . وكانت زيارة الرئيس عبد الناصر لبلادنا قد شهدت عدة لقاءات ومباحثات حول القضايا التي تعني حكومتي البلدين . و قد أكدنا على وجود تفاهم متبادل في مختلف القضايا بين البلدين . وقد تم تلخيص نتائج مباحثاتنا في بيان مشترك .

ومما لاشك فيه أن زيارة الرئيس عبد الناصر لأراضي الاتحاد السوفيتي هي زيارة تحمل مغزى عميقًا لإقرار السلام ليس فقط في إقليم الشرق الأوسط، بل والعالم أجمع .

ونشـير بكل رضاء إلى أن التطور الناجح للتعاون الاقتصادي والثقافي بين البلدين، القائم على مبادئ المساواة والتكافؤ والتعاون الوثيق، سيعود بالنفع الكبير على الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة على حد سواء .

لابـد وأن نذكر أنـه في إطار تعزيز الصداقة بين الشـعوب المحبة للسـلام، سـنجد أن قوى المعسـكر الإمبريالي لن يتوقفوا عن محاولاتهم لهدم وتقويض تلـك الصداقـة . وهذا يحثنا علـى أهمية أن نكـون في حالة مـن اليقظة إزاء دسـائس ومكائد تلك القوى والحيلولة دون السـماح لهـم بالقضاء على تلك الصداقـة القائمـة بين الجمهوريـة العربية المتحـدة و الاتحاد السـوفيتي وباقي الدول المحبة للسلام .

كما أننا ننظر إلى زيارة الرئيس جمال عبد الناصر والوفد المرافق له للاتحاد السوفيتي على أنها إسهام عظيم في تعميق وتوطيد أواصر الصداقة بين البلدين . وسـنظل من جانبنا ندعم ونعزز العلاقـات الاقتصادية والثقافية المتبادلة بين البلديـن, وسـندعم التعاون من أجل إضعـاف حالة التوتر الدولي حفظ السـلام الشامل .

نتمنى لضيفنا المحترم والموقر والبطل القومي للشعب العربي الرئيس جمال عبد الناصـر والوفـد المرافق له وافر الصحة والتوفيق لصالح دولته وإقرار السـلام في كل العالم .

فلتحيا الصداقة العربية – السوفيتية !

فليحيا السلام في كل أنحاء العالم !

كلمة جمال عبدالناصر في اجتماع ١٥ مايو ١٩٥٨[٣٠]

السيد الرئيس، والأصدقاء !

أتوجه بخالص الشكر على منحي إمكانية اللقاء معكم قبل يوم من مغادرتي لأراضي الاتحاد السوفيتي لكي أعرب باسمي واسم زملائي عن بالغ امتناننا لتلك المشاعر الطيبة المغمورة بالحب التي لمسناها لديكم. لقد استفدت وزملائي بشكل كبير من زيارتنا لبلادكم. فقد سمعنا وقرأنا كثيراً عن الاتحاد السوفيتي، غير أن الدعاية التي يروجها الأعداء قد صورت لنا صورة غير صحيحة عن بلادكم. فعندما أتينا إليكم، وجدنا حب العمل، الجدية في النضال لأجل السلام ودعم اقتصاد البلاد. لقد رأينا أعمالاً عظيمة في كل مدينة زرناها في دول الاتحاد السوفيتي ولكن يجيء من أعظم ما رأيناه هو الشعب السوفيتي، الذي يعمل بكل حب وإخلاص باذلاً كل جهده لدعم السلام. فكل يوم قضيناه هنا في رحابة الاتحاد السوفيتي أضاف لنا أدلة جديدة حول ذلك الحب المتزايد لشعبنا. وإنني متأكد من أن كل من يأتي لزيارتكم سيكون شاهد عيان على إخلاص شعبكم لأجل السلام ودعم اقتصاد البلاد (تصفيق).

(٣٠) من كتاب الاتحاد السوفيتي والدول العربية، ص ص ٤٩٤– ٤٩٧ .



يمكنني القول من خلال هذا المنبر إن كل من يرغب في التعرف على بلادكم، فعليه وأن يزور الاتحاد السوفيتي لكي يتعرف عليه وعلى شعبكم, ويرى كيف يعمل هذا الشعب بكل إخلاص لأجل السلام . أقول ذلك لأن الدعاية الإمبريالية المعادية تنشر الكثير من الشائعات الكاذبة عن شعبكم ويصورنه كأنه شعب مسلح ومستعد للحرب والعدوان طوال الوقت . غير أن ما رأيناه بأعيننا يختلف جذرياً عن تلك الشائعات المغرضة . (تصفيق).

عندما نغادر الاتحاد السوفيتي في الغد سنحمل معنا مشاعر حبكم وصداقتكم التي توحد شعوبنا، سنحملها إلى شعبنا الذي يكن لكم نفس المشاعر (مواصلة التصفيق).

وإنني إذ أنتهز تلك الفرصة لكي أتحدث عن بلادنا والشعوب العربية والظروف التي كنا فيها والظروف التي نمر بها الآن .

لقد عانينا من نير الإمبراطورية العثمانية قرابة خمسمائة عام، كما عانينا من نيران الدول الاستعمارية طوال سبعين عام : والدول التي استعمرتنا

هــي إنجلترا وفرنسـا . وعانينا كذلك من ظلم النظـام الإقطاعي وفرض نفوذ القوى المختلفة .

ثـم جـاءت الثورة لكي تحرر الشـعب من هذا الظلم (تصفيـق). فقد عبَّرت الثـورة عـن رغبـة وإرادة الشـعب الذي ناضـل طويلاً ضـد النظـام الإقطاعي والمسـتعمر الأجنـبي وضد نظـام السـخرة والاسـتعباد. فقد نجحـت الثورة في الوقت الـذي كان يوجد في البلاد حوالي ثمانين ألـف جندي من قوات الاحتلال البريطانـي وذلك وفقاً للاتفـاق المبرم من قبل بين مصـر وإنجلترا والذي كان يسـمح لإنجلـترا بتواجـد عشـرة آلاف جنـدي في أراضينا. و نجحنـا في إخراج قوات الاحتلال من أراضينا بهدف السـير في طريق تعزيـز مصر ودعم استقلالها. (تصفيق).

لقد جاءت الثورة لتحقيق ستة أهداف، تتمثل في :-

١. القضاء على الاستعمار وأعوانه في بلادنا.

٢. القضاء على النظام الإقطاعي.

٣. القضاء على الاحتكار وهيمنة رأس المال على السلطة.

٤. إقرار مبادئ العدالة الاجتماعية .

٥. إنشاء جيش وطني قوى .

٦. إقرارنظام ديمقراطي سليم .

كانت هذه هي الأهداف التي انطلقت من أجلها شرارة الثورة . لقد حرصنا في الأيـام الأولى من الثورة على إخراج قوات الاحتلال من أراضينا التي عاشـوا عليها قرابـة ٧٥ عامًا وبالفعل تم جلاء قوات الاحتلال بشـكل نهائي في يونيه ١٩٥٦ وقـد أرادوا العـودة مرة ثانية إلى أراضينـا في أكتوبر من نفـس العام، غير أنه بفضل قوة وحسـم الشعب، ومساندة الشعوب التي هبت لمساعدتنا والدعم الذي وجدناه من جانب الاتحاد السـوفيتي والدول المحبة للسـلام وقـوى باندونج، أدى كل هذا إلى لجم قوى الاحتلال وإجبارها على العودة لأراضيها . (تصفيق) .

لقد فشل العدوان ضدنا كما فشل في الدول الأخرى. أريد الإشارة هنا إلى أن أي عدوان على أية دولة لن يحظى بأي دعم لدى شعوب دول العالم، حتى وإن كانت تلك الدول هي التي أرسلت قواتها لشن العدوان مثل إنجلترا وفرنسا. فقد باتت الشعوب اليوم تدرك معنى وأهمية السلام ومخاطر الحرب. فالشعوب اليوم تريد العيش في عالم يسوده الهدوء، الأمن والسلام.(تصفيق). ومن المعروف أنه تم استخدام إسرائيل كرأس حربة للهجوم على بلادنا، فقد هاجمتنا إسرائيل بعد الاتفاق مع كل من إنجلترا وفرنسا من أجل احتلال أراضينا.

إن وجود الكيان الإسرائيلي في تلك البقعة من الكرة الأرضية هو أمر يؤدي إلى تهديد وتشتيت الدول العربية لأجل إجبارهم على الخضوع للتكتلات الاستعمارية.

لقد رأيتم بأنفسكم مشاهد الحرب، ولكن تلك المأساة التي عاشها شعبنا لا يمكن مقارنتها بالحرب، لأنها مأساة شعب مطرود من بلاده، منهوبة كل ثرواته ومقدراته بالقوة. تشتعل الحروب في كل الدول ولكنها لا تؤدي إلى إبادة شعب كما هو الحال مع شعب فلسطين، الذي تم طرده من أراضيه و حرمانه من ممتلكاته.

تحتفل إسرائيل بالذكرى السنوية العاشرة على قيامها وتأسيسها ولكن أريد أن أقول لكم إن هذا الاحتفال يجرى على خلفية إراقة دماء الملايين من العرب بعد طردهم من أراضيهم وتشريدهم.

هذا هو أسوأ أنواع الهيمنة وفرض النفوذ وأعنف أشكال العدوان.

فالعالم يتحدث عن حقوق الإنسان وينسى الحديث عن المليون فلسطيني الذين طردوا من أراضيهم ولن يستطيعوا العودة إليها مرة أخرى.

عندما انسحبت قوات الاحتلال من أراضينا، بدأت إسرائيل في شن هجمات عدوانية علينا في محاولة لإجبارنا على الانضمام لتكتلات الدول التي تدعو لإنشاء تكتلات عدائية. فقد تم تأسيس حلف بغداد في عام ١٩٥٥، وأعلن مؤسسو هذا الحلف أنهم يرغبون في إدراج دول الشرق الأدنى والدول العربية فيه. أما نحن فقد رفضنا وجود مثل هذا الحلف لأننا لا نريد أن يتسلل إلينا ذلك العدوان الذي سبق وأن طردناه من الباب، ليأتي إلينا عبر النافذة تحت مسمى آخر. (تصفيق).

لقد أعلنا أن الدفاع عن أراضينا لابد وأن يأتي من أنفسنا نحن، الذين نعيش فوق تلك الأرض دون تدخل الدول الكبرى، وانتهجنا هذه السياسة بشكل حاسم. وعندما هاجمتنا إسرائيل، التي تنفذ سياسة ورغبة الدول الإمبريالية التي تتعاون معهم، طلبنا السلاح لدى إنجلترا للدفاع عن أنفسنا ضد إسرائيل، التي حصلت على السلاح لدى فرنسا والدول الغربية، غير أنهم فرضوا علينا بعض الشروط ومنها ألا نعترض على حلف بغداد. واقترحوا علينا أن يكون ثمن السلاح الذي يبيعوه لنا هو الانضمام إلى تكتلاتهم العسكرية التي تهدد بلادنا. ولكننا رفضنا هذه الشروط، لأنه لا فائدة من ذلك السلاح الذي نحصل عليه مقابل الإضرار باستقلالنا وكرامتنا. (تصفيق).

توجهنا بطلب الحصول على السلاح لدى الاتحاد السوفيتي، الذي وافق على الفور بدون أية شروط، ويرجع الفضل الكبير لكم في القضاء على احتكار السلاح في منطقتنا.

لقد خضنا معركة مستميتة للحفاظ على استقلالنا وسيادتنا، اعترضنا على ما يسمى بمناطق النفوذ والهيمنة وقلنا إننا لا نرغب في الدخول في منطقة نفوذ لأي دولة. سبق وأن أعلن رئيس الوزراء الإنجليزي إيدن أن حلف بغداد يرفع صوته في المنطقة ويعزز من وضعه في الشرق الأدنى. لقد عانينا من إشعال حرب اقتصادية ضد بلادنا وحرب دعائية وأخرى باردة تحولت في النهاية إلى حرب ساخنة. غير أن شعبنا قرر الوصول إلى تحقيق هدفه المتمثل

في حمايـۃ ودعـم اسـتقلاله . ولم ننـس في تلـك المعركـۃ تحقيـق أهدافنـا الأخـرى : القضاء علـى النظام الإقطاعـي وأعوانه، نجحنـا في توزيع الأراضي بين الفلاحـين، قضينا على الاحتكار وسـيطرة رأس المال على السـلطۃ وهو مـا كان منتشـراً في بلادنـا . بذلنا قصارى جهدنا في تحسـين مسـتوى الحياة الاجتماعيۃ، إنشاء جيش وطني قوى يخدم بلادنا و يحافظ علـى مصالح شعبنا وخلـق حياة ديمقراطيۃ في بلادنا . لقد دافعنا عن القوميۃ العربيۃ، وسـاعدنا في ذلك أشقاءنا من الشعوب العربيۃ التي وقعت تحت هيمنۃ الاستعمار الأجنبي .

فالعرب في الجزائر يقودون معركـۃ حاميۃ لإثبات حقهم في الحكم الذاتي والاسـتقلال، وكذلك العـرب في عدن يناضلـون لأجل اسـتقلالهم والحفاظ علـى الوجود الوطني لهم في تلك المنطقۃ . العرب في عمان يناضلون أيضا لأجل التحـرر من الهيمنـۃ البريطانيۃ. وهكـذا نجد أن العـرب المتواجدين في منطقۃ التكتـلات الإمبرياليـۃ العدائيـۃ يناضلـون لأجـل تحريـر بلادهم مـن براثن الاستعمار. فالقوميۃ العربيۃ تناضل باسم الاستقلال والحق في الحياة .

كـان ما سـبق هو ما أردت أن أقوله لكم بشأن ما يحدث في مشرقنا العربي وفي كل دولۃ عربيۃ وعن شعبنا الذي يناضل لأجل نيل الاستقلال والحريۃ .

السـادة الأعزاء ! إذا ما نظرنـا إلى تاريخ علاقاتنا المتبادلـۃ، فإننا لن نجد أي اختـلاف في وجهـات النظر بين بلدينا ولن نجد أيۃ أسـباب تـؤدي إلى الخلاف (تصفيـق). حيـث تؤكـد كل الحقائق والشـواهد علـى قوة ومتانـۃ الصداقۃ والتعاون بين البلدين، فنحن العرب نؤمن بالحب والصداقۃ .

أتوجه بالشـكر للسـيد خروتشـوف وعلـى كلماتـه الـتي دارت حول عدم وجـودة أيۃ أسـباب تدعو للخـلاف بين البلدين وان السـبيل الوحيـد للعلاقات المتفاهمۃ بيننا هو طريـق التعاون الذي يعود بالنفع علـى شعوبنا (تصفيق).

وأؤكـد أننـا في الجمهوريۃ العربيۃ المتحدة نسـتفيد بشـكل كبير من هـذه الصداقـۃ والتعاون المثمر، إلى جانب الاسـتفادة الكبيرة الـتي تعم علينا

في المجال السياسي. فعندما تم طرح موضوع قناة السويس على ساحة مجلس الأمن الدولي، فقد كان الفيتو السوفيتي هو العامل الحاسم الذي عرقل عملية تدويل قناة السويس. وإنني هنا أتفق مع رأي السيد خروتشوف في أن استخدام حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي يأتي لصالح الشعوب والعالم أجمع. فقد وافقت كل الدول الأعضاء بمجلس الأمن الدولي عدا الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا على أممية (تدويل) قناة السويس. لقد حصلنا من هذه الصداقة على مساعدات كبيرة لتحقيق التنمية الاقتصادية والثقافية.

ولهذا فإنني أتوجه بالشكر باسمي واسم الجمهورية العربية المتحدة لكم على كل أنواع المساعدات التي قدمتموها لشعبنا .

أشكركم كذلك على مشاعر الصداقة التي تكنونها لشعب الجمهورية العربية المتحدة وكل الشعوب العربية (تصفيق).

وقبل مغادرتي لبلادكم، أنقل إليكم كل مشاعر الحب والصداقة, وأتمنى مزيدًا من توطيد تلك الصداقة النابعة من عميق قلوبكم (تصفيق).

كما أتمنى لكم مزيدًا من النجاح والتوفيق, وأهنئكم على إطلاق القمر الصناعي الثالث، الموجه لخدمة البشرية بأكملها, و نحن واثقون من ذلك .(تصفيق) .

وأنتهز الفرصة لأوجه الدعوة للسيد خروتشوف والسيد فاروشيلوف لزيارة بلادنا , وأعد بأنهم سيجدون كل معاني الحب، المودة والاحترام في دولتنا (تصفيق).

بيان مشترك حول نتائج المباحثات بين حكومتي الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة .. بشأن زيارة الرئيس جمال عبدالناصر للاتحاد السوفيتي [٣١]

١٥ مايو ١٩٥٨ .

توجَّه الرئيس جمال عبدالناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، في زيارة رسمية للاتحاد السوفيتي بدعوة من رئاسة المجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي والحكومة السوفيتية .

وقد شهدت تلك الزيارة مباحثات مهمة جرت في جو يسوده الصداقة والمودة التي عمت الشخصيات القيادية لحكومتي البلدين . تناولت المباحثات الموضوعات ذات الاهتمام المشترك بين البلدين وعدد من القضايا الدولية والأحداث التي تسترعي اهتمام المجتمع الدولي <.......>[٣٢]، وأسفرت المباحثات عن التوصل إلى النتائج التالية :

- أعربت حكومتا البلدين عن الرضاء التام إزاء تطور العلاقات الوثيقة فيما بينهم والحرص على مزيد من تطوير تلك العلاقات القائمة على المبادئ الآتية:ـ
- الاحترام المتبادل لسيادة ووحدة أراضي كافة الدول .
- عدم التدخل بأي حال من الأحوال في الشئون الداخلية لأية دولة.
- تسوية النزاعات الدولية بالطرق السلمية والتخليعن استخدام القوة ؛ أو التلويح باستخدامها ضد سيادة أو استقلال أية دولة .
- عدم السماح باستخدام الضغط السياسي أو الاقتصادي .

---

(٣١) الاتحاد السوفيتي والدول العربية ١٩١٧-١٩٦٠، وثائق ومواد أرشيفية، موسكو، ١٩٦١، ص ص ٤٧٩-٤٨١.

(٣٣) لم يُذكر أسماء الأعضاء المشاركين في هذه المفاوضات .

- المساواة بين الدول والشعوب في العلاقات بينهم.

وتحترم الحكومتان مبدأ التعايش السلمي للدول بصرف النظر عن أنظمتهم الحاكمة باعتبار أن هذا المبدأ يُعد حجر الأساس في تطوير علاقات الصداقة بين الدول ويلبي مصالح السلام بين الشعوب.

ترى حكومتا البلدين أن خطر " الحرب الباردة " التي تحمل الضرر البالغ بالعلاقات بين الشعوب، يتوافق مع المصالح الجذرية والأساسية لكافة الشعوب، وهذا من شأنه أن يساعد في تطوير علاقات الصداقة والجوار بينهم ويعزز الثقة المتبادلة في العلاقات بين الدول .

- تندد الحكومتان بالاستعمار في كافة صوره وأشكاله وتدعم حق الشعوب في تقرير مصيرها واستقلالها. ويرفضان وجود أية قواعد عسكرية لدولة ما في أراضي الدول الأخرى، نظراً لأن هذه القواعد تشكل خطراً كبيراً على السلام الدولي وتُعد انتهاكاً لاستقلال تلك الدول التي توجد علي أراضيها هذه القواعد ولابد من إزالتها والتخلص منها .
- ناقشت الحكومتان قضية حق عرب فلسطين وطردهم من وطنهم ومسقط رأسهم. وأكدت الحكومتان على الدعم الكامل للحقوق الشرعية لعرب فلسطين .
- تدين الحكومتان العدوان الاستعماري على اليمن ومحاولات التدخل في الشأن الداخلي لليمن، وتساند الحكومتان الاستقلال الكامل لوحدة وسيادة أراضي اليمن .
- تدين الحكومتان تلك الحرب البربرية التي تقودها فرنسا ضد شعب الجزائر, وتدين تلك الجرائم التي ترتكبها القوات الفرنسية في حق هذه الدولة العربية الفدائية . ويلفتون أنظار المجتمع الدولي تجاه ممارسات السلطات الفرنسية التي قامت بطرد وتشريد مئات الآلاف من الجزائريين بالقوة من منطقة الحدود المشتركة الواقعة بين الجزائر وتونس، تلك

الممارسات التي أسفرت عن مصرع الكثير وتشريد الأطفال والنساء وتدمير المنازل والقرى بأكملها .

- تساند الحكومتان الشعب الجزائري في حق تقرير مصيره ونيل استقلاله. وتدعوان لتسوية المسألة الجزائرية بالطرق السلمية وتؤكدان على أن هذا سيخدم مصالح كافة الأطراف .
- أعربت الحكومتان عن بالغ قلقهما إزاء مواثيق تدخل حكومات بعض الدول الأجنبية في الشئون الداخلية لإندونيسيا . وترى الحكومتان أن هذا التدخل يشكل تهديدًا على السلام والأمن الدولي ويُعد انتهاكًا لميثاق منظمة الأمم المتحدة ؛ وأعلنوا أنه لابد من وضع حد لهذه المسألة وضرورة احترام سيادة واستقلال إندونيسيا .
- تثق الحكومتان في أهمية منظمة الأمم المتحدة ودورها في دعم السلام والأمن والتسوية السلمية للقضايا الدولية . وترى الحكومتان أنه لابد من بذل كل الجهود لأجل دعم ومساندة تلك المنظمة بهدف أن تصبح قادرة على أداء مهامها بشكل أكثر فعالية . وأنه لابد وأن يكون هناك حضور وتمثيل لجمهورية الصين الشعبية في منظمة الأمم المتحدة بهدف تصحيح الوضع الحالي غير الطبيعي وتحقيق مصالح التعاون الدولي وإضعاف حالة التوتر في منطقة الشرق الأقصى والعالم أجمع .
- تؤكد الحكومتان دعمهما للمبادئ التي تم إعلانها في مؤتمر باندونج [٣٣]، تلك المبادئ التي تواصل توحيد شعوب آسيا وإفريقيا والتي

---

(٣٣) عقد مؤتمر باندونج بحضور ٢٩ وفد لدول آسيوية وافريقية في باندونج في الفترة من ١٨-٢٤ ابريل ١٩٥٥ . خرج المؤتمر بإعلان لدعم السلام والتعاون الدولي، ويضم الإعلان المبادئ العشرة للتعاون الوثيق بين الدول وهي : احترام حقوق الإنسان الأساسية ومبادئ ميثاق منظمة الأمم المتحدة ، احترام وحدة وسيادة أراضي كل الدول ، الاعتراف بالمساواة بين كافة الأعراق والقوميات لكل الأمم سواء كانت صغيرة ام كبيرة، التوقف عن التدخل في الشئون الداخلية لأية دولة، احترام حق كل دولة في دفاعها الفردي او الجماعي وفقا لميثاق الأمم المتحدة، والذي يتضمن الامتناع عن استخدام اتفاق الدفاع الجماعي لمصالح شخصية لأية دولة عظمي، وامتناع أي دولة عن ممارسة الضغط على الدول الأخرى . كما تتضمن المبادئ العشرة الامتناع عن أية تهديدات بالعدوان او استخدام القوة ضد سيادة الدول أو الاستقلال السياسي لها، وتسوية كافة النزاعات

أكـد عليها كذلـك مؤتمر التضامن لشـعوب القارتـين والذي انعقد في القاهـرة ١٩٥٧ . أعلنت الحكومتان كذلـك دعمهما للمبادئ التي أعلنهـا مؤتمر دول إفريقيا المسـتقلة، الذي انعقـد في أكرا في أبريـل ١٩٥٨ .

- أعربـت الحكـومتان عـن بالغ قلقهما إزاء سـباق التسـلح، الـذي يُعد أحـد أهم المخاطر التي تهدد العالم أجمـع والذي من الممكـن أن يـؤدي إلى انـدلاع حـرب نووية جائحـة . وأعلنـت الحكـومتان عن ضـرورة وقف تجارب السـلاح النووي والهيدروجيني لكافة الدول التي تملك هذا النوع من السـلاح على أن يتم إبرام اتفاق يحظر بشكـل نهائـي وبدون قيود كافة أنواع السلاح النووي بما في ذلك وقف إنتاجه وتصنيعه ومصادرة السلاح النووي من تسليح الدول والقضاء على مخازن الاحتياطي منه .
- أعلنت الحكـومتان عن ضرورة استخدام الطاقة الذرية والهيدروجينية في الأغراض السـلمية ويتعين على جميع الدول التعاون في هذا المجال بهدف تحسين مستوى معيشة الشعوب وخاصة شعوب الدول النامية .
- تـرى الحكـومتان انه يـتعين على الدول تكـثيـف جهودها بهدف إبرام اتفاق نهائـي حول التقـليص الفعلي للقوات المسلحة وتسليح الدول .
- تتفق الحكـومتان على الـرأي الذي يفيد بأنه يجيء ضمن أهم الطرق لتقليـل حالـة التوتـر الدولـي في إبـرام اتفاقيـات بين الدول حـول عدم الاعتـداء، على اعتبـار أن هذه الاتفاقيات تتوافق مع الأهداف السـلمية لمنظمة الأمم المتحدة .
- تؤكـد الحكـومتـان علـى ضـرورة تطويـر العلاقـات الاقتصاديـة والثقافية بين الدول كوسـيلة لحفظ السـلام و إقـرار التفاهم المتبادل بـين الشـعوب وتحجيـم حالـة التوتـر الدولـي . ولا يجـب أن تقترن هذه

الدولية بالطرق السلمية مثل المباحثات، اتفاقيات الهدنة والمصالحة، اللجوء للتحكيم الدولي او التسوية القضائية وذلك حسب اختيار الدول لأي من تلك الوسائل وفقا لميثاق الأمم المتحدة، وتعزيز المصالح المشتركة والتعاون، واحترام العدالة والمواثيق الدولية . (صحيفة ازفستيا، ٢٦ ابريل ١٩٥٥).

العلاقات بأية قيود أو دوافع موجهة لبسط النفوذ والسيطرة لدولة على حساب الدول الأخرى .

- تؤكد الحكومتان على أن الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية المبرمة بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة تخدم هذه الشروط وتعتمد على مبادئ صحيحة وسليمة . ويعلنان كذلك رضاءهم الكامل عن تطور التعاون الاقتصادي والثقافي بين البلدين وكذلك التبادل التجاري .

- أعربت حكومة الجمهورية العربية المتحدة عن عميق شكرها وامتنانها للاتحاد السوفيتي لإسهامه الكبير في برنامج التصنيع للجمهورية العربية المتحدة وأكدت الحكومتان على حرصهم الجاد نحو تطوير التعاون الاقتصادي والثقافي بين البلدين ليعود بالنفع المتبادل علي الجانبين .

- ترى الحكومتان ضرورة إزالة تلك الحواجز المصطنعة في طريق التجارة الدولية .

- أعربت الحكومتان عن شعورهما بالارتياح والرضاء إزاء نتائج المباحثات الحالية . ويؤكدان على الاستفادة الكاملة التي تعود من تبادل الآراء في تلك اللقاءات لصالح الشعوب، وأنها تعد عاملا مهماً لتوطيد وتعزيز العلاقات الاقتصادية، الثقافية والمجتمعية بين البلدين .

- ترى الحكومتان أن تلك اللقاءات والاتصالات بين قيادات البلدين هي أمر في غاية الأهمية وتسهم تلك اللقاءات في تعزيز التفاهم المتبادل ومشاعر الثقة المتبادلة وإمكانية تسوية أي خلاف .

- ترى الحكومتان أن انعقاد اجتماع قمة، يشارك فيه الدول الكبرى وعدد من الدول الأخرى، هو لأمر مهم ولابد من الإسراع في إجرائه .

- تعرب الحكومتان عن ارتياحهما إزاء التعاون الوثيق المتنامي بين البلدين في شتى المجالات والذي يخدم السلام والتقدم الدولي .

- وجه الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، الدعوة إلى ك. إي. فاروشيلوف، رئيس هيئة رئاسة المجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي، ون. س. خروتشوف - رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي، و عدد من القيادات السوفيتية لزيارة الجمهورية العربية المتحدة وقد تم قبول الدعوة بكل سرور .

ن. خروتشوف	جمال عبدالناصر
رئيس مجلس وزراء اتحاد الدول السوفيتية الاشتراكية	رئيس الجمهورية العربية المتحدة

الزيارة الرئيسة[٣٤]

يوجد بين يدي الآن كتاب صفحاته هشة تميل إلى الاصفرار على الرغم من أن الكتاب لم يمر على صدوره وقت طويل، فقد صدر في عام ١٩٥٨ بالقاهرة - دار نشر « النهضة » باللغة الإنجليزية. يقع الكتاب تحت عنوان « الرئيس عبد الناصر في الاتحاد السوفيتي » . يتضح من خلال الصور الفوتوغرافية المعروضة بالكتاب أنه نسخة طبق الأصل من ذلك الكتاب الذي صدر في نفس العام باللغة العربية وبلغات أخرى في عدة طبعات مختلفة .

إن مضمون الكتاب وخاصة تلك الصور الفوتوغرافية الموجودة به تنشط الذاكرة لاسترجاع مشاهد تلك الزيارة البارزة لعبد الناصر في بلادنا . فقد استغرق عبد الناصر وقتا طويلاً لاتخاذ قرار زيارتنا بالرغم من اجتياز مسافة طويلة في علاقاتنا : لقد قدمنا الدعم الحاسم لمصر في تصديها « للعدوان الثلاثي » عليها ١٩٥٦، بدأنا توريد السلاح، سافر الخبراء العسكريون السوفييت إلى هناك، تم إبرام اتفاق مبدئي حول إنشاء السد العالي بمساعدتنا (تم توقيع اتفاق المرحلة الأولى من البناء في ديسمبر ١٩٥٨) وبالرغم من ذلك فقد ظل عبد الناصر مذبذباً في زيارته للاتحاد السوفيتي لأنه كان يخشى من أن يتم تأويل تلك الزيارة من قبل الرأي العام العالمي على أنها محاولة لابتعاد مصر عن الغرب وأنها بداية لعلاقات التحالف مع الاتحاد السوفيتي، ولكنه في النهاية لم يستطع رفض الزيارة .

قبيل بدء الزيارة كان عبد الناصر قد قضى ليلته ساهراً في اجتماعات بشأن المفاوضات المرتقبة بين مصر والاتحاد السوفيتي، لدرجة أنه لم يستطع أن

(٣٤) ف. كيربيتشينكو " من أرشيف ضابط مخابرات "، موسكو ١٩٩٣، ص ص ٥٦ – ٦٤.

يفتح عينيه بالطائرة وعندما وصل إلى موسكو كان يبدو عليه علامات الإرهاق بل ويمكن القول إنه في أول يومين له في موسكو كان مستغرقاً في النوم أثناء المشي عندما كانوا يقودونه لمشاهدة معالم مدينة موسكو. وبدت محاولاتنا (حيث كنا بجواره وعلى دراية بحالته) لتقليل قيود وواجبات الضيافة بمثابة نوع من أنواع الجهل المتوحش من وجهة نظر أصحاب بروتوكولات الضيافة ولسان حالهم يقول لنا : كيف يمكن إجراء تعديلات في برنامج الزيارة بعد أن وافق عليها كل من خروتشوف وفاروشيلوف شخصياً ؟ وعلى أية حال فقد حظي عبد الناصر باستقبال مبهر وعظيم. وقد حاولت السلطات وكذلك سكان موسكو إبداء اهتمام غير عادي بتلك الزيارة وبدا كل شيء طبيعيًا مع وصول ناصر إلى ضاحية فنوكوف-٢ .

وقد تم تكليفي بترجمة كلمات الترحيب، قمتُ بترجمة كلمة ك. إي. فاروشيلوف – رئيس هيئة المجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي، إلى اللغة العربية وقرأتها ببساطة. أما بالنسبة لعبد الناصر فهو عادة ما يتحدث بأسلوب بسيط ويكرر ما يقوله، ولهذا لم أكن قلقاً بالنسبة لترجمة حديثه ولكن فجأة وقد ظهر لغم من العيار الثقيل . فقد بدأ عبد الناصر كلمته بقراءة نص سفسطائي معقد، أعدته له وزارة الخارجية المصرية حتى لا تبدو كلمته موالية للسوفييت ولا معادية للغرب, وكان هناك بعض الجمل التي لم أفهمها، وجرت الترجمة ولكنها في الحقيقة لم تكن دقيقة وكان بها الكثير من علامات التعجب . وتجدر الإشارة إلى أن كلمة عبد الناصر قد خضعت لعملية تحرير واضحة في هذا الكتاب الذي بين أيدينا . حيث جاءت الكلمة مختصرة وبسيطة بشكل واضح, ولم يذكر فيها لا أصدقاء مصر ولا أعداءها كما كان في الترجمة الحقيقية للكلمة .

يبدأ الكتاب بعرض بعض الصور التي تجمع عبد الناصر، خروتشوف، فارشيلوف وأنا معهم وفي تلك اللحظة التي كنت أتفقد فيها تلك الصور بمكتبي، دخلت فتاة – كاتبة اختزال – ومهتمة بهذا الكتاب ذي الصفحات



الصفراء المتهالكة.وسألتها هل تعرف تلك الشخصيات الموجودة بالصور، أجابت قائلة : «لا أعلم هؤلاء الأفراد الأربعة، يبدو أنها صور قديمة جداً ! « نعم....» ليست حديثة بل قديمة جداً» .

أسهم كل هذا الحشد من الناس، القيادات الجديدة، الوزراء في خلق حالة من القلق والتوتر لدى أثناء الترجمة، كنا قد تحركنا في مركبة مفتوحة حتى وصلنا إلى شارع لينينسكي، الذي تم الانتهاء من تشييده في الحال. كان فاروشيلوف يقف جهة الشمال ويرفع يديه لتحية الناس، وخروتشوف من جهة اليمين وبينهم عبد الناصر العظيم في المنتصف، فهو الأطول قامة من زعمائنا وكنتُ أقف في الخلف ولكنى لم أكن أشعر بالراحة نظراً لعدم وجود أي شيء أتشبث به في تلك المركبة، وفي نهاية المطاف وجدتُ نفسي أتشبث بعبد الناصر وكأنني أسنده. تحدث خروتشوف وفاروشيلوف مع عبد الناصر بنفس العبارات عن شارع لينينسكي الجديد واحتشد الناس من كل حدب وصوب لتحية الضيف، لدرجة أن الدراجات البخارية التي كانت تسير أمام الموكب الاحتفالي كانت تسير بصعوبة بالغة وأخيراً وصلنا إلى بوابات الكرملين، وكان ذلك في ٢٩ أبريل ١٩٥٨.

انتهى اليوم الأول الثقيل من مراسم الزيارة، وذهب الوفد المرافق لعبد الناصر لتناول العشاء بناء على دعوة فاروشيلوف وفي اليوم التالي عقب المباحثات كان هناك غذاء رسمي على شرف خروتشوف، غير أن هذا الغذاء كان مفعماً بحديث خروتشوف المطول (لدرجة أنه تم اختصار هذا الحديث بالكتاب ليشغل ٩ صفحات !)، تناول الحديث كافة الموضوعات : النضال من أجل السلام، مؤتمر باندونج، التصدي لتجارب السلاح النووي، القنبلة الهيدروجينية الجديدة للغرب، «العدوان الثلاثي على مصر»، السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي، مبدأ التعايش السلمي، علاقات الصداقة السوفيتية - العربية، مساعدة الدول النامية، الكثير من الموضوعات الأخرى ...... وفي النهاية أدرك نيكيتا خروتشوف أنه تجاوز الوقت المحدد وقال : « يبدو أن حديثي كان طويلاً إلى حد ما, ولكني أردت مزيدًا من الإيضاح حتى يكون هناك تفاهم متبادل بشكل أفضل».

وقع حادث صغير أثناء هذا الحديث، حيث وجدتُ فاروشيلوف، الذي كان يجلس على يسار ناصر، يميل نحوي ويسألني : «هل يقرأ نيكيتا من الورق أم انه يرتجل ؟» - أجبته قائلاً : «كان يقرأ في البداية من الورق ثم اخذ يرتجل». عندما كان يتحدث خروتشوف عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، تطرق بالطبع للحديث عن مكر وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس، الذي يرى أنه المجرم الذي يقف وراء كل الكوارث التي تحدث بالعالم وأخذ في توجيه الضربات اللاذعة ضده . وعندما علم فاروشيلوف أن خروتشوف يتحدث بدون أوراق ووصل إلى موضوع دالاس، قال لي وهو قلق: «هذا أمر سيئ... عندما أبدأ حديثي سأذهب في النوم، فعليك أن توقظني ولا تدعني أستغرق في النوم» كان هذا التكليف قد صدر من البطل المحبب إليَّ منذ طفولتي وشبابي، المارشال الأحمر فاروشيلوف، الذي سرعان ما غرق في النوم.

سألتُ ممثل الحرس الذي يقف على مقربة مني : «ما العمل إذن ؟» -أجابني بقلق واضح : «أسرع وأيقظه قبل أن يغط في النوم !».

كانت هناك قصص أخرى مرتبطة بتناول المشروبات الكحولية، فبعد أن استيقظ فاروشيلوف من غفوته القصيرة، بدأ يقترح تناول نخب محاولاً أن يقرع كأسه مع أعضاء الوفد، كان العرب يجلسون وكأنهم في حالة حزن، ينظرون شررا إلى عبد الناصر ولا يعلمون كيف يتصرفون . انتهى الموقف بأن قام خروتشوف بعدة محاولات فاشلة بدعوة فاروشيلوف لكي ينتشل كأس الفودكا من يديه ويشربه بنفسه في صحة الضيوف الأعزاء . امتثل فاروشيلوف للأمر مباشرة ونتيجة لتلك المحاولات حول المائدة، فقد اتسعت دائرة تصوراتي حول النظام في دهاليز الكرملين.

عاد موضوع دالاس ليفرض نفسه على الساحة مرة أخرى، ففي مساء ٣٠ من أبريل كان عبد الناصر في صحبة خروتشوف و فاروشيلوف لمشاهدة عرض مسرحية «بحيرة البجع» في مسرح البولشوي . وكانت هذه هي المرة الأولى التي يشاهد فيها عبد الناصر وزملاؤه حفلة باليه . وأثناء الحفل كان خروتشوف يعطي تفسيرا سياسياً للأحداث التي تشهدها خشبة المسرح . وعندما ظهر على خشبة المسرح الجني الشرير روتبرد في بدلته السوداء، نهض خروتشوف ليقول لناصر : «هذا هو دالاس ! ولكن لا شيء أيها الرفيق ناصر، فهو لا شيء ! سندمر أجنحته في نهاية الأحداث !» .

في الأول من مايو حضر الضيوف العرض العسكري، وفي اليوم الثاني انفصلتُ عن العمل مع الوفد، لأنه في صباح هذا اليوم انعقد اجتماع بين السيد أ.سيروف – رئيس جهاز المخابرات السوفيتي «ك.ج.ب» مع السيد صلاح محمد نصر – رئيس جهاز المخابرات العامة المصرية، وكنتُ في ذلك الوقت ألعب دور ضابط الاتصالات لدعم الاتصال في القاهرة بين الأجهزة الأمنية السوفيتية ونظيرتها في الجمهورية العربية المتحدة . تجدر الإشارة إلى أن صلاح نصر قد استجمع القوة والنفوذ سريعاً بمصر وسرعان ما تم تعيينه نائبًا لرئيس الجمهورية العربية المتحدة أثناء رئاسته لجهاز المخابرات العامة المصري . ولكن بعد حرب ١٩٦٧ مع إسرائيل، سرعان ما سقط من عين عبد الناصر وتم اعتقاله، ثم تم الإفراج عنه في عهد السادات وانشغل بكتابة مذكراته .



تعني كلمة «مخابرات» في اللغة العربية ذلك الجهاز الأمني, ولكنها تعنى لدى العرب ذلك العمل «المفجع». يوجد لدى «المخابرات» قوانينهم الخاصة وإذا ما وقع أي شخص في قبضتهم، فهذه هي الطامة الكبرى : فقد كانت لديهم قواعد صارمة في عهد عبد الناصر وأصبح مبنى المخابرات في عهد رئيسه صلاح نصر، رجل السلطة الحازم، أصبح مبنى ذا نفوذ قوي، فقد تم إنشاء مبنى ضخم في حي هليوبوليس بالقرب من القصر الرئاسي في منطقة كوبري القبة. وما يميز هذا المبنى عن باقي مباني أجهزة المخابرات في مختلف دول العالم، أنه يوجد في نهايتي كل ممر من ممرات المبنى غرف خاصة يقوم فيها العاملون بإعداد الشاي والقهوة للموظفين بالمبنى طوال اليوم . وتغطى رائحة القهوة في مبنى «المخابرات» على أية روائح أخرى . كان رئيس المخابرات العامة يفخر بدوره في ثورة ١٩٥٢، حيث كان صلاح نصر يقود بطارية نحو القصر الملكي وأجبر الملك فاروق على التنحي عن الحكم . وقد منحه هذا الحق الأدبي في الحديث عن الآخرين ووصفهم بأنهم « المندسين في الثورة «وقال عنهم باحتقار: « لا أعلم ماذا كانوا يعملون أثناء الثورة !» .

ظللتُ المسئول عن إجراء ذلك الحوار المثمر المتبادل مع صلاح نصر قرابة عشر سنوات، كنتُ أعمل بالقاهرة وأذهب إليها في مأموريات من موسكو. توطدت

بيننا علاقات شخصية جيدة. كان صلاح نصر يهتم بي كثيراً و يحاول دائماً أن يظهر أنه يولي اهتماما كبيراً للحوار بيننا . على الرغم من ظهور بعض فترات من التوتر، إلا أنها كانت انعكاساً مباشراً لتلك الصعوبات التي تمر بها العلاقات الثنائية السوفيتية - المصرية .

نعود مجدداً للحديث عن زيارة عبد الناصر لأراضي الاتحاد السوفيتي . يبدو أنهم نجحوا في أن يجعلوا الضيف يشاهد معظم المعالم المهمة في موسكو مثل : ضريح (لينين و ستالين)، الجامعة، ملعب لوجنيكي (مدرج لكرة القدم في موسكو - المترجمة)، المسجد، المترو، الكرملين، متاحف الكرملين، مسكن لينين، مصنع السيارات، الطريق الدائري، جبال لينين، مسرح «مير» ، المركز النووي في دوبني، كتيبة تامانسكي، قاعدة القوات الجوية، وأخيراً في صباح يوم ٣ مايو توجهنا عبر طائرتي «تو - ١٠٤» في جولة جوية بأراضي الاتحاد السوفيتي . كانت رحلة طويلة بدأت من طشقند مروراً بباكو، سوخومي، سوتشي، زاباروجيا، كيف، لينينجراد ثم ستالينجراد .

ترى ما الذي تبقى في ذاكرتي من تلك الجولة التي جرت منذ ٣٤ عام ؟ بالطبع أن ما سيبقى محفوظًا في الذاكرة هي تلك الأحداث المثيرة للدهشة و التي لفتت اهتمامي ...

بدت الدهشة واضحة على وجوه الوفد عندما وصل إلى أوزباكستان . حيث كان البحر هائجاً، وصل عبد الناصر وكذلك ن.أ.محي الدينوف -الأمين الأول السابق للجنة المركزية للحزب الشيوعي لأوزباكستان، والذي أصبح عضوا فيما بعد للقيادة الحزبية العليا للاتحاد السوفيتي . كان الغذاء في مزرعة « كزيل أوزباكستان»، حيث كان الضيوف يجلسون على منصة خشبية مرتفعة و يحيط بهم باقي الضيوف، الذين كانوا يجلسون على سجاد وحصير ممتد لأبعد من مجال البصر، فعدد المشاركين في هذا اللقاء لا يقدر بالمئات بل بالآلاف.قام ش.ار.رشيدوف بتحية عبد الناصر ثم أسرف في الإعراب عن مشاعره تجاه محي الدينوف وقال في بساطة وتواضع : «اليوم تشرق الشمس

مـن جديد على سماء أوزباكسـتان- فقد زارنا اليوم العزيـز الغالي نور الديـن اكرموفيتش محي الدينوف !» واستمر الحال على هذا المنوال .....

شـعر وفد الجمهورية العربية المتحدة بحالة من الانزعـاج عند زيارته لمجمع طشـقند للغـزل والنسـيج، حيـث كان هنـاك ضوضاء غـير عاديـة صادرة منأصـوات الماكينـات (فقـد كان هذا الصوت أشـبه بصوت لـواء كامل من الدبابات انتهت لتوها من عملية اقتحام) . وكان وبر القطن يتطاير من الورش، لدرجـة أنه كان من الصعب رؤية أو سماع أي شـئ . سـألني احد أعضاء الوفد : «هـل زرت مجمع الغزل والنسـيج لدينا في المحلة الكـبرى ؟» - أجبته بالطبع زرتـه، قـال : « لماذا إذن يجعلوننا نشـاهد هـذا القديـم ؟». في الواقع فقد كان مصنع الغزل والنسـيج المصري مجهزاً بأحدث المعدات والماكينات الأمريكية، الإنجليزية والفرنسـية، لم يكن هناك أي وجود لمثل هذه الضوضاء الجهنمية ولا بقايـا لأي قطـن متطايـر في أي مـكان، لقـد اندهش المصريـون من وضع تجهيزاتنـا ومعداتنـا الفنية وأكثـر ما أثار دهشـتهم هو ذلك القدرمن النسـاء العامـلات بالمصنـع . وعـاد الوفـد إلى بـلاده وهو يحمـل مشـاعر وانطباعات مختلطة .

أتذكـر كذلـك رد فعـل عبـد الناصر بعـد مشـاهدته فيلـم وثائقي عن معركة سـتالينجراد، فقد بكى عندما رأى حطام ستالينجراد، لدرجة أنه في ذلك اليوم خرج عن المألوف وتناول عدة كئوس من الفودكا. وعند وصوله إلى مدينة ستالينجراد قام بتحية المدينة في الكلمة التي ألقاها استحقاقاً وتقديراً لتلك المدينة الباسلة <......>[٣٥].

تحـدث المترجمون المختصـون بترجمة كلمات خروتشـوف وتقارير قيادات الاتحـاد السـوفيتي، عن الصعوبات الـتي وجدوها أثناء عمليـة الترجمة وخاصة لكلمات خروتشـوف . حيث يبـدو أنه لم يكن يدرك أنه مـن الصعب ترجمة كل عباراتـه وكلماته إلى أية لغة أجنبيـة وكان هناك عبارات غير لائقة

(٣٥) لم يرد ذكر أسماء باقي المترجمين أثناء زيارة ناصر .

كان من الصعب بالنسبة لي ترجمتها . ولكن يبدو أن عبد الناصر قد تسنى له إدراك الإطار العام الذي تدور حوله تلك العبارات واضطررتُ لاستحضار أقرب المكافئات اللغوية لتسهيل الترجمة .

وفي ختام زيارة جمال عبد الناصر لأراضي الاتحاد السوفيتي في ١٥ مايو ١٩٥٨، خرج بيان مشترك يضم نتائج الزيارة ووجهات النظر المتشابهة حول الكثير من القضايا الدولية وحيثيات العلاقات الثنائية .

بعد يومين من وصولي للقاهرة، توجهت إلى نادي «الجزيرة» الرياضي للاستجمام واتفقت تليفونيا على زيارة صلاح نصر. كانت أجهزة التليفون موضوعة قريباً من المكتب الخاص بموظف الاستعلامات وكنتُ قد اتفقت مع صلاح نصر على أن يكون اسمي المستعار هو جورج حتى لا أثير انتباه الغرباء باسمي المعقد . اتصلتُ بسكرتارية صلاح نصر وقلتُ لهم عدة مرات أن اسمي جورج وأخيرًا وصلوني به واتفقنا على تحديد موعد للقاء . كانت الموظفة التي تجلس على مكتب الاستعلامات تنظر إلى بشكل لافت للنظر وتستمع لمكالمتي، وبعد الانتهاء من المكالمة، ابتسمت لي الفتاة المصرية وقالت: «سيد جورج، نحن جميعاً نعرفك، فقد كنت تترجم لرئيسنا , وكنا نراك كل يوم على شاشات التلفاز !»

ثم توالت بعد ذلك زيارات جمال عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتي، غير أن الحماس الذي ظهر في الزيارة الأولى سواء كان لدينا أو في مصر لم يتكرر مرة ثانية. يمكن القول بأن هذه الزيارة الأولى كانت بمثابة الزيارة الرئيسية في تاريخ العلاقات السوفيتية – المصرية .

صلاة عبد الناصر في مصيف خروتشوف(٣٦)

بدأت الزيارة يوم ٢٨ ابريل ١٩٥٨، استغرقت ثلاثة أسابيع بما فيها الجولة التي قام بها عبد الناصر في لينينجراد، باكو، كيف، ستالينجراد، سفيرد الوفسك وكذلك طشقند، كازاخستان (لكي يستطيع عبد الناصر مشاهدة المناطق الإسلامية بالاتحاد السوفيتي) .يمكن القول بأن الروس استقبلوا عبد الناصر استقبالاً باهراً، فقد كان أول قائد من الجيل الجديد لدولة من دول « العالم الثالث «يزور الاتحاد السوفيتي. حيث كانت القيادة السوفيتية بأكملها في المطار لاستقباله و كان كاسيجين – نائب رئيس الوزراء في ذلك الوقت، هو المرافق لعبد الناصر طوال تلك الجولة، كما كان هو ضيف الشرف في العرض العسكري الذي جرى في الأول من مايو . شاهد عبد الناصر في مسرح البولشوي عرض الباليه الأخير للمؤلف خاتشاتوريان بعنوان «سبارتاك «. وكان يتم دعوة عبد الناصر كل مساء في الكرملين لمشاهدة عروض السينما من أفلام تصور المناورات العسكرية، تفجيرات ذرية، هجمات صاروخية على سفن حربية ...

أراد الروس أن يشاهد عبد الناصر تطور المناطق التي تقع في قلب الاتحاد السوفيتي، تقدم الصناعة، والتكنولوجيا والقوة العسكرية، حيث أرادوا ان يدرك عبد الناصر أنهم على قدم المساواة مع الأمريكان وأن يعلم عبد الناصر أنهم لا يضطهدون الدين (فالروس كانوا يقعون تحت تأثير ونفوذ رجال الدين لوقت طويل) .وذات مرة أثناء مباحثات عبد الناصر مع خروتشوف في مصيف خروتشوف، نظر عبد الناصر إلى ساعته وقال : «حان وقت صلاة الجمعة» .

(36) **Heikal , Mohammed. Sphinx and Commissar,.P89-93.**

أجاب خروتشوف قائلاً: « حسناً، وطلبنا من الإمام أن ينتظر عندما تكون أنت جاهزاً « تعجب عبد الناصر قائلاً: « لكن موعد صلاة الجمعة ثابت وأسرع إلى الحمام لكي يتوضأ وعندما عاد وجد خروتشوف في انتظاره ممسكاً بمنشفة نظيفة في يده، وقد ظهرت علامات التعجب على وجه عبد الناصر.

كان الروس يرغبون في معرفة برنامج ناصر الاشتراكي وعلاقته بأمريكا وسألوه عن الوحدة العربية، الصراع العربي -الإسرائيلي. ولم يسألوا عن اعتقالات الشيوعيين في الجمهورية العربية المتحدة، غير أن عبد الناصر هو من تحدث عن هذا الموضوع بنفسه. وقال لخروتشوف: «لا يجب أن تثق في الناس أمثال خالد بجداش، فهم يضعوك في موضع حرج لأنهم ينتهجون اتجاه مغلوط». أجابه خروتشوف قائلاً: «هذه قضيتكم بالكامل ولا نرغب التدخل فيها».

اكتسبت الزيارة طابع التعارف، وحاول الأطراف تقييم بعضهم البعض وسرعان ما تأسست علاقات طيبة بين ناصر و خروتشوف. غير أنه كان هناك ثغرة واحدة، فأثناء الغداء غير الرسمي في المنزل الصيفي لخروتشوف، أخطأ ناصر بسؤاله عن شبيلوف قائلاُ: «أين هو؟ هل يمكنني أنأراه؟ فقد أجريت معه مباحثات حول شراء أسلحة». لم يعط خروتشوف إجابة مباشرة على سؤال عبد الناصر وإنما استغرق في الحديث عن رحلة طويلة لتاريخ القيادة العليا لروسيا بعد الحرب. يبدو أنه أراد بذلك أن يوضح لناصر كيف يتم تنظيم العمل داخل الكرملين وأقنعه بأنه لا يخفى عليه أي شيء وكل ذلك دون إعطائه إجابة مباشرة على سؤاله عن شبيلوف. وقبيل المساء قال خروتشوف لناصر أنه يجب عليهم أن يكون كل منهم صريحاً مع الآخر, وقد أبدى خروتشوف صراحة واضحة من جانبه <.....>[٣٧].

(٣٧) لم يُذكر هذا المشهد الذي يروي فيه هيكل كلمات خروتشوف عن أسباب التغييرات في قيادة الاتحاد السوفيتي بعد الحرب الوطنية العظمى.



ظللنا في أراضي الاتحاد السوفيتي حتى نهاية شهر مايو[38] حيث تم حسم بعض المسائل المتعلقة بالتعاون الاقتصادي, وقد تم دراستها قبل مغادرة عبدالناصر لمصر، فهو لم يرغب في التوجه بطلبات محددة وأراد أن تشهد تلك اللقاءات مناقشة القضايا السياسية وليس توريد السلاح أو المعدات الصناعية . غير أن خروتشوف أراد أن يخبر ناصر بصفة شخصية كزعيم يتحدث مع زعيم بما تم إنجازه, وعدم ترك تلك المسائل لتعقيدات البيروقراطية .

(٣٨) عاد الوفد إلى وطنه في ١٦ مايو .

الفصل الثاني

الزيارة السرية لجمال عبدالناصر

إلى الاتحاد السوفيتي في يوليو ١٩٥٨

طلب النصيحة من خروتشوف (٣٩)

توجه عبد الناصر في ١٤ يوليو ١٩٥٨(٤٠) إلى بريوني (٤١)؛ ليبدأ زيارة رسمية إلى يوغوسلافيا بدعوة من الرئيس تيتو في الثاني من يوليو. وكان من المفترض وان يغادر عبد الناصر على متن اليخت الرسمي « الحرية « بصحبة اثنين من المدمرات المصرية تمام الساعة الرابعة من يوم ١٤ يوليو، حيث كان يُعتقد أن الطريق البحري هو الأكثر أمنًا من الطريق الجوي؛ ولذلك فقد قام الإسرائيليون قبيل حرب السويس بإسقاط طائرة تحمل سلاحاً سرياً فوق مياه البحر الأحمر.

ومع بزوغ فجر الرابع عشر من يوليو، بدأ مركز الاتصالات في يخت «الحرية» يتلقى برقيات من دمشق مرسلة عبر القاهرة، جاء فيها أنه أثناء تبادل الأخبار الإذاعية بين مطاري دمشق وبغداد، أعلن المسئول في بغداد أن هناك شيئاً ما يحدث في المدينة، حيث امتلأت الشوارع بالدبابات والمشهد العام يوحي بأن هناك انقلاباً قد حدث. لم يرغب أحد في إزعاج ناصر لأن المعلومات لم تكن مؤكدة بعد ولكن بعد أن أعلنت إذاعة « B.B.C» في أولى نشراتها عن وقوع انقلاب في العراق، توجهتُ مباشرة إلى فيلا بريونكا وأيقظت عبد الناصر بنفسي، واستمعنا سويا للأخبار والمعلومات التي تتوارد من بغداد عبر القاهرة، وبدا الموقف واضحا عند الثامنة أو التاسعة صباحا، حيث اتضح أن الجيش العراقي بزعامة اللواء عبد الكريم قاسم قام بالاستيلاء على الحكم.

---

(39) Heikal , Mohammed. Sphinx and Commissar, P.93-100.

(٤٠) هذا اليوم يوافق يوم الثورة في العراق

(٤١) هو اسم بحيرة تقع في البحر الادرياتيكي وهو المقر الصيفي لرئيس يوغوسلافيا .

لقـد كـان الموقـف يحمل في طياتـه الكـثير من المخاطر، فقـد بات واضحاً أن حلـف بغداد[42] قد انهار، وأن القوى الوطنية العربية قد أحكمت سـيطرتها علـى مراكز الاتصال البرية بمنطقة الشـرق الأوسـط, وكذلك على الطرق البحرية من خلال قناة السويس, وسيطرت على منابع النفط العراقي . وعلمنا أن أمريـكا قـد أعلنت حالـة الطوارئ في حـوض البحر المتوسـط . ولكن ماذا ستفعل إسرائيل ؟

لهـذا أراد عبد الناصر العودة إلى القاهرة في أسـرع وقت ممكـن، وتسـتغرق المسـافة إلى هناك عـبر يخت « الحريـة» حوالي ثلاثة أيـام. كان من الممكـن اسـتخدام الطائرة، غير أن عبور البحر المتوسـط يتطلب وقتـا طويـل وخطيرا لا يقل عن ثـمانية سـاعات . وقرر ناصر تمام السـاعة الرابعة عصرا أنه سـيغادر عبر اليخت . وعده الرئيس تيتو بأن يقدم له مدمرتين يوغسـلافيتين يحرسون اليخـت حتـى يصل إلى الإسـكندرية . في ذلـك الوقت أصدر ناصـر التصريح الأول الذي يعلن فيه مسـاندته ودعمه للثورة في العراق . وأرسل برقية إلى عبد الكريـم قاسـم . وعندما بدأ يحل الظلام، وصلتنا شـائعات تدور حول عملية إنـزال إجبـاري للقـوات الأمريكيـة في بيروت وإنـزال للقـوات الإنجليزية في عمـان .

بدأت يخت «الحرية» رحلتها في البحر إلى أن وصلت إلى البحر الادرياتيكـي، بـدأت الأنوار تنطفـئ على اليخت وكذلك على المدمرتـين وتلقى عبد الناصر برقيـة مـن تيتو يقول فيها : «أقـترح على اليخت أن يتوقف وسأرسـل لك زورقا يحمل رسـالة مهمة» . وسـرعان ما ظهر قارب من وسـط عتمـة الظلام الدامس وصعد الضابط البحري على متن «الحرية» . تضمن رسالة تيتو لعبد الناصر أن يتخلى عن السـفر عبر البحر لأن الوضع سـيصبح أكثر خطورة . واقترح عليه

(٤٢) المعروف باسـم منظمة الاتفاق المركزي – سـينتو، هو منظمة عسكرية – سياسية تأسست بمبادرة من إنجلترا . كانت النواة الرئيسة من خلال إبرام اتفاق في بغداد ٢٤ فبراير ١٩٥٥ ليكون حلف عسكري بيـن تركيا والعـراق . وانضمت إليهم في نفس العـام كل من بريطانيا، إيران وباكسـتان . واختفى هذا الحلف من على الساحة تماما في عام ١٩٧٩ .

أن يرسي السفينة في أقرب ميناء يوغسلافي, وكتب أنه من المرجح أن يجد طائرة إسعاف لكي تقوم بتوصيله إلى بلاده . وبعد ذلك وصلت رسالة أخرى من تيتو تفيد : بأنه تم تدبير أمر الطائرة وهي تنتظرك في مطار بولا . ولمزيد من السرعة، نصح تيتو ناصر بضرورة أن يبحر عبر إحدى المدمرات اليوغسلافية المرافقة له إلى أن يصل إلى بريوني وأضاف تيتو : «لكي أضمن بقاء التواصل معك والاتصال بك، فقد أمرتُ بإهدائك طائرتين مائيتين تحت تصرفك ليكونوا بمثابة حلقة الوصل بين اليخت والمدمرة التابعة لكم».

استدعاني عبد الناصر ووزير خارجيته محمد فوزي إلى غرفته وقال إنه يتوقع أن تكون هناك مؤامرة سرية (ولم يكن قد مر عامان على حرب السويس آنذاك) . وعلمنا أن الطائرات البريطانية في ذلك الوقت وبالاتفاق مع إسرائيل قد طارت فوق أراضيه في طريقها إلى عمان. ويتوقع أن تكون عملية إنزال القوات الأمريكية في لبنان هي مقدمة لشيء ما على نطاق واسع ولكن ما هو ؟ وما هو المتوقع من تركيا إذن ؟ (فقد انعقد في أنقرة آنذاك اجتماع لمجلس حلف بغداد وتم اغتيال وصي العرش عبد الله وكذلك نوري سعيد في تلك اللحظة التي اعتزموا فيها التوجه إلى أنقرة) . وفي ظل هذه الأجواء، توصل ناصر إلى نتيجة مفادها أنه لابد وأن يلتقي مع خروتشوف شخصياً في الحال . ولكنه أراد معرفة رأينا في البداية وطلبنا منه إمهالنا نصف ساعة للتفكير ثم أخبرناه برأينا. فقد كانت دوافع الموافقة والرفض على هذا القرار متساوية تقريباً لدرجة أنه يتعين عليه أن يأخذ القرار النهائي بنفسه . وقال : «حسناً، سأذهب أنا» . وتم إرسال برقية من القاهرة بشفرة آمنة إلى خروتشوف من اليخت: «أريد أن ألتقي معك في المكان المناسب لك قبيل عودتي إلى القاهرة . أنا في الطريق إلى بريوني وآمل أن تكون إجابتك بالموافقة».

عندما دخلت المدمرة إلى ميناء بولا، التقى بنا وزير خارجية يوغسلافيا بابوفيتش في قارب صغير . وأبلغنا الوزير برد خروتشوف قائلا : «إنه في انتظار ناصر في موسكو إذا ما كان ذلك مناسباً لناصر، وإن لم يكن مناسباً فليختر

مكانا آخر مناسبا له «. اجتمعنا في مكتب تيتو ورأينا غالبية كبار رجال دولته بما فيهم بابوفيتش وجوشيناك – وزير الدفاع . اتفقوا جميعاً على أن الوضع بات خطيرا, وشرح لهم ناصر أسباب طلبه لقاء خروتشوف .

أرسل إلينا خروتشوف طائرة « تو ـ ١٠٤» كانت في انتظارنا في ركن بعيد بالمطار، إلا أن حجمها الضخم كان واضحاً في عتمة الظلام، حيث لم يسبق لنا رؤية طائرة بمثل هذا الحجم . صعد خمسة أفراد على متنها وهم : عبدالناصر، محمود فوزي، حسن صبري الخولي – سكرتير عبد الناصر، أحد الحراس الشخصيين لناصر وأنا . وظل الباقون بما فيهم زوجاتنا في يخت «الحرية» لا يعلمون عنا أي شيء .

اقترب الطيار الروسي من عبد الناصر وأدى التحية له وسأله بالا نجليزية : « ماذا تأمرني يا سيدي ؟» أجاب ناصر أننا سنطير إلى موسكو . رأيت علامات الدهشة على وجه ذلك الطيار، وكأنه يتوقع أن نطير إلى القاهرة مثلا, واندهش كثيراً عندما تم تغيير خط سير رحلته .

استغرقت الرحلة حوالي ساعتين ونصف طيران، ومع بزوغ الفجر بدأت الطائرة تهبط إلى مطار فنوكوفا، تم سحب الطائرة بعيداً عن محطة المطار، ووضعوا السلم جانباً ورأينا ثلاثة سيارات في انتظارنا، كان بهم كوسيجين، ميكويان، والجنرال سيروف – رئيس المخابرات الحربية، و سابوليف – المترجم الشخصي لخروتشوف . وصلنا إلى فيلا صغيرة في إحدى ضواحي موسكو. نظر ميكويان إلى الساعة وقال : «أنها الآن السادسة .ارتاحوا قليلاً وبعد ذلك نبدأ المباحثات . وسيصل خروتشوف في وقت لاحق، فذلك أفضل من الناحية الأمنية . «هل يناسبكم أن تبدأ المباحثات في العاشرة ؟» .

وافقنا ولكن بدا الموقف كوميدياً إلى حد ما، فقد كان لزاما علينا التواصل مع سفيرنا، طالما أن هناك أفراداً قليلة بالقاهرة بما فيهم المشير عامر على علم بالمكان الذي نحن فيه، حيث صدر لهم الأمر بالتواصل معنا

عبر السفارة المصرية بموسكو من خلال الشفرة الأكثر أماناً والتي لا يعلم مفتاحها سوى حسن صبري الخولي . وفي تمام السادسة والنصف، جاء اتصال من وزارة الخارجية بسفيرنا في موسكو، الكوني، وطلبوا منه التوجه على الفور إلى الوزارة. ونظراً لأن سيارات السفارة لا يمكن أن تعمل في ذلك الوقت، فقد صدر الأمر بتجهيز سيارة خاصة له في غضون خمس دقائق . توقع الكوني أنه لابد أن يكون هناك أمرا خطيرا ويمكن أن يكون إنذارا من الغرب . ارتدى السفير ملابسه على الفور وتوجه نحو السيارة المجهزة له واكتشف أنها لا تسير إلى طريق الوزارة، بل تسير خارج المدينة . دق على الزجاج الذي يفصله عن السائق، غير أن السائق لم يجبه بأي شيء . توقع الكوني أن يكون تعرض لعملية خطف، لكن من يخطفه ولماذا، لا يعلم . فقد كانت السيارة تسير بسرعة كبيرة، وباءت بالفشل كل محاولاته للتواصل مع السائق .

وفي النهاية دخلت السيارة من بوابة الفيلا التي ننتظر بها . دخل الكوني ووجدنا نتباحث مع فوزي . وتعجب الكوني قائلاً : «إما أن أكون قد جُننتُ أو الروس هم من أصابهم الجنون «وأضفت أقول : «أو نحن من أصابنا الجنون».

وفي تلك اللحظة خرج عبد الناصر من الفيلا وشعر الكوني بأنه تلقى أكبر صدمة في حياته .

وصل خروتشوف تمام الساعة العاشرة، كان عبد الناصر في انتظاره عند المدخل الرئيس، غير أن خروتشوف دخل من مدخل آخر ووقف خلفنا، وقال : «إنني سعيد جداً لأنك وصلت إلى هنا طائراً . نحن قلقون للغاية . ولا نريدك أن تعبر البحر المتوسط في سفينة صغيرة، فهذا البحر مليء بالأفراد الذين يرحبون بتقديمك طُعماً للسمك».

عندما تحدث خروتشوف، بدا واضحاً أن القيادة السوفيتية تدرك خطورة الوضع ولكنها استقبلته بتوجس، فإنجاز القومية العربية لم يتناسب مع التحليل الماركسي المعتاد . قال خروتشوف : «يعلم الإمبرياليون أن حربهم



الحقيقة ضدك، وأنك بالنسبة لهم رمز نضال العرب ! وإنني أدعوكم لشرب نخب على شرف نجاحكم (كان ذلك في العاشرة صباحا)، لا، لن أشرب الفودكا اليوم . سأصبح مسلما اليوم فقط ! من الآن لن يكون هناك أي تناول للخمور وأدعوكم لتناول عصائر الفواكه على شرف نضال العرب وقائد كل العرب !».

حملت الجملة الأخيرة هذه معنى كبيراً، فهي تعني أن القادة السوفييت قرروا تحويل مصر إلى مركز لتنسيق كل علاقاتهم مع العرب، ذلك القرار الذي أوضح إنهم غير قادرين على تنفيذه .

بدأت المباحثات وأخذت أسجل ما يُقال . بدأ عبد الناصر في شرح الموقف كما يراه من وجهة نظره . وكان يرى انه من المستبعد أن يقوم الأمريكان والإنجليز بتنزيل قواتهم في بيروت وعمان على سبيل التسلية، بل من المتوقع أن يكون ذلك مقدمة لحدث أكبر، « ولهذا فقد جئتُ إليكم لكي أعرف موقفكم».

أجاب خروتشوف قائلاً : «أريد أن تعلم قبل أي شيء إننا أقوياء وأقوى من الأمريكان أنفسهم. ومن السهل القضاء على ذلك الأسطول الذي أرسلوه إلى مياه البحر المتوسط بقيادة قبطان مجنون . فنحن نمتلك سلاحا قادرا على تحويل الأسطول الأمريكي السادس إلى توابيت تحمل جثث بحارتهم . غير أن

المشكلة الرئيسية ليست في السلاح، وإنما هي قضية سلام أو حرب . فالموقف خطير بالفعل، وأعتقد أن الفائز فيه هو من يتمتع بأعصاب قوية . وهذا هو أهم ما يميز الصراع في وقتنا الحالي، فهؤلاء ذوو الأعصاب الضعيفة لابد من إعدامهم بالرصاص .

لقد دخلنا في لعبة تدور قواعدها بسرعة كبيرة ولابد وأن يتحرك كل من فيها بسرعة كبيرة ولا يمكنني الحكم على الخطوات التي يعتزم اتخاذها اللاعبون الآخرون. فهي أشبه بمن يلعب لعبة الشطرنج في الظلام الدامس . هناك زعزعة في الثقة نحو الغرب، وجاءت الثورة العراقية لتمثل مفاجأة غير متوقعة للغرب . ودالس لم يكن ليفهم أي شيء في أي وقت، فدائماً ما يتحدث عن الديمقراطية والدين وهو لا يعرف أي شيء عن الدين .

بالنسبة لحلف بغداد فقد اختفي في ضربة واحدة، فهل من الممكن أن نتصور حلف بغداد بدون بغداد ؟ هل يمكن أن نتصور أن تعارض بغداد حلفها ؟ اعتقد أن مجرد هذا الاعتبار يكفي لكي يصيب دالس بانهيار عصبي. أريدك أن تعلم ما الذي قاله إيدن لبولجانين ولي عندما كنا في زيارة للندن في عام ١٩٥٦، قال إنه إذا ما رأى أن هناك خطراً من إمداد بريطانيا بالنفط من الشرق الأوسط، فإنه سيلجأ لاستخدام القوة . وكان يتحدث بمنتهى الجدية. وما يحدث الآن يؤكد كلامه . أجبناه بأن هناك شيئا ما ينذر بهذه المخاوف. وقلنا له أن يستمر في عمله المخابراتي . وسألته ماذا سيفعل العرب بالنفط إذن، فالاتحاد السوفيتي ليس بحاجة لنفط العرب، فنحن نقوم باستخراج كميات من النفط تفوق معدل استهلاكنا له، ولسنا من الجهات التي تقوم بشراء النفط من العرب، بل أنتم المشتري الطبيعي له . أضاف خروتشوف، عليك أن تضع في اعتبارك أنه بالنسبة لنا نحن وليس لإيدن فهناك فرق بين المشتري واللص . فدول الغرب لا ترغب في شراء هذا النفط، بقدر ما ترغب في سرقته . والثورة التي وقعت في العراق باتت تشكل خطراً على هذا النفط، إنني لا أعلم أي شيء عن القيادات الجديدة بالعراق، ولكن الأهم بالنسبة لهم هو الثقة في

الغرب والثقة بعدم توقف صفقات بيع النفط . فلابد وأن تلعب بمنتهى الحذر وتذكر دائماً أن اللعب يكون على الأعصاب . فنحن نعيش في عصر صعب ومعقد . وشبح اندلاع حرب نووية يطل على المشهد طوال الوقت، والمخاطرة الكبرى ستكون في بداية اندلاع تلك الحرب لأنها ستكون بمثابة صدمة تنذر بأحداث غير متوقعة . وإذا ما استطعت تخطي هذه المرحلة بسلام، فستكون الأمور على ما يُرام فيما بعد . لابد, وأن يقتنع الغرب بأنكم على استعداد للتفاهم المتبادل معه . وعليك وأن تظهر المرونة في ساعة النصر» .

أجاب عبد الناصر بأنه يتفق بالكامل مع التحليل الذي افرده خروتشوف وقال : «لكن من المهم كذلك أن يشعر الغرب أن الاتحاد السوفيتي مستعد لاتخاذ موقف حاسم . فهل من الممكن أن تصدر تصريحات على سبيل المثال تفيد بأنه إذا ما قام الغرب بشن هجوم أو التهديد به فإن الاتحاد السوفيتي مستعد للتدخل ؟» .

أجاب خروتشوف قائلاً : «هذا سيعقد الأمر، لأنه سيزيد من حرارة الموقف، الأمر الذي سيؤدي إلى عواقب غير محمودة . فدرجة الحرارة قد وصلت إلى مرحلة الغليان، ولا يجب علينا زيادتها».

قال عبد الناصر: «لكن لابد وأن يشعروا إنكم على استعداد للتدخل بشكل قوي».

خروتشوف : «ينبغي عليهم أن يشعروا بذلك من تلقاء أنفسهم».

استمرت المناقشة لبعض الوقت، وعندما اقتربت الساعة من الحادية عشرة والنصف، كان يتعين على خروتشوف المغادرة لحضور اجتماع المكتب السياسي . ووعدنا بالعودة على الغذاء في الثالثة .

قال لنا خروتشوف إنه تقرر زيادة حجم المناورات التي يقوم بها حلف وارسو، المقرر أن تبدأ غرب الحدود المشتركة بين بلغاريا وتركيا . وأضاف أنه في الغد سيتم الإعلان بشكل موسع عن تلك المناورات وهذا سيكون له تأثير

هام. سيترأس الفريق جريتشكو نصف مليون جندي ولكن لابد وأن يكون واضحا أن هذه مجرد مناورات فحسب. أضاف خروتشوف كذلك أنه يتعين على قادة العراق الجدد أن يلعبوا دورهم ويعطوا الغرب الضمانات المناسبة.

كان واضحا مدى اندهاش خروتشوف من نسف ذلك الحماس الوطني بالعراق، وتلك الحشود من المتظاهرين الذين رحبوا بعبد الناصر وكأنه شبه إله، وقال «هؤلاء الأفراد هم أفرادكم أنتم". وسأل هل نحن على دراية بالقيادات الجديدة بالعراق، أجابه ناصر بأنهم يتواصلون معنا وأدركنا من خلال رسالة وصلت من القاهرة، أنهم يطلبون لدينا المساعدة العسكرية. ويمكننا تقديم كل شيء لهم بسهولة، حيث توجد في القاعدة العسكرية البريطانية السابقة في منطقة قناة السويس الكثير من الأسلحة والمهمات الحربية الملائمة للجيش العراقي. وقد بدأنا إرسالها لهم جواً كما أرسلنا بعثة اتصالات إلى بغداد».

أمطر خروتشوف عبد الناصر بوابل من الأسئلة عن الوضع في العراق وباقي الدول العربية الأخرى، وأسئلة عن اللغة، الدين، العادات والتقاليد، السلالة الهاشمية ووضعها الديني ... وطرح سؤالا مباشراً كان دائما ما يشغل ذهنه: «هل هناك فرصة لكي تتحدوا مع العراق؟» أجابه ناصر: «لا أعلم، ولكن أعلم أن العراق يتعرض لمشاكل جمة ومسألة الوحدة معه لا يجب وأن تزيد من تعقيد تلك المشاكل. فالعراق لا يشبه سوريا, وهناك مشاكل بالطبع بين مصر وسوريا . وأعتقد أن أي اتصال بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق سيتم دعمه وهذا سيكون مرتبطاً بالكثير من الظروف ولا يمكنني تحديد ذلك إلا بعد الالتقاء مع القيادات الجديدة لبغداد لاستيضاح الموقف».

تشكل لدى خروتشوف انطباع خاص بعدما علم أن مجموعة من أنصار عبد الناصر استحوذت على مقر قيادة حلف بغداد وقال ناصر: «لقد نقلنا كافة الأوراق والمستندات التي تم العثور عليها هناك إلى القاهرة». حملق خروتشوف عينيه و سيروف ابتلع لعابه.

ثـم بدا الجو العام للمباحثات أكثـر خمولا. وبدا الجميع في تبادل النكات والحكايات. وقال ناصر إنه يريد أن يبقـى في دمشق قبيل عودته إلى القاهرة لأنها مركز الأحداث . كان سيروف في انتظار معلومات من السفير الروسي في طهـران والذي صدر له الأمر أنـه في حالة الضرورة يقوم بإيقاظ الشـاه الإيرانـي ويطلب منه باسـم خروتشـوف أن يسـمح بمـرور الطيران السـوفيتي عبر مجاله الجـوي . وقد جاء الرد تمام العاشـرة مسـاء وطرنا بالفعـل إلى باكو (عاصمة أذربيجان- المترجمة) كان المشهد العام بالمطار أشبه بحالة الطوارئ : فقد بدأت المناورات وكان هناك ما بين ٥٠٠ـ٦٠٠ طائرة تقف في الملعب الصيفـي في صورة أسراب .

وبعـد تناولنا لطعام الإفطار، اقـترب إلينا قائد الطائـرة ليعرض علينا نص البيان المنشور من المناورات الذي وضع ليتواءم مع تلك الأجواء الدرامية لهذا الموقف.

مباحثات تحت سماء موسكو[٤٣]

لقد نسيتُ ذلك العام، بل ذلك الشهر الذي وقع فيه الانقلاب العسكري في بغداد[٤٤] ووصل الجنرال قاسم إلى السلطة، ولكني أتذكر أن هذا الحديث كان في فصل الصيف. وقد رحبنا من جانبنا بهذا الانقلاب، لأن نظام الحكم الذي كان قائماً بالعراق آنذاك كان من أكثر النظم الرجعية، والإرهابية وكان لابد من التخلص منه منذ وقت طويل، وقد نجح قاسم في ذلك. فقد أخذ يتقدم ويتحرك وكان هناك مرابطة للكتيبة التي كان يقودها وعندما مر عبر أراضي العراق، قام بإسقاط الحكومة. وتم اغتيال ديكتاتور بغداد[٤٥]، وكان الخليفة آنذاك لم يبلغ سن الرشد ولا أعلم ما الذي حدث معه بعد ذلك. وعلى أية حال فقد نجحت الثورة قولاً واحداً ومن الأرجح أن نصف ما حدث بأنه انقلاب ولكنه في المرحلة الأولى كان يسير نحو الاتجاه التقدمي وتم إضفاء الشرعية علي الحزب الشيوعي في بغداد والقوى التقدمية. لقد ساندنا قاسم ودعمنا ذلك الانقلاب الذي وصفوه بالثورة. واعترفنا بأن ما حدث كان حطام ثورة على نظام المجتمع والذي وصف قبل ذلك بأنه انقلاب.

عندما وقع الانقلاب في بغداد كان عبد الناصر في يوغسلافيا، وقبل حدوث الانقلاب بالعراق، كانت الوحدة بين مصر وسوريا قائمة وقد تم الانتهاء من كافة الإجراءات الرسمية الخاصة بتشكيل حكومة موحدة بين البلدين. ولا أتذكر الآن ما هي تلك الحقوق الدستورية التي كانت مكفولة لسوريا،

---

(٤٣) الأرشيف الحكومي الروسي للتاريخ المعاصر، ن.س.خروتشوف، حافظة رقم ٢، ملف رقم ٥٢ قضية رقم ٨، الأسطر من ٥-١١، نسخة مطبوعة على آلة كاتبة.

(٤٤) وقع الانقلاب العسكري في بغداد في الرابع عشر من يوليو لعام ١٩٥٨

(٤٥) المقصود به هو نوري سعيد (١٨٨٧-١٩٥٨)، حيث كان يشغل منصب رئيس وزراء العراق آنذاك.

ولكن كان واضحاً أن سوريا قد سقطت تحت قبضة عبد الناصر وأنه في الطريق للقضاء على كل البدايات الديمقراطية. وكان الحزب الشيوعي قد وصل إلى وضع غير مشروع في البلاد ووضعوا سوريا تحت أسنان المشط المصري. وأكرر مرة ثانية أننا لم نساند ذلك، وأن هذا قد أساء لصورة عبد الناصر. فهو يعلم جيداً أننا ندعم الحزب الشيوعي في سوريا وبغداد. فهل من المعقول أن يقود الحزب الشيوعي في سوريا حرباً ضد مصر أو ضد عبد الناصر، الذي ندعمه.

عندما وصل ناصر إلى يوغسلافيا، أرسل تيتو برقية لنا يلخص فيها طلب ناصر لاستقباله في الاتحاد السوفيتي وهو متنكر. أجبنا أننا على استعداد للقائه والتباحث مع ناصر – رئيس جمهورية مصر العربية[٤٦].

طار ناصر إلينا، تبادلنا الآراء حول كافة الموضوعات التي من الممكن أن يتطرق إليها المصريون وحددنا رأينا فيها، وكلفوني للقاء ناصر وجهاً لوجه. ولكن يبدو أنه كان هناك شخص آخر من وزارة الخارجية الروسية، بالرغم من وجود مترجم وأفراد يسجلون الحديث. وصل ناصر وأعتقد أنه هذه كانت هي المرة الأولى التي أتعرف فيها عليه[٤٧] وقد ترك لدى انطباع جيد: فهو شاب صغير السن، ذكي، الابتسامة لا تفارق وجهه، لقد أعجبني قولا واحدا. فقد التقينا معه بعيداً عن المدينة في منطقة نوفي اجاريوفي، وحضر من الجانب المصري كل من ناصر، السفير غالب[٤٨]، فهو شخص لطيف، ذكي، جدير بالاحترام. ويعرف الروسية جيداً لأنه كان المترجم الخاص بعبد الناصر. وكان لدينا مترجمنا الخاص ولكن لا يحضرني اسمه الآن. وصلنا إلى مرحلة تبادل الآراء، وكان الموضوع الأكثر استحواذا على باقي الموضوعات هو الوحدة بين مصر

---

(٤٦) المقصود بالأدق هو الجمهورية العربية المتحدة.

(٤٧) أخطأ ن.س.خروشف، فقد تعرف على ناصر أثناء زيارته للاتحاد السوفيتي في الفترة من ٢٩ ابريل – ١٦ مايو ١٩٥٨

(٤٨) أخطأ ن.س.خروتشوف، حيث كان السفير مراد غالب سفيراً للجمهورية العربية المتحدة بالاتحاد السوفيتي في الفترة من ١٩٦١–١٩٧١ وكان السفير المصري القائم آنذاك هو محمد الكوني، الذي تولى هذا المنصب في الفترة من ١٩٥٥–١٩٦١.



وسـوريا . حيث ظل ناصر يؤكد على أهمية وضرورة تلك الوحدة وبالنسـبة لي فقد أخذت أوضح موقف قيادة الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية . أرى مـن وجهة نظرنا أن هـذه الوحدة لا تعود بأن نفع على سـوريا وبالتالي لن تعود بنتائج ايجابية على مصر، فهـذه الوحدة كانت مصطنعة ولم تكن تقدمية و نحن نأسف عليها .

كان ناصر يتحدث بمنتهى الثقة أثناء المباحثات، لدرجة أنه احتد في حديثه وقـال : « أنت تقول أننا ندعم خالد بكداش؟ فهل تريد أن يحكمنا بكداش هـذا ؟ نحن لا نسـتطيع تحمل ذلك، فهذا « أمر مسـتحيل «. فقد اسـتنتج عبد الناصـر أن بكداش يقف ضد الوحدة وأننا ندعمه وهذا هو خطأنا . أعتقد أنه في هـذا الحديـث أراد ناصـر أن يوضح أن هـذه مجرد بداية وأن هـذه الوحدة من الممكـن أن تسـتمر . أكـرر ثانية أننا لم نسـاند فكرة الوحـدة هذه، وقلتُ لناصـر أن مصـر القويـة هو أمـر لا يزعجنا، بل علـى العكس فنحن سـعداء بذلك . وسنبذل قصارى جهدنا لأجل تعزيز مكانة مصر وليس مصر فقط، بل والعالم العربي أجمع حتى وأن اتحد في دولة عربية موحدة ذات ٥٠ مليون نسمة . فالعالم العربي لديه مسـاحات شاسـعة من الأراضي، غنيـة بالنفط، والثروات الطبيعيـة المتنوعة . كما أن الموقع الجغرافي للـدول العربية جيد للغاية وهذا لا يعارضنا .

«أقول إننا نستجمع القوى الآن، ولدينا ترسانة عسكرية قوية، تجعلكم لا تمثلون قوة تزعجنا، فنحن نفكر معكم في تجنب شن أي حرب، وضرورة توحيد جهودنا ضد القوى الرجعية. فما سبب اعتراضنا إذن على فكرة الوحدة بين الدول العربية ؟ فنحن لا نساند هذه الفكرة الآن بسبب ظروف معينة. وأعتقد أنكم أخطأتم عندما أقدمتم على هذه الفكرة. فهل كنتم تعتقدون أنها ستعود بالنفع على مصر ؟ أرى أنها على النقيض من ذلك، فقد أضعفت موقفكم».

بالطبع لم يكن عبد الناصر ليوافق على هذا الحديث، قلتُ له : «سيادة الرئيس، إن الحزب الشيوعي لديكم يعمل وكأنه تنظيم سري، وتعمل قيادته وهي قابعة داخل السجون. أما في سوريا نجد أن الحزب الشيوعي ينعم بالحرية. فأنتم ليس لديكم أي نظام برلماني من الأساس، أما سوريا فقد اعتادت على النظام البرلماني. يوجد في سوريا برلمان وأحزاب تعبر عن آرائها ومواقفها كما يوجد لدى سوريا ديمقراطية بورجوازية. يمكن القول بأن سوريا من أكثر الدول العربية ديمقراطية. أما الآن بعد حدوث الوحدة مع سوريا، فقد حرمتموها البرلمان وتحملتكم على عاتقكم حل كافة المشاكل. فهل هذا سيعزز اتحادكم مع سوريا ؟ - هذا ليس صحيح، لأنه أمر مؤقت. ومن المتوقع أن يبدأ الصراع وستتكبدون فيه الخسارة، بالإضافة إلى ذلك، فإن مستوى المعيشة في سوريا يفوق نظيره في مصر وبعد تلك الوحدة سيكون هناك وحدة كذلك للموارد المالية، ولكن من سيربح ؟ مصر ستربح وسوريا ستخسر، فقد كانت سوريا تقوم بتوريد القمح قبل تلك الوحدة، ولكن بعدها لن تقوم بتوريده للخارج لأن مصر تستهلك القمح أكثر من معدل إنتاجها له. وبالتالي فمن الطبيعي أن يذهب المعدل الفائض من القمح السوري إلى مصر. حُرمت سوريا كذلك من العملة الضرورية لتطوير اقتصادها وهي تعاني الآن من هذه المسألة. لقد تعجلتم الأمر , وستندمون على ما حدث.» « إنني لا أوافقك الرأي، فأنتم لا تدرسون القضايا العربية بشكل جيد. وإذا ما تحدثنا بصراحة حول ما إذا كنتُ أريد تلك الوحدة أم لا، وهل فكرتُ فيها ؟ سنجد أن السوريين

أنفسهم هم من دفعونا نحو تلك الوحدة و نحن وافقنا عليها».

قلتُ له : «إن حديثك صحيح . لقد أدركنا بالفعل أن سوريا هي القوة الرئيسية وراء فكرة الوحدة، بل ومن الممكن أن تكون هي صاحبة تلك المبادرة . ولكن لماذا فعلت ذلك إذن ؟ لأن الثورة قد بدأت بذورها تنبت في سوريا وبدأت القوى الديمقراطية والحزب الشيوعي يعززون نفوذهم على الشعب السوري . ولهذا فقد ارتجف أصحاب رأس المال، أصحاب البنوك والمصارف أمام القوى الديمقراطية والحزب الشيوعي . ورأوا أن الوحدة مع مصر ستنقذ رأس مالهم ونظامهم البورجوازي الرجعي وبأيديكم سيتم لجم القوى التقدمية الصاعدة . فقد كانوا على استعداد لتحمل أية خسارة مقابل الحفاظ على كل مقدراتهم وممتلكاتهم فيما بعد . وهم على يقين من أنهم غير قادرين على التغلب على القوى التقدمية بمفردهم داخل البلاد . وهذا هو تصورنا للموقف في سوريا، ولهذا فإننا نرى أن موقف خالد بكداش صحيح وطبيعي و نحن ندعمه . وستندمون على تلك الوحدة فيما بعد . ستنهار جمهوريتكم الموحدة».

لن أضيف الآن مزيد من الحجج والأدلة،ولكني على يقين من صحة ما أقول . فقد تم تسجيل حديثي على يد مترجمكم وممثل وزارة الخارجية وكذلك السفير المصري غالب .

قضينا طوال اليوم سويا، وتناولنا الغذاء في الهواء المنعش على ضفاف نهر موسكو، كانت الأجواء جيدة تماما . فقد كان الجو رائعاً : يوم صيفي رائع في موسكو وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت مشكلة معقدة . فقد كنا نتحرك في إطار الحفاظ على جو الصداقة الذي يخيم على المباحثات وما حدث كان تحليلاً للأوضاع التي تفاقمت في منطقة الشرق الأوسط بين مصر وسوريا . وكل واحد فينا كان متمسكا برأيه، فقد رأى ناصر أن ما قام به كان صحيحاً ولا خيار آخر وأن هذه ظاهرة تقدمية فحسب وقد حدثته عن رأي .

لا أتذكر الآن متى قام قاسم بعمل الانقلاب : هل عندما كان عبد الناصر في يوغسلافيا أم عندما كان لدينا . وعلى أية حال، فقد ترك رئيس الجمهورية العربية المتحدة انطباعاً جيداً لدي وكذلك لدى باقي الرفاق الذين التقى بهم ولكن لا يحضرني أسماؤهم الآن . لأنه لم تكن هناك أية مراسم رسمية لاستقباله، فقد أتى إلينا متنكراً، وتحدثنا سوياً وجهاً لوجه وفجأة وقع الانقلاب العسكري بقيادة قاسم في بغداد .

كانت مشاعر القلق قد بدأت ترتسم على وجه عبد الناصر وقال : «لابد وأن أعود إلى بلدي، سأذهب الآن إلى يوغسلافيا ونبحر منها مع الأسرة للعودة إلى الإسكندرية» .

فكرتُ وتحدثتُ معه عن أرائي واعتباراتي . سيادة الرئيس لا أنصحك بالعودة الآن عبر البحر المتوسط . يبدو وأن الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا قد أعدوا القطع العسكرية التابعة لهم في وضع الحرب بسبب ذلك الانقلاب الذي وقع في بغداد . فهناك حالة من التوتر ذات طابع عسكري تخيم على الأجواء هناك، كما تم إنزال القوات الانجليزية في ليبيا في ذلك الوقت . قلتُ : «إنكم لا تحظون بتعاطف دول الغرب؛ ولهذا فلا داعي لإغراق سفينتكم في بحر قوى الأعداء ولا يمكن التوضيح لأي شخص أسباب مرور السفينة التي يوجد بها رئيس الجمهورية العربية المتحدة . لاحظ أنك تسير في يخت غير مسلح، حتى وإن كان مسلحاً فلا يمكن فعل أي شيء، لأن الغواصات والطائرات تتحرك هنا سريعاً ذهاباً وإياباً . وهذه ستكون فرصة سانحة للتخلص من الرئيس، وعندئذ يمكن القول بأن الرئيس قد غادر يوغسلافيا ولكن سفينته لم تصل إلى الإسكندرية . أنصحكم بالسفر عبر الطائرة دون المرور فوق مياه البحر المتوسط، بل عن طريق باكو - إيران - العراق - سوريا وعندما تصل إلى هناك ابحث عن أي طريق للعودة إلى القاهرة» وقد اتفق معي في هذا الرأي .

لا يمكــن وصف علاقاتنا مع إيران آنذاك بأنها جيدة ولهذا نسـتخدم المجال الجـوي لها، حيـث كان لابد من إبـرام اتفاق محدد لأجل هـذا الغرض. وكنتُ متأكـداً مـن أن شـاه [٤٩] إيران لن يرفـض ذلك، لأنه عندمـا كان في زيارتنا، شـعرنا وكأنـه يبـدي اهتمامه نحو تحسـين العلاقـات فيما بيننـا. وكان موقفنا دائماً يتجسـد في تحسـين العلاقات مع إيران، خاصـة وأنها دولة جوار، وكذلك الحال مع باقي دول الجوار الأخرى.

عندما وافق ناصر على خطة رحلة الطيران التي اقترحناها عليه، طلبنا الإذن بالسـفر عبر طائرتنـا، ولا أتذكر تلك الرواية التي قدمناهـا آنذاك، ولكننا بالطبع لم نذكر أن رئيس الجمهورية العربية المتحدة سيكون على متن تلك الطائرة، وسـرعان مـا حصلنا على إذن المـرور عبر المجال الجـوي لإيران، وغادر ناصر وتلقينا خبرا يفيد بوصوله إلى سوريا.

---

(٤٩) شاه إيران في ذلك الوقت كان محمد رضا بهلوي.

الفصل الثالث

البحث عن تفاهم مشترك

بحثاً عن التفاهم المتبادل

رسالة ن.س.خروتشوف لجمال عبد الناصر ١٩ فبراير ١٩٥٩(٥٠)

سيادة الرئيس المبجَّل !

كنتُ أود مشاركتكم بعض الآراء في ذلك الخطاب السري حول الموضوعات التي طُرحت مؤخراً من جانب مسئولي الدولة بالجمهورية العربية المتحدة مع المسئولين السوفييت في ضوء المباحثات. فقد تشكل لدينا انطباع من خلال حديثكم مع السفير السوفيتي قبيل زيارتكم لموسكو ومن خلال باقي المباحثات وتصريحات الصحف بالجمهورية العربية المتحدة، يفيد هذا الانطباع بأن الأحداث الأخيرة المعروفة قد أثارت حالة من القلق في حكومة الجمهورية العربية المتحدة حول مستقبل تطور العلاقات بيننا . وبات هناك حالة من الشك حول إمكانية تغيير علاقة الاتحاد السوفيتي إزاء حركات التحرر الوطني للعرب . نرى من وجهة نظرنا ضرورة توضيح الرؤية حول هذه المسائل الخطيرة فيما بيننا . تعلم سيادة الرئيس أاه أصبح لدينا علاقات طيبة بين البلدين وقد لعب ذلك دوراً في الدفاع عن مصالح الأمن والسلام لدول الشرق، نذكر على سبيل المثال أيام أزمة السويس، أو الاستعداد لشن هجوم على سوريا، عندما كان هناك تحرك مشترك فيما بيننا لصد هجوم قوى الاستعمار المتكتلة بصعوبة بالغة . كما ساعد تعاوننا البناء في القضاء على الاحتكار الدائم لرأس المال الأجنبي الضخم في الحياة الاقتصادية لدول الشرق الأوسط و نحن سعداء للصعود المتنامي للاقتصاد الوطني لتلك الدول .

---

(٥٠) ن.س.خروتشوف، الصراع الشرق أوسطي. ١٩٥٧-١٩٦٧ من وثائق أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية، موسكو، ٢٠٠٣، ص ص ٢٦٢-٢٦٥.

لقد كان التعاون فيما بيننا تعاوناً مثمراً على الرغم من أن الجميع يعلم بوجود وجهات نظر أيدلوجية مختلفة بيننا . ولكن ما يجمعنا هو النضال من اجل السلام، مواجهة الاستعمار والإمبريالية . لقد رأيتُ في بورسعيد أنه من الضروري أن تعبر عن رأيك في هذه القضايا[٥١]، ولهذا فقد كنا مضطرين للإعراب عن استيائنا أثناء اجتماع الحزب لدينا [٥٢].

لقد كان هناك اختلافات فكرية فيما بيننا منذ وقت مبكر، وبالرغم من ذلك فإن دولنا قادرة على مواصلة التعاون، كما نتعاون مع العديد من الدول الأخرى ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة . وإذا ما نظرنا للوضع الحقيقي للأشياء، لوجدنا أن أعداء علاقات الصداقة التي تجمع الاتحاد السوفيتي بالجمهورية العربية المتحدة يحاولون الآن استغلال تلك الاختلافات الأيدلوجية .و يحاول أعداؤنا المشتركون - المستعمرون البحث عن أية ثغرات لتوسيع رقعة الخلاف فيما بيننا ونسف علاقات الصداقة التي تجمعنا سوياً .

نعلم جيدا أن الدول الغربية تشي بنا لدى حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وأرى ضرورة أن أوضح لك سيادة الرئيس وأقولها بكل صراحة أن مثل

---

(٥١) جاء في الخطاب الذي ألقاه الرئيس عبد الناصر في بورسعيد في ٢٣ ديسمبر١٩٥٨، اتهامه للحزب الشيوعي السوري المنحل رسميا في ذلك الوقت بأنه مناهض للقومية والوحدة العربية ووصف موقف الحزب بأنه رجعي وقريب من سياسة الصهاينة (انظر موقع /www.egyptianjasis.net archive/index.php/f-78.html) كان خطاب عبد الناصر هذا بمثابة نواة لاختلال مناخ العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي .

(٥٢) جاء في التقرير الذي قدمه خروتشوف في اجتماع الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي، الذي انعقد في ٢٧ يناير١٩٥٩ : " نظراً للتصريحات الأخيرة التي ظهرت في الجمهورية العربية المتحدة والتي تناهض الفكر الشيوعي، فقد بات من الضروري الإعلان بأن لا يصح اتهام الشيوعيين بأنهم يساعدون في إضعاف او تشتيت الجهود القومية لمحاربة الامبريالية . على العكس، لا يوجد من هم أكثر حزماً وولاءً من الشيوعيين تجاه قضية محاربة الاستعمار <......> وأن محاربة الأحزاب الشيوعية والتقدمية الأخرى هو عمل رجعي.كما ان انتهاج سياسة مناهضة للشيوعية هو امر لن يوحد القوى الوطنية، بل سيفرقها ويضعف جهود كل الأمم في حماية مصالحها من الإمبريالية . ولا يصح كذلك اتهام الشيوعيين بمحاربتهم للمصالح الوطنية للشعوب العربية .ومن السذاجة تشبيه الشيوعيين بالصهيونية . فالجميع يعلم جيداً أن الشيوعيين،حتى من هم داخل إسرائيل، يقاومون ضد الصهيونية ". انظر : الاجتماع الحادي والعشرين الطارئ للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي . تقرير مختصر . مجلد رقم ١، موسكو، ١٩٥٩ – صـ٧٩.

تلك الوشايات التي تفتعلها القوى الإمبريالية لن تستطيع أن تؤثر علينا ولن تغير من علاقاتنا الطيبة مع الجمهورية العربية المتحدة .

لن تفلح هذه الدول في إيجاد مثل هذه الثغرات ؛ ولذلك سيظلون يبحثون عنها حتى من جانبكم . ويعلم الجميع أن محاربة الشيوعية هي عملية تُدار منذ مائة عام وأنتم تعلمون ما هي نتائج ذلك حتى الآن . وعلى آية حال فلا داعي للوقوف عند التفاصيل في هذا الموضوع . ومن خلال معرفتي بكم كشخصية سياسية في غضون سنوات قليلة، أريد أن أعرب عن أملي في إخفاق القوى الإمبريالية في العثور على تلك الثغرة لديكم لكي يتسنى لها هدم وحدة شعوبنا في محاربة الاستعمار . هل توجد أسس يمكن الاستناد عليها للقول بأنه لا يوجد الآن تهديد للجمهورية العربية المتحدة أو الدول العربية الأخرى من جانب الدول الامبريالية الكبرى، التي تدهس بأقدامها على أية حريات واستقلال الدول العربية، هل يمكن اعتبار أن العملية الصعبة للنهوض باقتصاد تلك الدول والقضاء على العواقب الوخيمة للاستعمار التي يتوارثها الدول منذ القدم، هل يمكن اعتبار أن تلك المعضلة وجدت حلا لها ؟

نحن على قناعة تامة بأن الوضع الحالي يتطلب تعزيز تلك الوحدة لمواجهة الإمبريالية والاستعمار. ويمكن القول صراحة إن قوى الإمبريالية باتت الآن تشكل خطورة كبيرة عليكم أكبر من خطورتها علينا، لأن الاتحاد السوفيتي وصل الآن إلى مرحلة من التطور تؤهله لأن يضع في خطط حكومته تلك المهام التي لا تستطيع الدول المتقدمة اقتصادياً وكذلك الرأسمالية القيام بها . كما نعلم جيداً أن الدول الغربية لا تألوا جهداً في البحث عن أية وسائل لخلق صراع بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة، فبمقدورهم أن يقدموا لكم وثائق حول «نشاط الحركة الشيوعية العالمية»، وهي وثائق مزيفة ولا تمت للواقع بأي صلة، حيث لديهم خبرة كبيرة في مجال تزييف مثل تلك الوثائق . أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فهي حافلة بالوسائل المختلفة ولديها جيش كامل من الخبراء المتخصصين في عمليات تزييف

وتزوير المعلومات وتضليل الشخصيات السياسية والرأي العام في مختلف دول العالم، وذلك بهدف إفساد العلاقات القائمة بين الدول المحبة للسلام.

علمنا كذلك أن الصحف الإنجليزية والفرنسية كانت قد نشرت أنباء نقلا عن مصادر يوغسلافية تفيد بإعداد محاولة للاعتداء عليكم والصقوا هذه التهمة بالاتحاد السوفيتي. ولكنهم التزموا الصمت إزاء تلك المعلومات التي تؤكد أن أجهزة الاستخبارات الفرنسية والإسرائيلية هي من أعدت محاولة الاعتداء هذه. كما أنهم يمدونكم بمعلومات حول « تغلغل النفوذ الشيوعي « في اليمن من خلال الخبراء السوفييت، كما حاولوا ترويع القيادات اليمنية بتزويدهم بمعلومات عن « التطلعات الموالية للشيوعية « للرئيس عبد الناصر، وعن أي دور يقوم به الخبراء السوفييت لجذب حكومة الجمهورية العربية المتحدة للتعاون في بناء آية مشروعات داخل البلاد. أوضح التاريخ أن عملاء الإمبريالية يسعون دائماً لتحقيق أغراضهم الدنيئة والطامعة. وطالما أن الجمهورية العربية المتحدة (ستظل أنت قائدها)، كانت وستظل تمثل غشاوة في عيون القوى الإمبريالية، فهم يحرصون على عزلكم عن الدول الأخرى المناهضة للإمبريالية لكي تنجح في الانتصار عليكم وحدكم.

أما فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي وحكومته، فإننا ندعمكم بإخلاص في نضالكم العادل لأجل الاستقلال والحقوق المشروعة للجمهورية العربية المتحدة في مواجهتها للاستعمار. لن تتغير علاقاتنا بكم بصرف النظر عن الظروف السياسية المؤقتة.

لقد عرفناكم شخصية بارزة في حركة تحرر الشعوب العربية من نير الاستعمار، وقد لعب النضال من أجل تحقيق الاستقلال الوطني و تحرير شعب مصر والشعوب العربية الأخرى من براثن الاستعمار، دوراً كبيراً في صعود حركة التحرر الوطنية لشعوب قارتي آسيا وإفريقيا. لقد استقبلنا بكل ارتياح تصريحكم، أثناء حديثكم مع السفير السوفيتي، حول أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لا تفكر في تغيير سياسة الصداقة التي تجمعها

والاتحاد السوفيتي . ويسرني الإشارة إلى التعاون الوثيق والصديق والعلاقات الاقتصادية والثقافية بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة . و نحرص من جانبنا على تعزيز وتوسيع تلك العلاقات بالرغم من وجود مهام داخلية جسيمة ملقاة على عاتق الاتحاد السوفيتي لتطوير اقتصادنا الاشتراكي وتأسيس الشيوعية .

عندما كنتُ في موسكو، لاحظت أن المباحثات تسير في جو من الصداقة والثقة المتبادلة، حيث كان هناك عملية لتبادل الآراء في شتى الموضوعات على صعيد القضايا الدولية والإقليمية. ولم نخف حرصنا على تطوير دولتكم والتشجيع على ظهور قوى جديدة بها وأن يعلو دورها البارز كعامل مهم في العالم لتحقيق الاستقرار والازدهار في الشرق الأوسط . وأريد أن أوضح في هذا الصدد أن فكرة الوحدة بين مصر وسوريا كان فيها نوع من العجلة والتسرع لأنه لم يوضع في الاعتبار الخصائص والسمات لتلك الدول . ولكننا نحرص على تقديم المساعدة في إطار الصداقة لبناء دولة جديدة و نحذر من مغبة ظهور صعوبات في وقت لاحق . كانت هذه هي وجهة نظرنا والآن تشاهدون بأعينكم نتائج تلك السرعة التي أدت إلى عواقب غير محمودة كان من الممكن تجنبها .

أما فيما يتعلق بمسألة علاقة الجمهورية العربية المتحدة بالشيوعيين، فإن الاتحاد السوفيتي لا يتدخل ولا يعتزم التدخل في الشئون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة، على الرغم من أنكم، سيادة الرئيس، عندما انطلقتم في طريق التقارب مع دولتنا كنتم تعلمون أننا شيوعيون، ولا يمكن أن ننتهج سياسة معادية للشيوعية التي نعتبرها سياسة صحيحة وسليمة، وليس هناك ما هو جديد في ذلك لا بالنسبة لكم ولا لنا .

وإنني أشاركك الأمل في أن يتم تعزيز العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة . وفي الختام أريد القول بأن التلخيص الصريح لوجهة نظرنا كما ورد في هذا الخطاب يُعد أفضل دليل على التفاهم المتبادل

بيننا وهو تطوير مستقبلي للعلاقات الصديقة في مواجهة الاستعمار، ودعم الأمن والسلام في منطقتي الشرق الأوسط والأدنى .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام،،،،

الأرشيف الروسي - الحكومي للتاريخ المعاصر، ملف رقم ٥٢، ن.س.خروتشوف، حافظة رقم ١. قضية رقم ٦٣٥، الأسطر من ١٢٤ـ١٤٤، نسخة مطبوعة آليا، يوجد ملحوظة بخط اليد مقابل الصفحة الأخيرة مكتوب فيها « تم إرسال ذلك الخطاب الموقع عليه خروتشوف إلى القاهرة لأجل تسليمه للمرسل إليه- ١٣ابريل ١٩٥٩ «

رسالة ن.س.خروتشوف لجمال عبد الناصر(٥٣)

١٢ أبريل ١٩٥٩

سيادة الرئيس الموقر!

انتهز فرصة ذهاب سفيرنا(٥٤) إليكم بالقاهرة لكي أرسل معه رسالتي هذه. فقد أردت التذكير بتلك اللقاءات والمباحثات الصادقة المخلصة التي جرت أثناء زيارتكم لبلادنا، فقد شاركنا أفكارنا بشكل صريح وخاصة فيما يتعلق بخطاباتكم الأخيرة. لا أخفيك سراً، إننا هنا في موسكو نشعر بالأسف إزاء ما آلت إليه العلاقات بين بلدينا خاصة وأنها أصبحت تزداد سوءا ولم نكن نحن من تسبب في ذلك.

لقد ذكرتُ في رسالتي السابقة عدة اعتبارات أعتقد أنها وجدت الاستيعاب والقبول لديكم .غير أن تفاقم العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق بات دافعا لتلك التصريحات الموجهة للاتحاد السوفيتي والتي من الصعب علينا تحملها، خاصة مع الوضع في الاعتبار المعني الحقيقي الذي تحمله طبيعة علاقات الصداقة التي تجمعنا لدعم السلام ليس فقط في الشرق

---

(٥٣) الأرشيف الروسي – الحكومي للتاريخ المعاصر،ملف رقم ٥٢، ن.س.خروتشوف، حافظة رقم ١، قضية رقم ٦٣٥، الأسطر من ١٢٤–١٤٤، نسخة مطبوعة آليا، يوحد ملحوظة بخط اليد مقابل الصفحة الأخيرة مكتوب فيها " تم إرسال ذلك الخطاب الموقع عليه خروتشوف إلى القاهرة لأجل تسليمه للمرسل إليه، ١٣ابريل ١٩٥٩ ". تم نشر مقاطع من هذا الخطاب مترجما لأول مرة باللغة لالانجليزية في كتاب Hiekal,Mohamed.Naser.the Cairo Documents. London 1972, p.133-137.، وتم نشره باللغة الروسية باختصار في مجلد : الصراع الشرق أوسطي ١٩٥٧–١٩٦٧ من وثائق أرشيف السياسة الخارجية لدولة روسيا الاتحادية، موسكو ٢٠٠٣، ص٢٦٧–٢٧٥ .

(٥٤) كان السفير الروسي آنذاك بالقاهرة هو يفجيني دميتريفيتش كيسيلييف .

الأوسط، بل وفي العالم اجمع . ومن الصعب تنسيق ذلك الوضع مع المصالح القومية للطرفين النابعة من ضرورة المواجهة المشتركة للعدو العام، الممثل في الإمبريالية، تلك القوى التي مازالت قوية وقادرة على تحقيق ما يعود عليها بالنفع وإلحاق الضرر سواء كان بنا أو بكم من جراء أية خلافات تنشأ بيننا .

لم نخف عليكم مدى رضائنا عن العلاقات الوثيقة التي تشكلت لدينا معكم ومع باقي قيادات مصر الجديدة ثم الجمهورية العربية المتحدة . والأمر لا يقتصر فقط داخل الاتحاد السوفيتي،أو في الجمهورية العربية المتحدة، بل ومع سائر الدول الأخرى التي تشكلت معها علاقات نرى أنها عامل لإقرار الأمن والسلام في الشرق الأوسط والأدنى . وتقول لنا خبرتنا في هذا المجال أن تلك العلاقات الجيدة ستظل قائمة بالرغم من الاختلاف الواضح في وجهات نظرنا الأيدلوجية واختلاف النظم السياسية الحاكمة .

أريد أن أصارحك القول بأننا نأسف، بل نحزن على الوضع الذي وصلت إليه طبيعة العلاقات بين جمهورية العراق والجمهورية العربية المتحدة، فهذا لا يساعد في دعم وتعزيز التضامن بين الدول العربية في نضالها للحفاظ على استقلالها الوطني . ولا يمكن النفي بأن حدوث انشقاق في صفوف الدول العربية سيصب في صالح قوى الاستعمار والإمبريالية التي مازالت غير مقتنعة بفكرة أن الوقت الذي كانوا يسيطرون فيه على الشرق العربي قد ذهب وولى بلا رجعة . خير دليل على ذلك يتمثل في العدوان الثلاثي على مصر وتلك المغامرة العسكرية التي تم إعدادها لضرب سوريا، التدخل العسكري الأمريكي- الإنجليزي في لبنان والأردن .

لقد ذكرت أكثر من مرة سيادة الرئيس في حديثكم أن الاتحاد السوفيتي لم يكن يعتزم جدياً تقديم المساعدة لكم أثناء تعرض بلادكم للعدوان الثلاثي وعندما كان هناك خطر يهدد سوريا . ولكنك تدرك جيداً سيادة الرئيس أن هذا لا يمت للواقع بأي صلة . لقد كانت كل تحركاتنا وخططنا التي وضعناها عند تعرض بلادكم للعدوان الثلاثي أو لحظة ظهور

خطر يهدد سوريا، كانت تلك الخطط تهدف إلى تقديم المساعدة الفعالة لمصر وسوريا على حد سواء. لابد وأن تدركوا جيدا أننا كنا على استعداد لاتخاذ خطوات بعيدة المدى لوقف تحركات المعتدين المعادية لاستقلال الشعوب العربية. تذكر سيادة الرئيس أنه عندما وقعت الثورة بالعراق، تباحثنا سويا في موسكو تلك الموضوعات المتعلقة بإمكانية وجود أي رد فعل من جانب المعتدين ضد الشعوب العربية، قلتُ لك آنذاك، إننا سنتخذ كافة الإجراءات الممكنة من جانبنا في حالة إذا ما وقع هجوم على جمهورية العراق، وقلتُ كذلك انه يتعين علينا اتخاذ كافة الإجراءات لأجل معالجة أية مشاكل من خلال الطرق السلمية دون إشعال فتيل الحرب.ونظراً لمعرفتنا بحجم اندفاعكم، فقد خشينا أن يسهم دعمنا ومساندتنا غير المحدودة لخططكم العسكرية، في إقدامكم على إشعال لهيب العمليات العسكرية، التي نراها غير مرغوبة وكان من الممكن أن تعتقدوا أننا نبارك تلك العمليات.

يجب عليك سيادة الرئيس وان تتذكر أيضا أنه عندما توجهت إلينا باقتراح إرسال قاذفات متوسطة وصواريخ متوسطة المدى إليكم، قلتُ لك آنذاك أن مساحة أراضيكم صغيرة إلى حد ما ومن الصعب استخدام مثل تلك الوسائل العسكرية في أراضيكم.

وسألتك وقتئذ لماذا صواريخ متوسطة المدى على وجه التحديد، أجبتني أنكم في حاجة لصواريخ متوسطة المدى لمسافة من ٥٠-٧٠ كم. أوضحت لك أن الصواريخ المتوسطة المدى لدينا تعمل على مسافة من ٢٠٠٠-٤٠٠٠ كم ولن تناسب احتياجاتكم، وإذا ما كان هناك ضرورة لاستخدام مثل تلك الصواريخ، لقلتُ لك إنه من الأفضل استخدامها من أراضينا.

لا أريد أن أخفي عليك أيضا أننا لم نوافق على اقتراحك الخاص بإرسال مقاتلات وصواريخ متوسطة المدى إلى بلادكم، لأننا كنا نعني انه في لحظة الذروة وتفاقم الوضع، سيكون بمقدوركم اتخاذ إجراءات غير مرغوب فيها والتي من شأنها وأن تشعل نيران الحرب.

تعلمون جيداً أننا كنا على استعداد لتقديم المساعدة سواء كان لكم أو لجمهورية العراق بعد اندلاع الثورة فيها في يوليو ١٩٥٨، عندما أعدت تركيا، إيران وباكستان عمليات عسكرية ضد العراق. وانطلاقاً من تقديرنا للوضع الدولي والظروف الراهنة في ذلك الوقت، فقد رأينا أنه من الممكن عدم السماح للتدخل ضد العراق بوسائل أخرى دون اللجوء لإشعال الحرب. وقد تحققت توقعاتنا من خلال الأحداث اللاحقة، التي أوضحت أننا كنا عل حق في إمكانية تجنب اندلاع نيران الحرب بالطرق السياسية. وعندما قلنا لكم إننا سنتخذ كافة الإجراءات الضرورية لتقديم المساعدات اللازمة لكم، تذكرون جيداً انه تم اتخاذ الإجراءات اللازمة على حدودنا مع تركيا وإيران مما يعني أننا على استعداد لتقديم المساعدة لأشقائنا العرب في أي وقت. وتتذكرون انه تم اتخاذ مثل تلك الإجراءات من جانب بلغاريا أيضا. وبالتالي فإن اعتقادكم بأنكم تحاربون العدو بمفردكم هو اعتقاد خاطئ ولا أساس له من الصحة.

أريد الإشارة بكل صراحة إلى أننا نعرفكم كشخصية اندفاعية وحماسية، ولم نرغب في أن يتم تفسير مساعدتنا العاجلة لكم على أننا ندفعكم نحو التحرك العسكري. نحن نثق في سياستكم الداعية للسلام ووعودنا لدعمكم ومساندتكم وكذلك لباقي الشعوب الشقيقة، وحرصنا على فعل كل شيء لكي يتم حل الصراع الذي نجم نتيجة العدوان الثلاثي على مصر، بالطرق السلمية وتجنب إمكانية إشعال نيران الحرب أثناءالأزمة السورية.

كنا على استعداد كذلك لاتخاذ إجراءات حاسمة لتقديم المساعدة الفعالة سواء لمصر أثناء العدوان الثلاثي عليها أو لسوريا أثناءأزمتها. ولكن السؤال الذي أطرحه هو لماذا لا تفسرون كل هذا الآن بشكل صحيح؟ أريد أن أتوقف عند موضوع واحد، يجب وان تتذكر عندما كنت لدينا في موسكو، وقد أعربت في إحدى المباحثات بيننا عن استيائك من حكومات

الـدول العـربيـة المجـاورة لكـم، وطلبت أن نفعل أي شـيء لأجـل تغيير الوضع الداخلي لتلك الدول الـتي باتت تتعامل بعداء مع الجمهورية العربية المتحدة وما طبيعة المسـاعدة التي يستطيع الاتحاد السـوفيتي تقديمها في هذا الشأن إذن ؟ جـاء الرد من جانبنا كما تتذكر بأننا طلبنـا ضرورة التحلي الصبر ولا داعي للتدخـل في شـئون الـدول الأخرى . ويمكـن التأثير على تلك الـدول من خلال النمـوذج الجيد للجمهوريـة العربية المتحـدة عندما يتم النهـوض باقتصادها، ثقافتها، تحقيق الرفاهية وتحسين مستوى المعيشة لشعبها . وكانت نصيحتي لكم تتمثل في أن يصبح نظامكم الاقتصادي والسياسي عامل جذب لباقي الـدول العربية حتى تقوم شـعوب تلك الدول بالتأثير علـى حكوماتهم لكي تحذو حذوكم . ولابد من الوصول إلى هذا الوضع حتى تتكاتف الدول العربية وتقـف صفاً واحداً لمواجهة الخطـر الرئيس الذي يهددها والـذي يتمثل في قوى الإمبريـالية والاستعمار التي تقف لها بالمرصاد .

ابتسـمت لي آنذاك قائلاً إنني لا أنظر بشـكل واقعـي إلى الوضع في الدول العربية وأن لا شـيء سـيتغير دون التدخل العسـكري ولابد من اتخاذ إجراءات أكثر حسما.

قلـتُ لك إن أي تدخل سـواء كان عسـكري أو غيره في الشـئون الداخلية للـدول العربيـة هو أمر خطير للغاية وانه لن يـؤدي إلى التماسـك، بل سيشـتت جهود تلك الدول.

ولكن يبدو أنني لم أفلح في إقناعك ولهذا فقد ظل كل واحد منا متشـبثا برأيـه . وجـاءت الأحـداث التاليـة بالعراق لتؤكـد على صـدق حديثي معك، فعندمـا تعجلت في تعاملـك مع المسـألة العراقية وحكومتهـا، لم يـؤد هذا إلى تماسك ووحدة الدول العربية، بل على النقيض من ذلك، أدى إلى تشتيت جهود تلـك الـدول في نضالهم نحو الاسـتقلال . ومثل هـذا الوضع يصـب بالطبع في صالح قوى الاستعمار والإمبريـالية وليس لصالح الدول العربية .

نحـن نميل إلى ذلك الـرأي الذي يفيد بأنـه عندما يتم إملاء أية شـروط من الخـارج على دولة ما، فإنها دائماً ما سـتكون في وضع المدافع ولن تسـمح بأي تدخل أجنبي في شئونها .

لماذا اعترضتُ إذن ورفضتُ بشـكل قاطع وجهة نظرك في هذا الشأن ؟ لأنني رأيـتُ أنـه عندمـا تحدثت معـي في هذا الموضـوع، كنت ترغـب في أن تضمن دعمنا ومساندتنا لتحركاتك، وحاولت أن أوضح لك بكل صراحة أننا لم ولن نسهم في ذلك ولانستطيع المشاركة في أي عمل يمثل تدخل دول ما في شئون الدول الأخرى .

و نحـن مـن خـلال قدراتنا، نحـرص على مسـاعدة الـدول العربيـة؛ لمواجهة الاسـتعمار وتعزيـز اسـتقلالها الوطـني والنهـوض باقتصادها. تسـعى بلادنا كذلك لتعزيز علاقاتها مع كافة الدول العربية طالما أنها ترغب في ذلك. نحن لانفرض صداقتنا على أي طرف ولا يمكن فرض الصداقة، إذا ما كانت صداقة حقيقية وليسـت تلك التي يتشدقون بها في الأوسـاط السياسية والعسكرية لحلف الناتو، خاصة عندما يتم إعداد تحرك عسكري ضد دولة ما .

فنحن نبني علاقاتنا وفقاً لمبادئ لينين في التعايش السلمي وعدم التدخل في الشـئون الداخلية للدول الأخرى . أريد أن اكرر مـرة أخرى أن مبدأ عدم التدخل في الشـئون الداخليـة للـدول الأخـرى يُعد بالنسـبة لنا - الاتحاد السـوفيتي - وكل الدول الاشتراكية هو مبدأ ثابت وراسخ ولا يتزعزع . وليس من الصعب عليكم رؤية العلاقة القائمة بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العراقية على وجـه التحديد وباقي الدول العربية الأخـرى هي علاقة مبنية على نفس المبادئ التي تأسست عليها العلاقة بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة.

نـدرك حجـم الصعوبـات الـتي ظهـرت لديكـم، ولكننـا على يقـين تام منـأن رؤيتكـم في التغلـب عليها من خـلال إعـلان التحرك ضد الشـيوعية و«الشـيوعية العالمية» هو أمر غير صحيح . فالطريق الذي لجأتم إليه هو طريق

كاذب ولن يحقق لكم لا الفخر والعزة ولا الرضاء. وذلك الإطراء والمديح والموجه للجمهورية العربية المتحدة، الذي يسرف فيه أعداؤها القدامى، لا يمكن وأن يضلل أي فرد عن الوجه الحقيقي لسياستهم المعادية للمصالح الحيوية للشعوب العربية. وفيما يتعلق بطبيعة تلك الصعوبات التي ظهرت لديكم، فإنني على يقين من أن الأسباب التي تقف وراء ظهورها هي من اختراع قوى الاستعمار والامبريالية. وفي العام الماضي أثناء لقائي معكم سيادة الرئيس، تطرقنا إلى مسالة تطوير حركات التحرر الوطنية في الدول المستعمرة وشبه المستعمرة، وتشير التجربة إلى انه في المرحلة الأولى من حركات التحرر الوطني، كان هناك تكاتف ملحوظ لكل طبقات المجتمع بداية من الطبقة العاملة والفلاحين المعدمين وصولاً إلى ممثلي الطبقة البورجوازية الوطنية وبعض الإقطاعيين. وهكذا تم تحقيق النصر في النضال لأجل التحرر الوطني واستقلال البلاد.

غير أن تحقيق الاستقلال الوطني لا يعني نهاية النضال، بل هناك مرحلة ثانية تلي تلك الأولى، وذلك عندما تظهر مهمة القضاء على العواقب الوخيمة التي خلفها الاستعمار والنهوض بالاقتصاد الوطني للبلاد وتلبية المتطلبات المادية للشعوب الكادحة التي عانت وتكبدت لقرون طويلة ليس فقط الاهانة السياسية، بل وكذلك الفقر والعوز الشديد، فهذا إذن يُعد نضال ضد الظلم الاجتماعي.

تعلم جيدا أكثر مني انه تم حرمان عدد هائل من شعوب المشرق العربي من الظروف البدائية للحياة وحرموا كذلك من الحريات السياسية وقد أشرت أنت أكثر من مرة إلى ذلك في أحاديثك. وظلت مسألة تحسين ظروف المعيشة هو حلم يراود الشعوب على مدار سنوات الاستعمار الثقيلة. وبعد القضاء على الاستعمار والانتصار على الإمبريالية وتحقيق الاستقلال الوطني، يأمل هذا الشعب في تحقيق حلمه الذي طال انتظاره لسنوات طويلة.

وكمــا هــو معروف في الواقــع، فإن تلبيــة احتياجات ومتطلبــات كــل هذه الشــعوب وتقديــم حقوق معينة له، هو أمر يثير ســخط وغضــب ومقاومة تلك الفئة التي ترى في ذلــك انتقاص لحقوقها وعبث بمصالحهم وأغراضهم الطامعة . غــير أن الحــرص على تحســين ظروف ومســتوى معيشــة الشــعوب وتحقيق الحريات الديمقراطية لهم هي ظاهرة حتمية ومشــروعة . وأعتقد أنك توافقني الــرأي في انك لســت أول مــن يواجه ضرورة معالجــة تلك القضايــا الاجتماعية المعقدة و تلك الصعاب التي لم تكن من اختراع الشــيوعية بأي حال من الأحوال . يحــاول أعــداء الشــيوعية منــذ مائة عام تشــويه مبــادئ وتعاليم الشــيوعية و يحاولــون تصدير أنماط كاذبة للناس عنها . وفي الحقيقة فإن الشــيوعيين هــم أفراد يعملون على تحقيق الحريات للبشــرية، و على تنمية وتطوير قوى الإنتــاج وتنمية الثــروة المجتمعية وتحقيــق الرخاء والازدهــار الكامل للقوى المادية والمعنوية للشــعوب إلى جانب التنمية الشــاملة للثقافة . وإذا ما تحدثنا باختصار، ســنجد أن الشيوعية هي طبقة من طبقات المجتمع، يعيش في ظلها الأفراد تحت ســقف العدالة الاجتماعية الكاملة والتلبية الشــاملة لمتطلباتهم المعنوية وعدم الشعور بأي نقص في المأكل، المشرب، المسكن، اللبس، كما لديهــم يوم عمــل قصير . يســتطيع كل فــرد في المجتمع الشــيوعي أن يجد استخدام لقدراته العقلية والبدنية في أي مجال .

أما فيما يتعلق بالسياســة الخارجية، فيرى الشــيوعيون أن المهمة الأساسية أمامهــم تتمثــل في النضــال من اجل الســلام، لأجــل أن يكون هنــاك تعايش ســلمي بين الــدول المختلفة والأنظمــة السياســية والمجتمعية المختلفــة . إنهم دائمــا يتصــدون لأي اعتــداء أو تدخل في الشــئون الداخلية للــدول و يحرصون على حق الشــعوب في تقرير مصيرها بشــكل كامل وغير مشروط ؛ ولهذا لم يكن من قبيل الصدفة أن يقف شــيوعي كل الدول في مقدمة صفوف هؤلاء الذين اعترضوا على العدوان الإمبريالي على مصر .

والآن نجـد أن القـوى الإمبرياليـة في الجمهوريـة العربية المتحدة تسـتفيد كـثيراً مـن ذلك الموضـوع المبتذل الـذي يدور حـول أن الشـيوعيين يخضعون لتنفيـذ الأوامـر من الخـارج وخاصة في الـدول العربيـة . ولكن مـن الضروري بالنسـبة لنا أن يكون واضحا لكل القادرين على رؤية الحقيقة كما هي في الواقع، أنه من المسـتحيل اقتحام الشيوعية من الخارج لأن هذا ليس موضوعا للنقـاش ولا التصديـر . و في محاولـة لتفنيـد تلـك الأقاويل التي تـدور حول أن الشـيوعيين يمارسون نشـاطهم من خلال « الأوامر الصادرة لهم من موسـكو «، دعنا نكشـف تلك الحقيقـة التي تفيد بأن الشـيوعية كتعاليم ظهرت منذ سـبعين عام قبل تشكيل الدولة السوفيتية في عام ١٩١٧،فنحن نعيش أكثر مـن أربعين عام بعد اندلاع ثورة أكتوبر الاشـتراكية المجيدة، ودعني أؤكد لك انه لا يوجد أي فرد سواء كان داخل بلادنا او خارجها يستطيع القول بالحزم أن السـلطة السـوفيتية فُرضت علينا من الخارج. ترى هل يسـتطيع أي شخص نفـي ودحض تلك الحقيقة التي تفيد بأن الحزب الشـيوعي للاتحاد السـوفيتي يحظـى باحترام شـديد وسمعـة طيبة بـين أوسـاط العمـال والكادحين في كل أنحـاء العـالم ؟ وبناء على ذلـك، هل يمكن الخروج بنتيجـة مفاداها أن العلاقـة بـين الأحزاب الشـيوعية في كل الدول مبنية علـى خضوعها للحزب الشـيوعي للاتحـاد السـوفيتي ؟إنالأحـزاب الشـيوعية والعماليـة تُعـد أحزاب مسـتقلة بالكامل في اتخاذ قراراتها ومعالجة أمورها السياسـية وغيرها، وهذا الأمـر لن يتغير بسـبب مهاترات البعـض الذين لا يروق لهم الفكر الشـيوعي . وكانـت تلك هي أفكاري التي أردتأن اطرحها عليك باختصار عن الشـيوعية والشيوعيين .

لقـد أعلنا وسـنعلن مـرة أخرى أننا نتمسـك بموقفنا الـذي يتمثل في عدم التدخل في شـئون الدول الأخرى، وخاصة الشـئون الداخلية لأن هذا شـأن تلك الشعوب وحدها . تتذكر سيادة الرئيس أنك طرحت فكرة محاربة الشيوعية العاملـة خارج حدود بـلادك، أي انك تبارك وتعلن محاربة الشـيوعية العالمية . تريد اتهامنا بأننا نتدخل في الشـئون الداخلية، ولكننا نقول إن هذا هو شـعار

القوى العدائية بالعالم التي تحارب الشيوعية العالمية . وأنتم بهذه الطريقة تتدخلون في شئوننا، لان دولتنا قائمة على مبادئ ماركس – لينين، وهذه المبادئ قد أثبتت نجاحها، وقد تفضلت ورأيت ذلك بنفسك عندما حللت ضيفاً عندنا، وهذا هو ما لا ينفيه الأوساط الرجعية في الدول الأخرى . ويبدو واضحاً أننا لم ولن نقف بمعزل في هذه القضية ولن نلتزم الحياد، لأن هذه حرب ضدنا وضد باقي الدول الاشتراكية . لا أحد يستطيع أن يجادل في مسالة أن العلاقة تجاه الأحزاب القائمة في كل دولة، بما فيها الشيوعية، هو شأن تلك الدول ذاتها، وأن مثل هذه المسائل ليست من اختصاص ولا صلاحيات حكومات الدول الأخرى. فأنتم لم تكونوا مناصرين للشيوعية ولا لمبادئها الخاصة ببناء كيان الدولة، بل قمتم بقمع وإخماد التنظيمات التقدمية والشيوعية لديكم . لم نعارضكم إذن ورأينا أن ذلك لا يجب وأن يفسد الصداقة القائمة بيننا ولا أن يقف عائقاً في طريق تلك الصداقة ولا ينعكس على جهودنا المشتركة في مواجهة الامبريالية .

وبالتالي فإنكم الآن أصبحتم في حالة تناقض : تكيلون لنا الاتهام بالتدخل وانتم أنفسكم تتدخلون في شئوننا . وظللت تعلن في خطبك الأخيرة إن موسكو هي من تقود بزمام الشيوعية في الجمهورية العربية المتحدة وأن الشيوعيين في باقي الدول العربية يعتبرون عملاء لموسكو . وأصبحت تلقي بالهجمات المباشرة وغير المباشرة على الاتحاد السوفيتي . وأصبحنا في موقف المدافع ولكننا سنهاجم في وقت ما . ومن هنا فقد تقرر أنه في حالة إذا ما توقفتم عن التدخل في شئون الدول الشيوعية، بما فيها شئون دولتنا، وتوقفتم عن معارضتنا، فلن يتم المساس بكم . وإذا ما واصلتم ما انتم عليه الآن، فإننا لن ندع الأمر بدون رد . ولكنكم تعلمون جيداً قياساً على نموذج باقي الدول، إن علاقة الاتحاد السوفيتي بهذه الدول قائمة بصرف النظر عن كيفية تعامل هذه الدول مع الشيوعية بها .

كما أنك كنت تؤكد في خطاباتك الأخيرة، وكأنك تواجه شبح تدخل الاتحاد السوفيتي في شئون بلادكم، مستنداً إلى المباحثات التي دارت بيننا أثناء زيارتك الرسمية لبلادنا في أبريل – مايو ١٩٥٨، وأثناء زيارتك ليوغسلافيا بعد اندلاع الثورة بالعراق . وكنت تجاهر بذلك في ضوء إحدى تلك المباحثات وكأنني قلتُ لك انه كان من الأفضل لو يواصل الحزب الشيوعي عمله في سوريا .

لقد قضينا معكم وقتا طويلا في مباحثات يغلب عليها جو الصداقة والصراحة، وكانت المباحثات طويلة معكم في زيارتكم الأخيرة لنا . أتذكر تلك المباحثات جيداً، و لكن يجب الإشارة إلى أنك لا تتذكر بدقة جيدة مضمون تلك المباحثات، والدليل على ذلك إنكم لا تقومون بتسجيل تلك المباحثات وتعتمدون فقط على ذاكرتكم . وإنني أنا الآخر اعتمد على ذاكرتي، ولكن يجب وأن يكون بجانبها التسجيلات التي يدونها المترجمون للمباحثات . وبالتالي فإن ملخص الموضوع يكون أكثر دقة . وفيما يتعلق بملاحظاتك إزاء الشيوعيين السوريين، نظراً لأنني اعلم مسبقا وجهات نظرك المعادية للشيوعية وسياستك في تعقب ومطاردة الشيوعية في بلادك، فإنني لا أستطيع أن أتوجه إليك بمثل هذا التصريح بشأن نشاط الحزب الشيوعي في سوريا، لأنني اعتبرت ذلك أمرا لا يليق بعلاقتي معك، كما أنك كنت ضيفي لوقت ما .

وعندما تحدثنا عن الوضع في الجمهورية العربية المتحدة، فقد ذكرت الشأن السوري والوحدة مع مصر وقلتُ أن الوحدة بين البلدين هو شأن داخلي لشعوب هاتين الدولتين، وان الاتحاد السوفيتي قد اعترف ورحب بتلك الوحدة ولم يكن لدينا أي تشكيك فيها ولا يوجد الآن ما يستدعي عدم الثقة بها . وقلتُ وقتئذ إننا لا نعتزم التدخل في هذه المسألة على الرغم من أنه بدا لي آنذاك أن تلك الوحدة قد جرت بصورة سريعة وبدون دراسة مسبقة . فقبل إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، كانت سوريا تنعم بالعديد من الحريات الديمقراطية

أكثر مما هو عليه الحال في مصر، يوجد لدى سوريا أحزاب مختلفة و يحظى شعبها بحريات ديمقراطية بورجوازية معروفة. بالإضافة إلى ذلك، فقد كان لدى سوريا حكومتها، جيشها، شخصياتها السياسية؛ التي كانت تلعب دوراً محدداً في السياسة الدولية. أما الآن فقد تم نزع الحريات الديمقراطية وحل الأحزاب وتحولت سوريا إلى محافظة داخل الجمهورية العربية المتحدة. ويبدو أنه أثناء عملية الوحدة لم يُراع كل تلك الاعتبارات، ووضعوا المؤسسات الديمقراطية لسوريا في ظروف مشابهة لتلك التي كانت عليها بمصر وهكذا تم استبعاد القوى الديمقراطية من الساحة. وكانت النتيجة أن معظم الشخصيات السياسية السورية باتت في مؤخرة الصف والبعض منهم ابتعد تماما عن الساحة وهاجروا خارج البلاد. أريد أن أذكرك بأن الحديث هنا لا يدور حول الشيوعيين، بل حول ممثلي الأحزاب الأخرى الذين كانوا يساندون فكرة الوحدة مع مصر، والآن يتعاملون بفتور إزاء تلك فكرة.

جاءت إجابتك آنذاك بأن السوريين أنفسهم هم من تعجلوا فكرة الوحدة مع مصر، ولكن نظراً لان الأحزاب السورية لم تكن تمثل الشعب، فإن التعاون معهم قد أثار حالة من الريبة والشك نحوك من جانب الشعب السوري. وقد أوردت لنا نموذجاً يتمثل في السيد حوراني – نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة – وأعربت عن عدم ثقتك الكاملة في نشاطه وسلوكه وأوضحت انه من المستبعد وان تعمل معه بعد ذلك في المستقبل ومن الواضح أن النية قد انعقدت على خلعه وعزله من منصبه. وكانت نصيحتي لك آنذاك بألا تقدم على هذه الخطوة، وإذا كنت تتذكر حديثي لك جيداً، فقد قلت لك لماذا تقوم بهذه الخطوة إذن، فإن نائبك السوري يعد زعيماً وقائداً لإحدى الأحزاب السورية، وإذا ما كان يشغل منصب النائب لديك، لرأى الناس أن زعيمهم يشغل منصب حكومي ما ولديه وضع سياسي، وإذا ما حاولت عزله من منصبه، فإنك بذلك تعارض هؤلاء الذين يُعد الحوراني زعيماً لهم.

وقلت لي آنذاك انك توافقني الرأي ولا ينبغي القيام بهذه الخطوة . فهل كان هذا في صالح الحزب الشيوعي ؟ لم اذكر لك آنذاك أي شيء عن خالد بكداش وباقي الشخصيات الشيوعية السورية الأخرى .

طرحت كذلك أثناء مباحثاتنا موضوع الشيوعيين في مصر . قلت لك أن هذا شأنكم، على الرغم من إنني لا أستطيع أن اخفي تعاطفي مع الحركة الشيوعية والشيوعيين . وقلت لي إن الشيوعيين لديكم ليسوا مثل أمثالهم لدينا، فهم في مصر عبارة عن حزب ضئيل لأفراد مغمورين من الدرجة الثانية، فهكذا كان حديثك عنهم بشكل مهين .

وطالما أنك طرحت هذه المسألة سيادة الرئيس، فإنني أجبتك بأن الشيوعيين، إذا ما كانوا شيوعيين بالفعل، فكلهم سواء، لأنهم يقفون على مبادئ ماركس – لينين، وإذا ما كنتم تعترفون بأننا شيوعيين جيدين وتعتبرون الآخرين غير أسوياء، فإنكم مخطئون في ذلك . وقد ذكرت مثال على ذلك أعتقد أنك تتذكره . فقد ذكرتُ انه قبل الثورة في روسيا كان القيصر الروسي يقوم بإحراق الشيوعيين وكان عددهم قليل جداً في ذلك الوقت، والبعض منهم ظل في السجون والباقي هاجر خارج البلاد . وبعد إسقاط دولة لينين العظمى، علي يد مجموعة صغيرة من الشخصيات الجسورة والمقدامة الذين عبروا عن آمال ورغبات الشعب الكادح، وتزعموا ثورة الشعب العظيمة. وقام الحزب السوفيتي بقمع الثورة المعادية، تم إنشاء أعظم دولة اشتراكية بالعالم .

قلت لي أثناء المباحثات إنك لا تريد أن يكون لديك أحزاب بوجه عام، وأن الحزب الذي سيكون لديك علي طراز الاتحاد السوفيتي هو حزب واحد – الاتحاد الوطني . ذكرتُ أن المثال الذي أتيت به ليس دقيقاً : يوجد في الاتحاد السوفيتي حزب واحد لأن المجتمع لدينا هو مجتمع اشتراكي لا يوجد به أصحاب رأس المال ولا ذوي الأملاك وليس لدينا أفراد يعيشون على حساب كد وعرق غيرهم . فإن الحزب الشيوعي بالاتحاد السوفيتي يعبر عن مصالح كافة الكادحين

وكل فئات الشعب، من العمال، الفلاحين، والمثقفين ولهذا فهو يُعد الحزب الوحيد في بلدنا .

يبدو أنك لم تنس سيادة الرئيس ذلك المثال الذي أوردته لك : فأنتم أيها العرب لديكم المسلمون المؤمنون من عمال، فلاحين، أصحاب رأس المال . وصاحب رأس المال هنا يرغم العامل على العمل طوال الوقت مقابل أجور زهيدة، والعمال هم عرب أيضا ومسلمون وموحدون، يريدون العمل قليلا والحصول على مزيد من الأموال . سألتك إذن : سيادة الرئيس هل أنت مع هؤلاء العرب ؟ و لم تعطنى إجابة على هذا السؤال .

أوردت لك مثالا آخر : فأنتم لديكم الفلاحون الذين لا يملكون الأرض ويعيشون عيشة حقيرة للغاية، يدفعون أموالا طائلة مقابل استئجار الأرض ولا يستطيعون إطعام أنفسهم ولا أهليهم . فهؤلاء العرب مسلمون وموحدون أيضا، ومنهم كذلك الإقطاعيون، الملاك، الذين يمتلكون مساحات شاسعة من الأراضي. يقومون بتشغيل الفقراء في أراضيهم . فهم يسلخون جلد هؤلاء الفقراء لاستغلالهم في زراعة تلك الأراضي، التي ليست ممنوحة لهم، بل هي عطية الطبيعة أو كما يقول الناس هبة من الله . فلماذا إذن يقوم البعض بالاستحواذ عليها والاستمتاع بها وكأنها من حقهم ويقومون بإجبار هؤلاء ممن ليس لديهم أراضي للعمل فيها مقابل الحصول على مبالغ زهيدة لا تكفي لإطعامهم ولا إطعام ذويهم ؟

هناك صراع يجري بين هؤلاء العرب، المسلمين الموحدين والفريق الآخر يتوجه بالدعاء إلى الله. سألتك سيادة الرئيس كذلك مع من ستقف من هؤلاء العرب، هل مع الكادحين من العمال والفلاحين أم مع أصحاب الأراضي ورأس المال ؟ وكيف يمكنك ان تجمع في حزب واحد العمال والبورجوازيين مع الفلاحين وأصحاب الأملاك؟ ولم تعطنى إجابة على هذا السؤال أيضا وكما أعتقد أنك لا تستطيع الإجابة عليه الآن أيضا.

لقـد قلـت في الحقيقـة إنك مـع كـل العـرب، ولكـن هـذه الإجابة كانت تصلـح في حالـة إذا مـا كـان الحديث يـدور حول ذلـك الوقت الـذي كـان فيه الشعب يقـود نضالا وطنياً ضد الغرباء أو المحتل الأجنبي والاستعمار، ففي تلك اللحظة سـيهب كـل فئات الشعب للدفاع عن مصالحهم الوطنية. والآن بعد أن تم طرد المسـتعمر وإنشاء دولة وطنية مسـتقلة، أصبح أمام الشعب مهام أخرى جديدة، سـيظهر صراع داخل المجتمـع حول الحقـوق الاجتماعية للكادحين وسـيكون هناك صراع بين طبقات المجتمع، وهذه هي سنة التطور التي يجب وضعها في الاعتبار.

وقلـت كـذلك إن مسـألة حقيقـة الأحزاب التي سـيتم حلهـا في بلادكم هو شـأنكم أنتم وحدكـم وما مـدى صلاحية عملهم هل سـيكون بشـكل قانوني أم لا، ولكنهم سيظلون يعملون في كافة الأحوال. ولا يجوز استبعاد الصراع بين الطبقات من خلال اسـتصدار القرارات والأوامر. سيظل هذا الصراع قائمـاً طالما أن هناك طبقـات مختلفة وكل هذا يتعلـق بالجمهورية العربية المتحدة وباقي الدول الأخرى التي يوجد بها تلك الطبقات.

وإذا مـا كنتُ مضطـراً للتذكير بمضمون تلك المباحثـات في هذا الخطاب الشخصي لكم، فهذا من أجل تصحيح بعض الأمور الغامضة لديكـم.

وقد ذكـرت كـذلك مسـألة الاختـلاف في وجهات النظـر الأيـدلوجية بيننا، نظـراً لأنـك ركـزت اهتمامـك على هذه المسـألة في خطاباتك الأخـيرة. وعلى الرغـم من وجود اختـلاف في وجهات النظـر الأيدلوجية والأنظمـة الاجتماعية لبلادنا، فهناك مسـاحة عميقة للتعاون المثمـر الوثيق فيما بين بلدينا لصالح أمن وسلام الشعوب.

بالإضافـة إلى ذلـك، فقد أدهشـتني تصريحاتكـم المعلنة حـول أنه كـان هناك تدخل من جانبنا في شـئونكـم الداخلية، ولكـن كما تتذكـر، سيادة الرئيـس، فقد تحدثـت أكثر من مـرة في مباحثاتنا في موسـكو حول أنكم

اقتنعتم وأيقنتم بشكل نهائي أن الاتحاد السوفيتي لا يتدخل في شئون الدول الأخرى . والدليل على ذلك يتمثل في امتداحكم للخبراء السوفييت، الذين عملوا في الجمهورية العربية المتحدة، وأكدت على أنهم يقدمون المساعدة الفنية بشكل حاسم . وقلت لي آنذاك إنك تأكدت من عدم صحة تلك الأحاديث التي تدور حول أن الأحزاب الشيوعية تُدار من موسكو. وقلتُ انه كما هو معروفا لكم، أنه لا يوجد في مصر على سبيل المثال حزب شيوعي موحد، وإنما هناك مجموعات هشة ومفتتة وإذا ما كان النشاط الشيوعي في مصر يُدار من الخارج، لظهر حزب شيوعي مُوّحد بمصر إذن، وهو ما ليس له وجود على أرض الواقع . ويتضح من ذلك أنه في ذلك الوقت كان لديك، سيدي الرئيس، نظرة أكثر هدوء وموضوعية لواقع القضية عما أنت عليه الآن، حيث إنك تؤكد حالياً على شيء ما مناقض لما قلته من قبل .

كما سبق وأن قلتُ إننا نلتزم بمبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى ونرى أن الاختلاف في الفكر لا يجب وان يقف عائقاً أمام ذلك التعاون، وإذا ما كنت موافق علي ذلك، فيمكن الإعراب إذن عن رضائنا وارتياحنا لهذا الموضوع .

وقد حاولت في إحدى أحاديثك استعراض واقعة تاريخية، عندما تحدثت عن الشهور الأولى لميلاد الدولة السوفيتية، وأوضحت أنه بعد اندلاع ثورة أكتوبر تم حل البرلمان، الذي كان يضم الكثير من الأحزاب السياسية، ثم أصبح الحزب الشيوعي هو الحزب الأوحد بالبلاد . في حين أن هذه الرواية تخالف الواقع .

ففي المرحلة الأولى لميلاد الجمهورية السوفيتية لم تكن هناك حكومة ذات حزب واحد، بل هي حكومة ائتلافية، تضم ممثلي أحزاب اشتراكية ثورية، والمبعوث الشعبي لشئون الزراعة كان هو السيد كوليجايف، الذي كان عضواً بهذا الحزب . وظل ممثلو هذا البرلمان يشاركون في نشاط الحكومة السوفيتية إلى أن انسحب الاشتراكيون الثوريون من تشكيل الحكومة ولم يحاولوا تنظيم عصيان أو تمرد على سلطة العمال والفلاحين ولم ينفذوا

عمليـة اعتداء على قيادة العظيـم ف.إي.لينين . وكان مـن الطبيعي أن يتم القضـاء على مدبـري تمرد الثورة المضـادة ولم يضم تشـكيل الحكومة ولا أجهزة السـلطة السوفيتية ممثلي الأحزاب البورجوازية، التي توقفت عن العمل، باستثناء أراضي دولتنا، التي تم احتلالها بشـكل مؤقت من قبل الحرس الأبيض المعـادي للثورة والمتدخليـن الأجانب . ثانياً: إن طبيعـة التعديلات التي أحدثتها ثورة أكتوبر المجيدة كانت تلبي مصالح قطاعات كبير من الشعب . ويُستدل على ذلك من خلال المراسـم التاريخية للسلطة السـوفيتية مثل مرسوم السلام، مرسـوم الأرض، انتقال الثروات الرئيسـية للبلاد إلى أيدي الشـعب . وبالنسـبة للبرلمان الذي تم تشـكيله قبل الثورة، فقد اعترض هذا المجلس التأسيسـي في أولى جلسـاته، التي جـرت في ينايـر ١٩١٨، علـى تلك التعديـلات العظيـمة التي أوجدتها الثورة، وبالتالي فقد تم حله بناء على إرادة الشعب .

كل هـذا يؤكـد سـيادة الرئيس علـى عدم توافـق روايتك مـع الحقائق التاريخية وانك تستند إلى معلومات غير صحيحة.

والآن أريـد أن أتوقف عند مسـألة المسـاعدة التي يقدمها الاتحاد السـوفيتي. لقد كنا وسـنظل دائمـاً أعداء للاسـتعمار، تلك الظاهرة المشـينة للمجتمع الإنسـاني المعاصر . وبالنسبة لمساعدتنا للدول التي تحررت من براثن الاستعمار، فانتـم تعلمون جيـداً ان تلك المسـاعدة غير مقترنة بأية شـروط سياسـية ولا عسـكرية . ولهـذا نجـد ترحيـب واعـتراف كبـير بهذه المسـاعدة سـواء من جانـب العرب أو باقي شـعوب إفريقيا وآسـيا . والهدف هنا من تقديم المسـاعدة لتلك الـدول لكـي تسـتطيع النهوض والوقـوف على قدميهـا، وتعزيز وضعها الاقتصـادي والسياسـي وتحسـين مسـتوى معيشـة شـعوبها . وليسـت هناك أية أهـداف أخـرى يبتغيهـا الاتحاد السـوفيتي مـن وراء تلك المسـاعدات . كما بلغنا، سيادة الرئيس، أن هناك أصواتا تظهر في اجتماعات الجمهورية العربية المتحدة دون أن تجد لها أي دعم من جانب السـلطة، وهذه الأصوات تنادي قائلةً: «لا للروبـل ولا للدولار» . وهناك بعض الشـخصيات السياسـية التي تشـكك

صراحة في نزاهة المساعدات السوفيتية. لن أسهب بالتفصيل في الحديث عن الاختلاف الجذري والجوهري بين المساعدة السوفيتية ونظيرتها الأمريكية. ولكني أردت أن أطرح سؤالاً: «هل الروبلات السوفيتية تسيء لسمعة أي فرد في الجمهورية العربية المتحدة؟». من المعروف جيداً أن الاتحاد السوفيتي لم ولن يفرض مساعدته على أي طرف وإنما يقدمها عندما تُطلب منه فقط. وتعلم، سيادة الرئيس، أن الحصول على مساعدة من الاتحاد السوفيتي هو مسألة اختيارية بحتة والأمر متوقف عليك إذا أردت تلك المساعدة او لا. وإذا ما رأيت أن تلك المساعدة، التي وافقنا على تقديمها للجمهورية العربية المتحدة بناء على طلبكم، باتت تمثل عبئا عليك، وأردت التخلص من الروبلات التي نقدمها لكم وفقا للاتفاقيات، فبمقدوركم التخلي عنها. وكونوا على يقين من أن هذا لن يضيرنا في شيء وسنوافق على ذلك عن طيب خاطر. فنحن لدينا برنامج ضخم للتعاون الاقتصادي، ولا نريد فرض مساعدتنا على الدول التي ليست في حاجة لها وبدلاً من توجيه الشكر لنا، يقومون بتحريض شعوبهم ضد الدولة السوفيتية التي تقدم مساعدة نزيهة خالية من أية أطماع.

وفي ظل الوضع الراهن، عندما تُشن حملة داخل الجمهورية العربية المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي، أي ضد الشعب السوفيتي، ألا يؤدي ذلك إلى ظهور عراقيل أمام الوفاء بالتزامنا تجاه اتفاق إنشاء السد العالي؟[55]. آمل ألاّ يفسر ذلك بأنه تهديد من جانبنا، وإنما هو قلق إزاء تلك الحملة المضادة للاتحاد السوفيتي التي تُدار داخل الجمهورية العربية المتحدة وسيكون من الصعب علينا في ظل هذه الأجواءالوفاء بالتزاماتنا الخاصة بذلك الاتفاق، الذي وقعناه معكم. وهذا يعني أيضا أن يعمل الخبراء السوفييت، المضطرين للبقاء في دولتكم للعمل بها وإتاحة الحلول الفنية الصحيحة في مراحل تشييد السد العالي، في ظل أجواء غير لطيفة وهجوم ضدهم من جانب الأهالي.

(٥٥) تم إبرام اتفاق بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة لإنشاء مشروع السد العالي في ٢٨ ديسمبر ١٩٥٨ بالقاهرة.

لقد بدأت تتوارد إلينا الخطابات والرسائل من المواطنين السوفييت يعبرون فيها عن مخاوفهم على مصير الأفراد الذين سيذهبون إلى بلادكم. ويتساءل مواطنونا كيف يمكن إرسال الخبراء السوفييت إلى الجمهورية العربية المتحدة لتنفيذ بنود الاتفاقات المبرمة لتقديم المساعدة الاقتصادية، إذا ما كان هؤلاء السوفييت يتعرضون لضغوط ومخاطر معنوية بل ومن الممكن أن يصل الأمر إلى حد مخاطر بدنية أيضا. وفي ظل تلك الأوضاع الراهنة من الممكن أن يكون هناك أيضا دور للمتعصبين.

ولهذا نرجو أن تتفهموا أسباب قلقنا، وإذا لم تكونوا في حاجة لمساعدتنا الآن، فتخلوا عنها و نحن سنقوم باستدعاء مواطنينا للعودة إلينا وسنظل نحافظ وندعم العلاقات الثنائية معكم كما الحال مع باقي الدول. وعندئذ لن يصبح لديكم» أي تعاملات بالروبل « كما تصفون مساعدتنا النزيهة لكم.

ولا أخفي مدى دهشتي من تصريحكم الصادر في ٢٢ مارس عندما قلت فيه أنه أثناء العدوان الثلاثي الذي تعرضت له مصر في عام ١٩٥٦، كان اعتمادكم فقط على الله وعلى أنفسكم، وكنتم تحاربون بمفردكم حتى ٦ نوفمبر١٩٥٦ وكذلك حتى انتهاء المعارك ولم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى المساعدة التي قدمها لكم الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت.

هكذا، سيادة الرئيس، أصبحت تقف في طريق إنكار الحقائق المؤكدة الواضحة. فالجميع يعلم انه منذ اليوم الأول لاندلاع أزمة السويس، والاتحاد السوفيتي يقوم بحماية الحقوق الشرعية لمصر مقدماً لها الدعم الواسع سواء كان معنوياً، سياسياً، مادياً. وبعد الاعتداء المسلح لإنجلترا، فرنسا وإسرائيل على مصر، قررت الحكومة السوفيتية اتخاذ عدة خطوات لعبت على المدى البعيد دوراً مهما في تراجع المعتدين وانسحابهم من الأراضي المصرية. ترى هل أحداً ساوره الشك في أنه إذا لم ترتدع القوات المعتدية على مصر بذلك الإنذار الذي أطلقه الاتحاد السوفيتي لوقف العمليات العسكرية، لأقبل الاتحاد السوفيتي على استخدام إجراءات أكثر حدة وصرامة من أجل لجم هؤلاء المعتدين ؟ أرى

انه من المناسب هنا أن أذكر بأنه قبل وقت طويل من اندلاع أزمة السويس، وحكومة تشيكوسلوفاكيا تساعد الحكومة المصرية من خلال تقديم صفقات السلاح العاجلة واللازمة لاحتياجات الدفاع في البلاد . ومن المعروف أنه مع نهاية عام ١٩٥٥ قد تم توريد كميات كبيرة من الأسلحة السوفيتية والتشيكوسلوفاكية إلى مصر وسوريا بتسهيلات واضحة . و نحن سعداء إذ أن هذه الأسلحة قد عادت بالنفع عليكم . وسعداء أكثر لقيام أفراد ماهرين لديكم باستخدام أسلحتنا وحماية دولتكم تحت قيادتكم أثناء العدوان الثلاثي على مصر .

عليكم أن تصدروا الحكم بأنفسكم، هل يمكن القول بأن الاتحاد السوفيتي اكتفى بتقديم الدعم المعنوي فقط لمصر ؟

لاشك أن الشعب السوفيتي يقدر جيداً ذلك النضال الباسل والشجاع للشعب المصري في مواجهة المعتدين على حريته وسيادته . والحقيقة أن نبأ وقوع هجوم على مصر قد أثار مشاعر غضب واستياء عارمة لدى الشعب السوفيتي، الذي أبدى استعداده لتقديم المساعدة العاجلة للمصريين في نضالهم العادل . لقد تحدثت في اجتماعك بالكرملين، الذي جرى في مايو ١٩٥٨ عن أن قوة وحسم الشعب المصري في ظل الدعم الذي وجده لدى الاتحاد السوفيتي وباقي الدول الأخرى المحبة للسلام، ودعم قوى باندونج، قد أسهم كل ذلك في دحر المعتدين وتكبيدهم الهزيمة وإجبارهم على الانسحاب من البلاد .

فهذه الحقائق مسجلة وموثقة في صفحات التاريخ .

لم أرغب في التطرق للحديث عن مشاعرك الدينية، حيث يبدو لي أنه لا يصح استخدام أية محاولات لاستغلال الدين لصالح تبرير السياسة الحالية للجمهورية العربية المتحدة واستغلال الدين ضد الاتحاد السوفيتي وثورة ١٩١٧ التي جرت في بلادنا .

إن الاتحاد السوفيتي حكومةً وشعباً يتعامل بعميق الاحترام نحو المشاعر الدينية لدى كل الأفراد وكذلك المسلمين، كما رأيتم من خلال جولتكم

في بلادنا . وأثناء زيارتك لنا استطعت أداء مناسكك الدينية مع المسلمين في المسجد سواء أثناء تواجدك بموسكو أو ليننجراد .

أعتقد انه ليس من الصعب الاقتناع بأن المسلمين بالاتحاد السوفيتي يؤدون طقوسهم الدينية بحرية مثلهم مثل باقي أصحاب الديانات الأخرى . فالقانون في دولتنا يكفل حرية الضمير و حرية الطقوس الدينية، فلدينا الكنائس والمساجد ويقوم الجميع بممارسة طقوسهم الدينية في جو من الحرية .

ومن الواضح أنك تعلم، سيادة الرئيس، أن ثورة أكتوبر المجيدة والبناء الناجح للحياة الجديدة والنهوض بالاقتصاد والثقافة ورخاء شعوب الاتحاد السوفيتي هو أمر يسعد شعوب كل دول العالم وفي الوقت نفسه، يثير مشاعر الخوف والقلق على المستقبل لدى الأوساط الإمبريالية . ألا تعتبر ثورة أكتوبر بمثابة مصدر لإلهام لدى الشعوب المضطهدة الواقعة تحت براثن الاستعمار، ألا تعتبر ذلك علامة بارزة بصرف النظر عن المعتقدات الدينية للأفراد في نضالهم لنيل الاستقلال والتحرر الوطني والاجتماعي ؟

وإحقاقا للحق والعدالة هنا، لابد من الإشارة إلى أن شعوب الشرق ومن بينهم المسلمين، البوذيين، المسيحيين والمؤمنين بالديانات الأخرى، قد عانوا لقرون طويلة من نيران الاستعمار والمحتل الأجنبي . وبات تحريرهم ممكناً من خلال الكفاح الراسخ والثابت للشعوب ضد الاستعمار . وكما أوضحت تجربة السنوات الماضية، إن الحفاظ على الاستقلال الوطني لبعض الدول العربية تتطلب دعم كبير من جانب كل الشعوب المحبة للسلام بصرف النظر عن معتقداتها وانتماءاتها الدينية .

وهكذا كان من الأفضل عدم الخلط بين المسائل الدينية والسياسية .

إذا ما نظرنا نظرة موضوعية إلى تطور الأحداث في منطقتي الشرق الأوسط والأدنى في الآونة الأخيرة، والى مؤامرات ومكائد قوى الاستعمار التي أسهمت في تفاقم العلاقات بين الدول، لبات واضحاً انه من اجل الوصول إلى الهدف الرئيسي، الحفاظ على السلام، لا يجب علينا ولا عليكم أن ننسى في خضم

المشكلة، المهمة الرئيسية التي تقف أمام الدول العربية وهي دعم وتعزيز استقلالهم وسيادتهم والوطنية . فنضال الشعوب العربية لن ينتهي، وتعتبر المساعدة التي يقدمها الاتحاد السوفيتي والدول المحبة للسلام، بمثابة الضمان الموثوق للنجاح الدائم . وبمقدور التعاون المثمر والمتكافئ مع الاتحاد السوفيتي ومساعدته أن تكون متاحة لكم في اي وقت .

سيادة الرئيس !

لقد كتبت بصراحة كل ما أريد قوله في هذا الخطاب، ورأينا انه من الضروري أن نشارككم وجهات نظرنا مرة أخرى، اقصد أن عملية تبادل الآراء تتوافق وطبيعة تلك العلاقات التي تجمعنا حتى الآن . أريد أن أعرب عن أملي في أن تسهم عملية تبادل الآراء هذه في المساعدة في تفتيت بذور أي خلاف بيننا من خلال الجهود المشتركة .

ونحن على يقين من أنه إذا ما تم استبعاد كل ما يعوق رؤية الأشياء كما هي علي حقيقتها، فإن تعاوننا وصداقتنا ستتطور بشكل سليم وهو ما يحرص عليه ليس فقط شعوب الاتحاد السوفيتي و الجمهورية العربية المتحدة، بل وكذلك باقي شعوب دول العالم المحبة للسلام .

تفضلوا بقبول وافر الاحترام،،،

ن.س.خروتشوف	**معالي سيادة / الرئيس جمال عبد الناصر**
١٢ أبريل ١٩٥٩	رئيس الجمهورية العربية المتحدة

لقاء الصحفي الهندي إر.دي.كارانجيا مع الرئيس جمال عبد الناصر – رئيس الجمهورية العربية المتحدة

١٦ أبريل ١٩٥٩ (٥٦)

ملحوظة مهمة

نظراً لان هذا اللقاء يُعد حصرياً لصحيفة « بليتس نيوز ماجازين « فإنه سيتم توزيعه على كافة وكالات الأنباء الأجنبية والصحافة المصرية ولكن شريطة ان يتم نشره في نفس الوقت الذي سينشر فيه في صحيفة «بليتس نيوز ماجازين» و يحظر نشره قبل صباح ١٧ ابريل (الجمعة) ١٩٥٩
أر.دي.كارا نجيا.

سؤال:

اقترح على سعادتك وبعد موافقتك سيادة الرئيس، إجراء هذا اللقاء الذي سيختلف عن اللقاءين السابقين معك من حيث جدية القضايا التي سيتم طرحها خلاله. لقد التقيت معك في اللقاءين السابقين لكي أنقل لك بالغ التهنئة لانتصاركم في السويس وتحرير العراق، أما اليوم فإني أنقل إليك أفكاري غير المنظمة. فماذا حدث للقومية العربية إذا ما سمحت لنفسها بالتوغل في كل هذا الوحل والخلل المرتبط بالأزمة الواقعة بين جمهوريتكم والعراق. أردت أن أعرف منك ما الذي ينقص أيدلوجية ومضمون القومية العربية ؟

---

(٥٦) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية، ملف رقم ٨٧، حافظة رقم٣٠. قضية رقم ٩، الأسطر من ٢–١٦. مكتوب أعلى النص : " يتم توزيع الخطاب على أعضاء هيئة رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والمرشحين لعضوية هيئة رئاسة تلك اللجنة، ١٦ ابريل ١٩٥٩ . أ.جروميكو "، ويليه : " وصل الخطاب عبر البريد من القاهرة في ١٦ ابريل ١٩٥٩ على يد السفير السوفيتي في الجمهورية العربية المتحدة والترجمة من اللغة الإنجليزية ".

ـج ـ كل شيء على ما يُرام فيما يتعلق بالقومية العربية، سيد كارا نجيا، باستثناء أنها تتعرض الآن لهجمات من جانب النشاط التخريبي الشيوعي. فنحن نقود معركة دفاعية لمواجهة الشيوعية واتحادها الدولي كما كنا نواجه الامبريالية الغربية من قبل. إن أيدلوجية القومية العربية تتلخص في الاستقلال الكامل عن أي نفوذ أجنبي ويتمثل المضمون السياسي لها في الالتزام بالحياد الإيجابي بين اثنين من التكتلات الكبرى. وأصبح عدونا الطبيعي هو أي ميثاق، حلف أو مذهب يسعى للتخريب والتدمير و يجب علينا حماية أنفسنا منه.

ولهذا فإننا نحارب حلف بغداد ومبدأ إيزنهاور الذي خلفه، وعلى هذا النحو فقد أرغمونا اليوم أن ندافع عن استقلالنا وسيادتنا وحمايتنا من المذهب الشيوعي ذي النشاط التخريبي. وقد نجحنا في خضم كل هذه المعارك في حماية المبادئ الرئيسية للقومية العربية من المخططات والمؤامرات المعادية لمنطقتنا والتي وضعها الأجانب. لا نريد ببساطة ان تندلع في منطقتنا حرب باردة جديدة. ولهذا فإن التحركات التي نتخذها لمواجهة الشيوعية ما هي إلا مواصلة للكفاح العربي لأجل الحفاظ على استقلاله وسيادته (ولا شيء آخر ينقص القومية العربية كما قلت). تكمن الحقيقة في أن القوة، الإيمان واليقين بقوميتنا هم الذين يسمحون لنا بمواصلة النضال ضد هذا العدوان الجديد.

سؤال:

ولكنك سيدي لم تقل أي شيء عن خلافك مع العراق؟

ـج ـ لأنه ليس لدينا أي خلاف مع العراق وإنما خلافنا مع المؤامرة الشيوعية التي تستهدف العراق والعالم العربي بأكمله.

حلف بغداد الشيوعي

سؤال:

يقوم أعدائك إذن باستغلال تلك المشاكل الواقعة بين القاهرة وبغداد

لتصويـرك بأنك ديكتاتور، نـازي وإمبريـالي ولا تتردد في تنظيم تدخل علني ضد سـيادة الأمـة العربيـة الشـقيقـة، سـأكون ممتنًا إذا مـا أعطيت تحليلاً لأسباب ومصادر تلك الأزمة .

ـج ـ نعلـم الآن مثـل هـذا الشـكـل مـن الإهانـات والفضائح . ففـي البداية كنـا نتحمل ثقل وعبء مثـل هذه الاتهامات الموجهة إلينـا عندما رفضنا دعم ومباركـة حلـف بغـداد الغربـي في عـام ١٩٥٥ . والآن يتـم توجيـه مثـل تلك الاتهامـات ضدنـا من جديد لان القومية العربية لا يمكـن أن توافق على حلف بغداد الشيوعي الجديد .

نحن لا ندبر أي هجوم على العراق ولا نريد التدخل في شئونهم الداخلية طالما إنهم لا يشـكلون أي خطـر على العالم العربـي . وفي هذا الإطـار فإننا نحارب مؤامرة الأقلية الشـيوعية داخـل العراق، تلك الأقلية الـتي تتحرك بوصفها أداة لروسـيا والشيوعية الدولية كما كان الحال قبل الثورة بالعراق، حيث كان يتـم تنفيـذ أوامر القـوى الإمبريالية الإنجليزيـة والأمريكيـة . لم أبـدأ أنا ولا شـعبي في الوقـوف في وجه العـراق . ولكـن في الواقع، فقـد أصبحنا في موقف دفاعي نتيجة لسلسـلة من الاستفزازات الشـيوعية والهجمات من جانب بغداد . وأي تحليـل موضوعي للأحداث منذ تاريخ ١٤ يوليو من العام الماضي سـيؤكد هذا الحديـث .

دعمنا ومساندتنا للعراق

لقـد بذلنـا كل ما في وسـعنا لأجـل تقديم الدعـم لثورة بغداد بـدون أية شروط، وقد اعترف السيد قاسم بنفسه بذلك الدعم . وأعلنا آنذاك أن أي هجوم على النظام العراقي الجديد سنعتبره هجوما علينا وسنرد الحرب بالحرب . وقد ناقشتُ مسألة الاعتراف بالحكومة الجديدة مع الهند والدول الصديقة الأخرى. لقد سـاعدناهم بكل الطرق لتعزيز نظامهم وفي الوقت نفسـه، فقد حضر إلى القاهرة عدد من قيادات الثورة العراقية مثل كمال القادرشـي لمناقشـة مسألة وشـكـل الانضمام معنـا . قلتُ لهم ألاّ يـتعجلـوا ويعودوا للـوراء للحفاظ على

مبادئ ثورتهم وقد طلبتُ من قادرشي أن ينتزع من رأسه فكرة الاتجاه خارج نطاق الأخوة العربية العامة . وقلتُ له إن الأهم من ذلك هو توحيد بلاده وإنقاذها من خطر الانقسام بين قادتها، ذلك الانقسام الذي سيستغله الشيوعيون وباقي الأعداء وسيؤدي إلى وقوع كارثة أخرى في القضية العربية .

وهذا لابد وأن يوضح لك الحقيقة التي تقول بأننا لا نريد من العراق في أي وقت من الأوقات سوى الحفاظ على استقلاله والعلاقات الشقيقة مع العرب .

يتمثل هدفنا في إقرار صيغة ما للوحدة الدستورية بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، بحيث يؤدي ذلك إلى إظهار مزيد من مشاعر التضامن العربي. وسيظل هذا هو موقفنا حتى الآن. وتدل قضية العقيد عارف على إخلاصنا ونزاهتنا، فقد كان عارف يترأس غالبية الرأي العام بالعراق، الذي كان يساند فكرة الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة . ولكن بعد قيام قاسم باستبعاد عارف وحكم عليه بالإعدام، فإننا لم نتدخل، وفي الحقيقة فقد أصدرت أوامري للصحافة والإذاعة لدينا لتجنب توجيه أية انتقادات للعراق .

قاسم يتهرب

حاولت الالتقاء مع قاسم عدة مرات، وأنا أسير على هذا النهج السياسي، ولكنه كان يتهرب مني بحجج غير مقنعة بالمرة، وعندما رفض الذهاب إلى القاهرة ودمشق، وافقتُ على التوجه إلى بغداد أو إلى أي مكان آخر حسب اختياره ولكنه رفض ذلك . لماذا؟ لأن الشيوعيين الذين يتحكمون فيه مثل الأسير لم يرغبوا في أي شكل من أشكال التقارب معنا، حتى أنني أرسلت لقاسم تأكيدًا بشأن أننا لا نرغب في فرض اي شكل من أشكال الوحدة او الاتحاد على بغداد وأننا نرغب في القضاء على سوء التفاهم وإنعاش العلاقات الشقيقة بين الدول العربية . ولكننا لم نتلق أي رد من جانبه . وعلمنا بعد ذلك سبب تهرب قاسم مننا، حيث قام الشيوعيون بالسيطرة على النظام وقمع الثورة واستبعاد قادتها، الذين قاموا بها في ١٤ يوليو وسرعان ما أصبح غالبية

الوطنيين داخل السجون . صاروا ينتهجون سياسة العنف، التطهير والإرهاب وتم إشعال الثورة المضادة . ولم يضيع الشيوعيون الكثير من الوقت في إشعال نيران الحرب الباردة على الجمهورية العربية المتحدة، والقومية العربية، تم استبعاد الشخصيات الدبلوماسية وكان يتم التعامل بمنتهى القسوة مع معلمينا وخبراؤنا الذين تم إرسالهمإلى العراق لدرجة أوصلت البعض منهم لحالة عصبية . وكان هناك حشود يترأسها الشيوعيون تسير في الشوارع يسخرون ويستهزئون من القومية العربية .

كانت تلك هي القصة باختصار، ولكن المثير للأسف والحسرة هو مصرع الثورة الوطنية بالعراق، و نجاح الشيوعيين في اجتياح هذه الأرض العربية . وقام السفير العراقي بالقاهرة وهو شخصية وطنية فدائية، بتقديم استقالته وكشف للعالم تلك الحقيقة التي تدور حول أن قاسم لم يفلح في دعم وتعزيز الثورة بالعراق او حاول إنشاء ما يشبه دولة بالعراق وما يشبه نظاما بعيداً عن سلطة الشعب، ولم يبق أمامنا سوى أن نحمي أنفسنا من شبح هذا الوجه من الفوضى التي عصفت داخل العالم العربي . فالصراع هنا ليس بيننا والعراق، وإنما هو صراع بين الشيوعية والقومية .

الضرب أسفل الحزام

سؤال:

ولماذا إذن لم يكن رد فعلك، سيادة الرئيس، بمنتهى الحزم والعنف إزاء هذا الخطر كما تتصوره ؟ وفي النهاية فإن قاسم والشيوعيين من العرب هم أشقاؤك من خلال صلة الدم والعرق، حتى وإن ساروا في اتجاه غير صحيح . ألم تستطع الصبر عليهم وإعادة إقناعهم؟

-ج - لم يصبح الشيوعيون عرباً ، بل باعوا أنفسهم للنفوذ الأجنبي . فهم يتصرفون وكأنهم عرائس مسرح وباتوا عملاء في العراق، سوريا وكل أنحاء الوطن العربي . ولهذا لا يمكننا التعامل معهم كعرب، إن سلوكهم الخاطئ في العراق أجبرني على مقاومتهم بقوة .

فعندما تتلقى ضربة مفاجئة من تحت الحزام، فلن يكون أمامك وقت طويل للصبر والإقناع . بل كان يتوجب عليا تحذير شعبي لكي يتيقظ أمام هذه الخطر الجديد . وفي النهاية لم يبق لدينا نحن القوميين العرب أي حلفاء لا من العالم الشيوعي ولا من العالم الإمبريالي وليس لدينا أسلحة من الشيوعيين ولا قوى الاستعمار . ولهذا كان لابد وأن أتوجه لشعبي، هذا الشعب الذي يُعتبر جيشي، قوتي وأمني . وكانت هذه هي إجابتي على سؤالك .

سؤال:

شكرا لسيادتك فخامة الرئيس ! لا يمكنني أن أجادل تفسيرك للموقف. ولكني أردت ان تأخذني لمنطقة أعمق في هذا الخلاف . لقد فهمتُ من حديثك انه إذا ما كان الخطر مقصوراً على العراق وحده، لأصبح هنا تقييد على حقك في التدخل في شئون الأمة الشقيقة، ولكن طالما أنك حولت هذه المعضلة العراقية او الشيوعية إلى قضية عربية عامة، إذن فإنني أرى أن الخطر هنا لا يهدد العراق فحسب، بل والعالم العربي أجمع وذلك من وجهة نظرك ؟ هل يُعتبر رد فعلك العاصف إزاء تطور الأحداث في بغداد نتيجة لبعض المعلومات الاستخباراتية او الأدلة التي لم يتم الكشف عنها للعالم اجمع ؟ وإذا ما كان هذا صحيحا، هل تتفضل بكشف القصة السرية وراء ذلك لكي تدرأ عن نفسك شبهة الاتهام بالتدخل والعدوان ؟

القصة السرية للمؤامرة

-ج-: الآن وبعد أن طرحت أمامي هذا السؤال مباشرة، أستطيع أن أقول لكأن أجهزة المخابرات لدينا اكتشفت المؤامرة الشيوعية التي تهدف إلى احتلال العراق والسيطرة عليه وإنشاء الاتحادات في هذه المنطقة العربية الإستراتيجية . تم العمل على الإيقاع بين مصر وسوريا والقضاء على وحدتنا ؛ وبعد ذلك يتم تحقيق الهدف النهائي للشيوعيين، الذي يتمثل في إنشاء إقليم الهلال الأحمر الخصيب الذي يضم العراق، سوريا، الأردن، لبنان والكويت وذلك لضمان وجود بوابة للاتحاد السوفيتي تطل على الخليج العربي والفارسي وكذلك المحيط الهندي .

سؤال:

أنه اكتشـاف مثير للضجة يا سيدي . هل تتكرم برواية القصة الكاملة لكشف ملابسات تلك المؤامرة كما تصفها ؟

ـج ـ : لقد بدأت القصة في سـوريا قبل وحدتهـا مع مصر، أي قبل وقت طويـل مـن اندلاع الثـورة بالعراق .أذكر أنني تحدثت معك في آخـر مرة رأيتني فيها في سـبتمبر عن مؤامرة السوريين الشـيوعيين وخاصة كلا من باجداش وبيزري، بهدف تحويل سوريا إلى دولة سوفيتية شيوعية عن طريق الانقلاب .

سؤال:

أتذكر ذلك يا سيدي، وأذكر أنك طلبت عدم نشر ذلك الجزء من اللقاء .

ـج ـ : هـذا صحيـح، فقـد كانـت هـذه هـي خلاصـة خبرتـي وتجربـتي مع الإسـتراتيجية الشـيوعية السـوفيتية ولم أكـن أرغب في التربـح بالأموال من وراء ذلـك . أمـا الآن فإني أترك لـك حق رواية تلك القصة للعـالم أجمع . ولأجل القضـاء على هـذه المؤامرة، فقـد أتى إلينـا المناضلون السـوريون وبعد ذلك تم تفعيـل الاتحاد بين مصر وسـوريا . وبعـد ذلك تم إجراء اسـتفتاء عام أوضح أن ٩٩٪ من الشعب السوري يساند فكرة الوحدة، وقد أسهم هذا في عزل السـوريين الشيوعيين .

مؤامرة بغداد

وبعد ذلك هرب خالد بكداش من سـوريا إلى موسـكو ومنهـا إلى براج، أما بيرزي فقد ظل معنا ليراقب ويقتنص الفرصة المناسبة . حيث استطاع المتآمرون التجمـع مرة أخرى بعد الثورة في بغداد ، وتمركزوا بالعراق نظراً لأن المجموعة المحليـة هنـاك تتمتـع بالدعم والسـند . فقد اسـتغلوا ذلك الخـلاف الواقع بين الجيش والقيادة السياسية بهدف إثارة الفوضى والقضاء على القوميين العرب وتوحيد باقي من هم على شاكلتهم في جبهة سياسية تحت قيادتهم .

بعد إحكام قبضتهم الحديدية على العراق، أخذوا ينظمون تنظيما شيوعيا عربيا سريا بهدف تنفيذ نشاط تخريبي ضد دول الجوار العربية. وتفيد معلوماتنا الاستخباراتية أن من قام بإرساء دعائم هذه الجبهة هم الشيوعيون العرب في موسكو خلال المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي. وأجرى الشيوعيون اجتماعا شيوعيا – عربيا في بغداد في فبراير من العام الحالي. وحضر هذا الاجتماع شخصيات شيوعية من إسرائيل وشهد الاجتماع إرساء قواعد التنظيم السري الشيوعي – العربي الهادف إلى تقسيم وتفتيت الجمهورية العربية المتحدة وإنشاء منطقة الهلال الأحمر الخصيب بوحدة قيادة الثورة المضادة الشيوعية لمواجهة القومية العربية في بغداد.

فشل المؤامرة السورية

سؤال:

ما هو مصير تلك المؤامرة فيما بعد ؟ أقصد هل لديك أدلة على نجاح تلك المؤامرة في تحقيق أهدافها المزعومة ؟

ـج ـ : لقد قمتُ بنفسي في ديسمبر من العام الماضي باتخاذ خطوات لإحباط أول محاولة للشيوعيين ضد الجمهورية العربية المتحدة في المنطقة السورية. حيث إنهم كانوا يخططون لإحداث انقلاب في سوريا، ولهذا الغرض فقد عاد خالد بكداش إلى منطقة الشرق الأوسط وأخذ يعمل مع بيرزي والتنظيم الشيوعي السري. وقد أرادوا أيضا فصل سوريا عن وحدتها مع مصر وضمها إلى العراق لإنشاء اتحاد آخر تحت قيادة الشيوعيين. ولهذا فقد اضطررتُ لتوجيه ضربة ضدهم وفضح مؤامرتهم على الملأ. بعد ذلك سرعان ما فرّ الشيوعيين إلى بغداد، التي تحولت الآن إلى مقر للأممية العربية. هل تتخيل ان الشيوعيين من مختلف الدول العربية: سوريا، الأردن، لبنان ..الخ يتمركزون الآن في العراق لأجل تدبير المؤامرات ضدنا من هناك.

سؤال: وما هو اختلافهم الجوهري معك سيادة الرئيس، إذا لم نعتبر أنك لاتعترف بهم باعتبارهم قوميين عرب ؟

ـ ج ـ: إنهم ينتمون لنموذج آخر من القومية العربية التي تعتمد على فكرة الاتحاد وما يطلقون عليه الديمقراطية الحزبية. إنهم يريدون أن تعمل الأحزاب السياسية بحيث يتمكنون من استغلال بعضها ضد بعض والقضاء على باقي الأحزاب عدا الحزب الشيوعي، واضعين نصب أعينهم النموذج المعروف لأوروبا الشرقية. كما إنهم يكررون الاتهام القديم الذي أطلقه الإمبرياليون بشأن أن مصر لا تُعد دولة عربية, وبالتالي فلابد من عزلها عن العالم العربي!

أسرة عربية واحدة في مركب واحد

سؤال:

عند النظر إلى حديثك السابق سيادة الرئيس، حول دورك الهجومي والدفاعي عن العراق، فإن هذا يثير تساؤلا في بعض الأوساط غير الصديقة، وكذلك في الأوساط العربية حول ذلك الحق أو تلك السلطة التي تجعلك تتدخل في شئون دولة عربية خارج حدود دولتك؟

ـ ج ـ: وهل من المعقول أن يقوم أي شخص اليوم بغض بصره عما يحدث في العالم الخارجي، فما بالك بالأحداث التي تشهدها إحدى دول الجوار؟ عندما بدأ الأمريكان شن الحرب الباردة ضدكم من خلال إنشاء تحالفات وتقديم المساعدة العسكرية لباكستان، فقد كان رد فعلكم عنيفا للغاية وهذا هو نفس ما نقوم به نحن.

فما يحدث في برلين اليوم يمسني أنا أيضا، فما بالك بما يحدث في دول الجوار المحيطة بنا مباشرة؟ وهذا يقودنا إلى موضوع آخر يتمثل في أن الدول الكبرى تقوم باستغلال الدول الصغيرة والنامية باعتبارها إحدى أدواتها التي تستخدمها في لعبة الحرب الباردة. ونعتبر منطقتنا هي المنطقة المركزية والإستراتيجية في طاولة الشطرنج الخاصة بهم، ولهذا يتوجب علينا اتخاذ الحيطة والحذر. وكان هذا ضمن إحدى دروس التاريخ التي كنتُ ادرسها في كلية القادة والأركان. عندما نلقي بهذه الأسباب جانبا، فإننا بذلك ننتهج

أيدلوجية خاصة بالقومية العربية التي تعتمد على التضامن العربي ومبدأ الأمة العربية الموحدة . مثل ان دستورنا الخاص مثل الدستور المؤقت لدى العراق يربط البلدين من خلال مبدأ «أمة عربية واحدة».

وهكذا فإن كل دولة عربية لديها الحق في طلب استقلال أشقائنا بالعراق عن بريطانيا والاتحاد السوفيتي أو أي دولة كبرى أخرى . ولهذا السبب قمنا بمحاربة حلف بغداد الموالي للغرب . وهذا السبب أيضا هو الذي أرغمنا الآن على القضاء على تلك الاختراقات والتسللات الجديدة للشيوعيين بالعراق . نحن أشبه بأسرة عربية واحدة في سفينة واحدة تسير في بحر متلاطم الأمواج وجو دولي في حالة متردية . ترى إذا ما حاول احدهم عمل ثغرة في سفينتنا،هل تعتقد أننا سنجلس صامتين لننظر كيف سيقوم هذا الشخص بعمل تلك الثغرة في جسم السفينة، بل يتعين علينا أن نوقفه للحفاظ على أمننا العام .

شخصيتان لجمال عبد الناصر

سؤال:

هذا صحيح بالفعل يا سيدي، وأشكرك على هذا الإيضاح . قال لي محرر مصري صباح اليوم أنني سألتقي بشخصيتين لجمال عبد الناصر، شخصية معروفة كرئيس الجمهورية العربية المتحدة، والثانية هو القائد الأعلى للقومية العربية . هل هذا صحيح ؟

-ج-: اعتقد أنه صحيح من الناحية النظرية. هل رأيت مصر يوما ما خارج نطاق النضال العربي وجئتُ أنا لكي أقحمها فيه؟! فالقاهرة كانت ومازالت قاعدة وعاصمة لكافة المعارك العربية من عمان إلى الجزائر . تجد على أراضيها رابطة الدول العربية وعدد من المنظمات الأخرى . عندما اندلعت الثورة في بغداد ، اعترف السيد قاسم بنفسه بحقيقة توجهه إلينا لطلب المساعدة بلا فخر، حقيقة أننا كنا على استعداد للدخول في حرب بسببهم، وإنقاذهم من براثن التدخل الغربي . لقد توجهتُ شخصياً إلى موسكو على الفور من أجلهم وليس الإنجليز ولا الشيوعيين الذين يرسلون إليهم السلاح الآن.

الحرب بين الإسلام والإلحاد

سؤال:

الآن وبعد أن أوضحت تلك المخاطر التي تراها ناجمة عن العراق الشيوعية، هل تستطيع سيادة الرئيس الانتقال إلى إستراتيجية الدفاع الذاتي . لم يفلح الكثير في فهم وإدراك تلك الصرخة التي أطلقها الإسلام وكذلك الفتاوى التي أصدرها ضد الملحدين . نقول بصراحة إن هذا قد أثار حالة من القلق لدى الرأي العام بالهند، مما أفقد إيماننا بالروح المدنية للعرب . وهذا من شأنه وأن يضر بأكبر حليفين لكم هما الهند العلمانية ويوغسلافيا الشيوعية والضرر هنا سيكون أكبر من ذلك الضرر الذي يتكبده الروس وباقي الشيوعيين . وهذا من الممكن كذلك وأن يضر بالقومية العربية . التي لابد وأن تضع في اعتبارها وجود الكثير من الأقليات غير المسلمة . هل من الممكن أن أعرف لماذا تعين عليك اللجوء إلى هذه الطريقة العاطفية القديمة ؟

ـ ج ـ : إنني سعيد لكونك طرحت هذا السؤال، سيد كارا نجيا، حيث يُعد هذا الاتهام غير المبرر جزءاً من حملة الافتراءات الموجهة ضدي من جانب الشيوعيين والإنجليز . أستطيع أن أؤكد لك وبشكل علني وصريح أنني لم أستخدم الإسلام لغرض الدعاية في أي وقت من الأوقات . وقد لجأت لاستخدام الإسلام مرة واحدة في دمشق ولكن في سياق آخر قد تم تشويهه من جانب أعدائنا . وكل ما قلته، إنه في عام ١٩٤٩ حيث أراد الشيوعيون أن أنضم إلي حزبهم، ونظرا لأنني دائما أهتم بكل شيء واسعي وأتطلع للمعرفة، فقد طلبت منهم أن يرسلوا لي أعمالهم ومنشوراتهم، وبعد اطلاعي عليها وقراءتي لها، وجدتُ فيها منهج غير إسلامي وملحد، وهو شأن غريب عن عقيدتي الإسلامية، وعندئذ رفضت دعوتهم بأن أصبح شيوعيا . وتم تشويه تصريحي هذا في كل الحملة الخاصة بالإسلام والإلحاد . وفيما يتعلق بسؤالك الخاص بالفتاوى وما شابه، فليس لي ولا لحكومتي أية علاقة بذلك . فعندما هاجمنا الخطر الشيوعي، أخذت كل جهة ترد حسب وجهة نظرها . فبالنسبة لي أرى أن الشيوعيين هم عملاء

أجانب, وقـد أعلنت ذلك صراحة . البعض الآخر مثل رئيس جامعة» الأزهر» فهم يلتزمون المنهج الإسلامي وانضم المسـيحيون كذلك لمواجهة الإلحاد الشيوعي من وجهة نظر الدين المسـيحي . أما بالنسـبة لنا، فلم نلجـأ لمثل تلك الدعاية من جانب الحكومة ولا نستطيع إيقاف الآخرين عن تحويل ذلك إلى مسألة دينية وفي النهاية، كما يقول نيرو دائما، فإن الشـيوعيين في أيامنا هذه يتصرفون مثل الصليبيين المتدينين،حيث يثـيرون رد فعل قوي بين طائفة الأرثوذكس . وكانـت قد وصلت إلينا أنباء مـن بغداد وأماكن متفرقـة بالعراق حول قيام البعض بتقطيع القرآن إلى أجزاء، الأمر الذي أثار رد فعل حاد بالقاهرة ودمشـق . وبالنسـبة لي فإنني شـخص متدين يرفـض الإلحاد . فالتديـن لا يعني الصلاة والذهاب إلى الكنيسـة، الدين هو حسـن المعاملة وهو ما يمكن للشـيوعيين الاستفادة منه .

سؤال:

ألا تـرى أن مثل هذا المنهج يكسـب القوة للأشـقاء المسـلمين وباقي القوى الأخرى من الإقطاعيين، الرجعيين، والإمبرياليين المختبئين داخل العالم العربي؟

-ج-: فيمـا يتعلق بمصر، فقد قمنا بالفعـل بالقضاء على مثل هذه القوى . فالقوى المتعصبة والدينية لم تعد تمثل أي خطر حقيقـي علينا .

مشكلة ناصر وخروتشوف

سؤال:

ننتقـل الآن سـيدي إلى وجـه آخـر في غايـة الأهميـة مـن أوجـه محاربتـك للشـيوعية . هل كان هناك مشـكلة مع خروتشـوف وروسـيا ؟ فحكومتي تحارب الشيوعية بسلاح الإصلاحات الديمقراطية والاقتصادية، ولكننا لا نحمل هذا الصراع إلى موسكو أو بكين. ولهذا فإنني أرغب في معرفة المزيد عن توجهات سياسـة الاتحاد السـوفيتي في الشـرق الأوسـط، تلك التوجهات التي أجبرتك على وقف صفقات السلاح معه ؟

ـج ـ: أؤكـد لـك أننا كنا مضطريـن للدخول في هذا الجـدال دون رغبة في ذلك . ففي غضون السـنوات الثلاثة الأخيرة، كان يجمعنا مع روسيا علاقات صداقة قوية للغاية، فقد تركت موسـكو رصيداً كبيراً من النوايا الحسـنة والطيبة داخل العالم العربي نتيجة لدعمها للقومية العربية وإدراكها للحياد العربي . هكذا كنا نعتقد حتى ديسـمبر من العـام الماضي، عندما رأيتُ أنه من الضروري مهاجمة الحزب الشيوعي بسوريا .

سؤال:

اسمحي لي بمقاطعة حديثك سـيدي . فقد ذكـرت أثناء حديثك معي في سبتمبر ١٩٥٨ بعض المخاوف إزاء موقف الاتحاد السوفيتي من الوحدة مع سوريا .

ـج ـ: هـذا صحيـح . لقـد نقلـتُ مخـاوفي هـذه لخروتشـوف من خـلال محي الدينوف، وجاءتني الإجابة في صورة تأكيدات على أن روسيا لا تسعي للتدخل في شئوننا وأن هذا أمر يقلقنا .

الحماية السوفيتية للشيوعيين العرب

لقد بدأ القلق الفعلي بعد مهاجمتي للشـيوعيين السوريين، وهذا الأمر يُعد شـأننا الداخلي . لقد أصابني رد خروتشـوف بصدمة، وكأنه حمل على عاتقه مسئولية الدفاع عن الشيوعيين العرب . أعربنا عن احتجاجنا لموسكو إزاء مثل هذا التدخل في شئوننا . بعد ذلك جرت فعاليات المؤتمر الشيوعي في موسكو، والذي أوضح فيه خروتشـوف بعض الملحوظات الـتي تمتهن كرامتنا . بالإضافة إلى أن كل هذه التحركات ليست فقط لأجل تقديم المأوى للشيوعيين العرب أمثـال باجداش، بل والعمل على ترقيتهـم للصعود إلى الصفوف الأولى، وإتاحة المنبر لهم في موسكو، صوفيا وأماكن أخرى من أجل توبيخنا، وهذا كله يُعد انتهاكًا جسـيمًا للدبلوماسية الدولية . تخيل إذن، إذا ما انتهجتُ هذا السلوك مع بولجانين أو شبيلوف أو جوكوف، هل هذا سيكون رد فعل موسكو؟

لقد أوضحنا لهم هذه المسألة صراحة وأرسلنا لخروتشوف خطاباً بعد هذا المؤتمر، أحذره فيه من دعمه للحزب الشيوعي في بلادنا، وذكرته بأن علاقة الصداقة التي تربط شعبنا بروسيا ستظل قائمة رغمًا عن أنف الحزب الشيوعي . وقلتُ له إن شعبنا لا يروق له مثل هذا السلوك وسألته هل يرغب في دعم الأقلية، هل يعتبرنا أعداء لكي يتصرف على هذا النحو ؟ وحذرته من أن يتم تضليله من جانب الشيوعيين لديه . واختتمتُ خطابي بالإعراب عن أسفي إزاء المستوى الذي وصلت إليه العلاقات فيما بيننا .

جاء رد خروتشوف لتهدئة الموقف وقد وثقنا في كلامه وأعلنت ذلك على الملأ، ثم بدأت بعد ذلك خلافاتنا مع العراق وبدأتُ خطاباتي التي تهاجم الشيوعيين العرب، الأمر الذي يُعد شأنا خاصًا بالعرب وليس له أية علاقة بروسيا. لم يضيع خروتشوف وقتا طويلا في الإجابة، وجاء رده أثناء لقائه مع الوفد العراقي الاقتصادي في موسكو، حيث وجه لي الاتهام بأنني أتحدث بلغة الإمبريالية ! وهذا أكد لنا أن موسكو تلعب بالفعل دور المدافع عن الشيوعيين وتهاجم القومية العربية . ولهذا لم يكن أمامي أي خيار آخر سوى أن أعلن للروس أننا لا نرغب في هذا الشكل الجديد من أشكال الاستعمار ولسنا على استعداد لان نبيع دولتنا ب ٧٠٠ مليون روبل من المساعدات السوفيتية لنا وكعادتي دائما، فقد حدثتُ شعبي عن القصة الكاملة لخلافاتنا مع موسكو . وكانت النتيجة أن تلك الثقة الكبيرة بالاتحاد السوفيتي، التي تشكلت على مدار أكثر من ثلاث سنوات، قد ضاعت في أقل من ثلاثة أسابيع . وأعتقد أنه يتعين على الروس توجيه الشكر للشيوعيين السوفييت على ما حدث.

سؤال

هل تعتقد أن موسكو هي من بادرت بالدفاع عن الشيوعيين العرب أم أنها أخذت تساندهم إلى أن لاحت تلك المبادرة على الساحة، وأصبحت موسكو موضوعة أمام الأمر الواقع ؟

ـ ج: سبق وان قلتُ إن خالد بكداش وفريقه من الشيوعيين قاموا بتضليل روسيا ويبدو أنهم ضللوا خروتشوف وأرغموه على أن يثق بأن الأحزاب الشيوعية العربية تُعد الأقوى والأكثر شهرة في محاولة منهم لإقناع الشعب العربي بمساندتهم والوقوف بجانبهم لمواجهة حكوماتهم.

المساعدة، التجارة والاستقلال

سؤال:

أدرك يا سيدي على حسب علمي، أن هناك علاقات اقتصادية وأخرى عسكرية تجمعكم مع تلك الدول الشيوعية، فلماذا إذن القطيعة مع موسكو؟ واقصد في حديثي مشروع السد العالي، تجارة القطن واستيراد قطع الغيار والذخيرة اللازمة للتكنولوجيا العسكرية لديكم. فهل أنتم أقوياء إلى هذه الدرجة وقادرين على سداد الديون لكي تهدم كل الجسور التي تربطكم بروسيا؛ بعد أن دمرتم كل الجسور التي تربطكم بالغرب؟ أم أنك ترى هناك مصدراً آخر للتعاون الاقتصادي من الممكن أن يكون مع ألمانيا الغربية أو أوروبا؟

ـ ج: للأسف لا أستطيع مناقشة هذا السؤال على هذا النحو من التسطيح، حيث ينبغي أن يتم توجيه هذا السؤال لي على النحو التالي: هل أنا على استعداد للتخلي عن استقلال وسيادة دولتي أم لا؟ فهذا هو مضمون السؤال، وباقي التكملة للسؤال لا قيمة لها. هل نستطيع أن نتاجر باستقلالنا مقابل المساعدة الاقتصادية والعسكرية؟ بالنسبة لي فإن الإجابة ستكون بالطبع هي النفي.

لقد ذكرت المساعدة الاقتصادية وتجارة القطن وإجابتي على هذه المسألة كالتالي: ترى ما هي الفائدة التي ستعم علينا من تلك المساعدة والتجارة إذا ما فقدنا استقلالنا؟ ـ نحن لا نرهن اقتصادنا. فنحن نبيع لهم القطن وليس استقلالنا. فهناك مبادئ غير قابلة للبيع والشراء مثل الكرامة، العزة، ويتعين على الدول الكبرى بما فيها روسيا، التي لا تقل عن أمريكا، أن

تدرك تلك المسألة جيداً فهي مسألة تمس كرامة آسيا وأفريقيا . وإذا ما كان السبيل الوحيد لرفاهية ورخاء روسيا يتمثل في إتاحتها الحرية الكاملة للحزب الشيوعي لكي يرتع في بلادنا ويدمرنا، فإننا نرفض ذلك . ومازالت آمل في ألا تكون تلك هي سياستهم . وفيما يتعلق بسؤالك حول وجود مصادر آخرى للتعاون الاقتصادي، دعني أقول لك أن تلك المصادر لا توجد فقط في أوروبا، بل وفي آسيا أيضا . والأهم من ذلك أننا نخلق هذه المصادر داخل بلادنا، مثل قناة السويس التي تحقق لنا .... مليون جنيه إسترليني سنويا (الرقم محذوف - المؤلف)، ونقوم بتصنيع وإنتاج معظم السلع الاستهلاكية الخاصة بنا كما ترى . ونقوم كذلك بإنتاج معظم الذخيرة اللازمة، وبدأنا تصنيع قطع الغيار أيضا . تتلخص القضية بالنسبة لنا في أننا لا نستطيع أن نبيع سيادتنا مع القطن. أليس هذا صحيح ؟

ثغرات ضعيفة للهجوم

سؤال:

هذا أمر مفهوم سيادة الرئيس . غير أن كل هذا يضعك في موقف محرج للغاية . لقد سمعت بتلك المخاوف التي خرجت من أوساط القوميات العربية التي تقول بأن القطيعة بين القاهرة وبغداد يضعف الوحدة العربية أمام العدو الرئيس-إسرائيل، وفي الوقت نفسه، فإن الخلاف بين موسكو والقاهرة يجعل منطقة الشرق الأدنى معدومة المقاومة أمام عدوكم الآخر - الإمبريالية الغربية . هل وضعت كل تلك العواقب في الاعتبار إذا ما افترضنا بإمكانية توحد هذين العدوين لتكرار هجوم آخر على شاكلة العدوان الثلاثي على مصر ؟

ـج ـ: إن العراق دائما ما يكون خارج نطاق الخلاف مع إسرائيل ولا نستطيع ان نتوقع من السيد قاسم مساعدة أكثر من تلك التي قدمها نورى سعيد . لابد وأن نعتمد على أنفسنا ونعطي الفرصة لقوى القومية العربية أن تسترجع العراق في دائرة العائلة العربية العامة .

وعلى أية حال، فلسنا نحن من نأسف على هذا الخلاف الواقع بين بغداد و موسكو . والآن عندما ينهال وابل ذلك علينا، تُرى ما الذي يمكن أن نفعله ؟ من يريد أن يصبح مستقلاً، فعليه أن يصبح مستعداً لدفع الثمن كاملاً . لقد عانينا في غضون السنوات السبع الأخيرة تحت وطأة وضغوط الغرب، كما تعلم فقد سحقنا هجوم السويس بقواتنا الخاصة . والذي ساعدنا في ذلك هو القوة واليقين في ظل الصعوبات الحالية. ولا داعي للتفكير في التداعيات الناتجة عن النضال من اجل الاستقلال .

التصالح مع روسيا

سؤال:

هذا شعور طيب سعادتك، إنني أعرب عن تعاطفي إزاء تلك الصعوبات التي تمرون بها وعلى يقين من أن القطيعة مع روسيا لن تدم طويلاً. كنت أفكر في زيارة لموسكو في محاولة لإجراء لقاء مع خروتشوف للحديث في مسألة برلين، و الآن و بعد إيضاحكم للصعوبات التي تواجهوها ومع الوضع في الاعتبار رد الفعل الذي سيثيره لقائي معك في بلدي، فهذا يجعلني أصر وبشدة على سرعة إجراء هذا اللقاء . ولهذا كنتُ أرغب في معرفة الحد الأدنى من شروط التصالح مع موسكو ؟

-ج- : أن أقل طلب بالنسبة لنا سواء كان أمام موسكو، و اشنطن أو لندن هو أن يدركوا مفهوم القومية العربية ويقدروا قيمتها وأهمية الاستقلال ومساندتنا وعدم تقويض مواقفنا من الحياد الإيجابي . يعلم خروتشوف أننا حاربنا الغرب باسم هذه المبادئ على وجه التحديد وكنا على استعداد لخوض حرب أخرى في يوليو ١٩٥٨، وقد أوضحت تلك المبادئ الأساسية للعروبة أثناء زياراتي الأولى والثانية وقد أرسلت إليه خطابا، رجاء أن تطلب منه إعادة قراءته مرة أخرى .

تتلخص كل طلباتنا في عدم التدخل في شئوننا الداخلية. ويعلم خروتشوف حجم الضرر الذي سببه حلف بغداد لمنطقتنا، فقد أشعل فتيل

الحرب الباردة وخلق مناخ مفعم بالسموم. فلماذا يريد أن يكرر أخطاء الغرب في بغداد ؟ ألا يعد الأكثر قيمة هو ذلك الولاء المشكوك فيه لإلغاء أممية ذلك الحشد غير العربي، المقصور فقط داخل العراق أكثر من النوايا والإرادة الطيبة للعالم العربي الكبير الذي يمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلنطي. وإذا ما توقف هذا النوع من التدخل، فإن صداقتنا القديمة، المبنية على قاعدة راسخة وثابتة للقومية العربية، ستعود من جديد بدون أدنى شك في ذلك.

لقد كان خروتشوف يدعمنا حتى وقت قريب، وقد دفعنا له عشرات أضعاف هذا الجميل مقابل كل تصرفاته الداعمة للعرب. ولكنه يبدو الآن أنه أخذ يساند عدونا، وسنرد على كل صفعة أخذناها على وجهنا بعشرة صفعات.

هذه هي سياستنا ويمكنك أن تصفها بأنها سياسة تفتقر للفطنة والصبر ولكننا نقدر كرامتنا جيداً. بالإضافة إلى ما سبق، فإن هذا النشاط الشيوعي المخرب يُعد خطراً جديداً يهددنا. لقد قضينا كل حياتنا في محاربة الإمبريالية ولذلك أصبح يمكننا أن نحمي أنفسنا منها بطرق معروفة. ومن الطبيعي أن يسبب لنا هذا الخطر الجديد حالة من الارتباك ولابد وأن يكون تصرفنا عمليا وعقلانيا وليس عقائديا. فهذا هو مجرد بداية الصراع ونأمل ببالغ الصدق الا يُفرض علينا ضرورة مواصلة هذا الصراع على الساحة الدولية. لابد عليهم وأن يدركوا أننا أصحاب دولة, ولا يمكن لأحد أن يفرض مذهبه من خلال عقولنا لا إيزنهاور و لا خروتشوف.

التعاون الاقتصادي السوفيتي

سؤال:

شكرا لك يا سيدي وسأنقل لخروتشوف مشاعرك هذه التي تؤكد معرفتي الخاصة بمشاعر العرب. أريد أن أعرف كذلك هل كان لسوء التفاهم مع روسيا تأثير على طبيعة التعاون الاقتصادي بينكم؟

-ج-: لاعلى الإطلاق، ليس هناك أي تأثير لسوء التفاهم بيننا على التعاون الاقتصادي، فهذا التعاون قائم ومستمر كما كان في السابق .

سؤال:

هذا يعني أن الروس يختلفون عن الأمريكان، فهم لا يخلطون السياسة بالاقتصاد ؟

-ج -: لم نشتك من أي شيء حتى الآن . فالاختلافات السياسية لم تؤثر على تعاونهم سواء كان في مشروع السد العالي أو باقي المشروعات الصناعية الأخرى ...

خطاب جمال عبد الناصر لخروتشوف في ١٢ مايو ١٩٥٩[٥٧]

من رئيس الجمهورية العربية المتحدة إلى صاحب المعالي والفخامة نيكيتا خروتشوف، رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي .

تحية طيبة وبعد،،

السيد رئيس الوزراء !

لابد لي وأن أوضح في مطلع رسالتي رداً على خطابك السابق بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٥٩، أن سبب التأخير في إعداد الرد على خطابك وإرساله إليك هو أن خطابك كان يتضمن عدة حقائق وإشارات تطلبت دراستها بعض الوقت .

بالإضافة إلى ذلك، فقد رأيت أن تقرير سفيركم بالقاهرة السيد ديمتري كيسيليف حول لقائي معه أثناء تسلمي رسالتك وما أبلغته للسفير قبل قراءتي للنص الكامل لخطابك، يتضمن جزءا كبيرا من الرد على رسالتك .

لقد تحدثت بشكل علني ومنصف في خطابك عن ان الغيوم بدأت تكسو علاقاتنا وذكرت الأسباب التي أدت إلى تفاقم العلاقات على هذا النحو . أرى أنه من واجبي قبل الحديث عن وجهة نظري إزاء تلك الأسباب، أنه لابد من الإشارة إلى أنه لا يوجد من يأسف على ذلك الحال الذي آلت إليه علاقاتنا أكثر مني . لقد كنتُ أشعر بالفخر والاعتزاز، وما زلت كذلك، بتلك الصداقة التي تربط بين شعبينا، خاصة وأننا استطعنا من خلال هذه الصداقة التغلب على بعض الصعوبات التي وقفت في طريق النهضة التاريخية لإقليم الشرق الأوسط نحو

---

(٥٧) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية، مخزن رقم ٨٩، قائمة رقم ٢٢، حافظة رقم ٤٩، ملف رقم ١٢، السطور : من ٦٥-١٠٣ . ملحوظة : مكتوب في أعلى الرسالة " تسلم خروتشوف الرسالة علي يد السفير محمد الكوني – سفير الجمهورية العربية المتحدة لدى موسكو – في ٢٢ مايو ١٩٥٩ . مترجم من اللغة العربية ".

الاستقلال الوطني، وهي صعوبات كان من الممكن وأن تتحول إلى خطر كبير يهدد سلام العالم أجمع .

كما أنني ما زلت أشعر بالاعتزاز لأننا استطعنا من خلال علاقاتنا معكم إنشاء نموذج يحتذي به أمام الكثير من الدول الصغرى بقارتي أفريقيا وآسيا، نموذج لعلاقات دولية بين دولتين مختلفتين من حيث الوزن والبناء الاجتماعي، وبالرغم من ذلك فقد وجدت هاتين الدولتين التربة الجيدة للتعاون على أساس المساواة الكاملة .

نشعر أن ذلك التعاون القائم بين بلدينا على أساس المساواة قد اتخذ أبعادا معينة لينطلق منها خارج حدودنا وأصبح نموذجاً لكثير من الشعوب التي تمر بنفس تلك المراحل في نهضتها . أعتقد، سيادة رئيس الوزراء، أنه بمقدورك أن تجد في إطار تطوير علاقاتكم بعدد من الدول الإفريقية والآسيوية الكثير من النماذج ذات التأثير الإيجابي مثل النموذج الحي الذي أنشأناه سويا من خلال علاقاتنا الثنائية معكم .

لا نرغب من جانبنا في القضاء بسهولة على تلك الانجازات التي حققناها في مجال العلاقات الدولية تحقيقاً لمبادئ باندونج.

بالإضافة إلى ذلك، تعلم سيادة رئيس الوزراء، أنه إذا ما تم تحديد قوة الدول الكبرى في إنجازاتهم في مجال السلاح النووي والصواريخ العابرة للقارات، فإن قوة الدول الصغرى في صراعها الدولي تتحدد من خلال إسهاماتهم في تطوير وتنمية علاقات الصداقة الدولية . لقد كانت صداقتنا معكم عاملا كبيرا لإسهامنا في العلاقات الدولية لدرجة أنه من الصعب على أي شخص أن يتصور أننا نقوم بأنفسنا بالقضاء على هذا الإسهام . الأمر سيتضح أكثر إذا ما ألقينا الضوء على الموقف الذي تعلمه أكثر مني بشأن موقف الإمبريالية إزاء القومية العربية، تلك الإمبريالية التي تنتظر اللحظة المناسبة لكي تستعيد ما سبق وأن فقدته نتيجة لانتصارات الشعوب في المنطقة، تلك المنطقة التي ظلوا

ينظرون إليها على مدى قرون طويلة على أنها منطقة نفوذهم وأرادوا العودة إليها مرة أخرى لاستعادة نفوذهم وتعزيز أوضاعهم.

إذا لم يكن الخطر الناجم عن الإمبريالية يترصد بنا، لأجبرنا حرصنا على الصداقة معكم لبذل قصارى جهدنا للحفاظ على هذه الصداقة.

تعلم جيدًا، عزيزي رئيس الوزراء، أن صداقتنا قد فتحت لنا الباب أمام التعاون البناء والوثيق، وهذه الصداقة لا تُعد شيئاً قابل للمساومة فهي ليست بصفقة تجارية يمكن استخدامها لمعارضة التكتلات والتحالفات الدولية المتنافسة.

فقد كانت هذه هي المبادئ التي نؤمن بها، وكانت دافعا في يوم ما لمهاجمتنا، ومهدت لكم الطريق لفهمنا بشكل صحيح، وذلك على الرغم من إنكم في بداية انطلاق ثورتنا الوطنية ١٩٥٢، كنتم تحت تأثير المعلومات الموجهة عن الثورة والتي كان ينشرها المجموعات السوفيتية في دولتنا .كما يمكنكم أن تجدوا في صحافتكم وقنواتكم الإذاعية، في الأيام الأولى لثورتنا، تلك الإشارات والإيحاءات التي تشير إلى الزعم بأن حركتنا تحمل طابعاً فاشياً على الرغم من أننا، كما تتذكر، كنا نقود حرباً ضارية وشرسة ضد الإمبريالية البريطانية. غير أن هذا الموقف في بداية ثورتنا لم يذبذب إيماننا بمبادئنا ولم يغير من امتناننا لكم عندما اقتنعتم، من منطق الأحداث، بالتصور الخاطئ عن ثورتنا المنقول إليكم. فنحن، معالي رئيس الوزراء، أدرنا معركة ضد التحالفات العسكرية الإمبريالية، ومما لا شك فيه أن تلك التحالفات والتكتلات كانت موجهة ضد دولتكم وشعبكم، وكانت تهدف لتطويق دولتكم بالقواعد العسكرية والجوية المخصصة للمقاتلات الذرية. وقد رفضنا، معالي رئيس الوزراء، من خلال التمسك بمبادئنا ان نكون إحدى الحلقات في سلسلة حصار بلادكم والأهم من ذلك، أنه من المفترض وأن تتذكر سيدي أن معركتنا ضد التكتلات الامبريالية والأفكار العدائية التي كانت موجهة ضد بلادكم لم تقتصر فقط على حدود دولتنا، بل إننا كنا نقود تلك المعركة لنصرة مبادئنا في كل أنحاء العالم، الذي يرتبط

تاريخه ومصيره بتاريخنا ومصيرنا نحن أيضا.

وفي هذا الوقت وفي ظل هذه الظروف انهالت علينا، سيادة رئيس الوزراء، اتهامات لا حصر لها من جانب الأوساط الإمبريالية والصهيونية وهي معروفة لديك جيداً. اتهمونا بأننا لا نعرف مصالحنا الشخصية، ويتعين علينا، وفقاً لمنطق الإمبريالية، أن نحول أراضي بلادنا إلى قواعد عسكرية وجوية ذرية. واتهمونا كذلك بأننا نعمل على نسف وتقويض وحدة العرب، حيث تتمثل الوحدة وفقا لمنطقهم في أن نسير مع هؤلاء الذين أسسوا حلف بغداد الإمبريالي أو بمعنى أكثر دقة أن نتغاضي عنه.

ويجيء من ضمن الاتهامات التي وجهت إلينا، أننا نتدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى وأن عدم تدخلنا يعني، وفقا لمنطقهم، موافقتنا على انضمام الدول العربية إلى حلف بغداد وتوريط الشعوب العربية في «الحرب الباردة» لكي تستطيع الإمبريالية فيما بعد توريطهم في مغامرة الحرب الساخنة، التي كان من الممكن أن يزداد خطرها إذا نجح حلف بغداد في تحقيق أهدافه. غير أن عزيمتنا في عدم المشاركة في هذا الحلف هي التي ساعدتنا في البقاء على موقفنا إزاء تلك المعركة وهو موقف لا هوادة فيه، موقف معادي للتحالفات الامبريالية العدائية وباقي التحالفات الأخرى التي ظهرت قبل مؤتمر باندونج.

أسهم إيماننا بالقومية العربية في نجاحنا في تصدير معركتنا ضد الإمبريالية خارج حدود بلادنا للدفاع عن الأمة العربية. كما تعلم، سيادة رئيس الوزراء، فإن دستورنا ينص على أن شعبنا يُعد جزءاً من الأمة العربية، وكان ذلك منصوصاً عليه في دستور سوريا قبل إعلان الوحدة معنا، وكان منصوصاً عليه كذلك في دستور العراق بعد الثورة الوطنية ١٤ يوليو ١٩٥٨. وعليك أن تتذكر جيداً أن تلك المواجهة المفروضة علينا لمحاربة كل تلك القوى يهدف إلى إضعاف إيماننا بمبادئنا. فها هي قوات الاحتلال البريطاني، التي ظل شعبنا يقاومها على مدار عشرات السنين دون الشعور بالملل، سعوا إلى عزل جزء من أراضينا. ولكننا أشهرنا السلاح في وجههم لكي نحول

فكرة عودة قوات الاحتلال إلى أراضينا إلى جهنم وبئس المصير. لقد حاول الانجليز أثناء جلوسهم معنا على مائدة المفاوضات، بكل الطرق وأساليب المكر والخداع بتر أيدينا اليسرى باعتبارهم منحونا اليد اليمنى، غير أن كل ألاعيبهم كانت مفضوحة، واضطروا في خريف ١٩٥٤ التوقيع على اتفاق الجلاء[٥٨]، وعندما رفضنا تلك التحالفات العسكرية الإمبريالية، بدأت محاولات إذلالنا من خلال احتكار السلاح ومنع بيعه لنا، وتحريض إسرائيل على مهاجمتنا كما حدث أيام الهجوم على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥. وبعد ذلك بدأ فرض العقوبات الاقتصادية علينا تمهيداً للوصول إلى فرض الحصار الاقتصادي الكامل. ثم بدأت حملة إعلامية شرسة تسيء لأهداف ثورتنا. وبلغت تلك الحملة ذروتها في الشهور الأولى من عام ١٩٥٥ عندما بدأنا أولى معاركنا للقضاء على حلف بغداد.

تتذكر، معالي رئيس الوزراء، أنه في تلك الفترة لم تكن العلاقات بين بلدينا قد توطدت ولا حتى التعاون. وبالنسبة لنا فقد انطلقنا من مبادئنا التي نؤمن بها واعتبرنا ان واجبنا الوطني هو الدفاع عن تلك المبادئ بكل قوتنا وبشكل حازم دون أن نبخل بالضحايا في سبيل ذلك. ولكن للأسف الشديد فإن هذه المبادئ لم تحظ بذلك التفاهم، الذي كانت تحظى به من قبل، والتي كنتم ترونها من الأولويات في وقت ما والآن باتت من وجهة نظركم تمثل عيبًا كبيرًا.

إذا ما كان صبرنا، عزيمتنا، ومثابرتنا واستعدادنا لتقديم الضحايا اقل عما كان عليه في الواقع، لكان من الصعب علينا، سيادة رئيس الوزراء، مقاومة الإمبريالية والتصدي لها كما نفعل الآن، فقد رفضنا عمل صفقات معهم حول استقلالنا، رفضنا خططهم العدوانية، أفشلنا مخططاتهم عن بلادنا، تحملنا الظروف الاقتصادية الصعبة واحتملنا حرب الأعصاب، تغلبنا على المصاعب الناجمة عن احتكار السلاح. ولولا تلك العزيمة والمثابرة لما استطعنا، معالي رئيس الوزراء، أن نجرؤ على مد أيدينا لكم بطلب تزويدنا

---

(٥٨) من المرجح أنه يكون قد تم وضع هذا السطر أثناء القراءة.

بالسـلاح . وقد وافقتم على مطلبنا ونشكركم على ذلك، وافقتم على بيع السـلاح لنـا ، لأنه لم يصبـح لديكم أدني شـك في أن ثورتنـا الوطنية تضرب بجذور عميقة في أرض آبائنا .

وهكـذا، سـيادة رئيس الـوزراء، فقد أكـدت التجربة العمليـة والأحداث لكـم أهمية تغيير وجهة نظركم وتعاملكم مع ثورتنا الوطنية، وعليكم أن تفهموها الآن بشـكل صحيح وليس بشـكل مغلوط قامت بنشره بعض المجموعات التي حملت راية الشـيوعية وفشـلت في محاولاتها لاستغلال الثورة الوطنية في مصر لتحقيق أغراضها ومطامعها .

وهكذا فقد أخذت نتائج هذا التفاهم تؤثر بشكل إيجابي على العلاقات المتبادلـة فيما بيننـا ، ودخلت العلاقـات في مرحلة جديدة مـن تاريخ تطويرها وباتت تتأسس على مبادئ التعايش السلمي .

تعلـم، سـيادة رئيس الوزراء، القـوى الإمبريالية قد أُصيبـت بقلق بالغ وهي ترى تلـك النهضة الضخمة لنمـوذج العلاقات الـذي كان يربطنا بكم على الصعيـد الدولـي وقد حاولت تلك القوى نسـف تلـك العلاقات بشـتى الطرق . وأذكر على سـبيل المثـال، إن القـوى الإمبريالية أخذت تكيل لنـا الاتهامات بأننـا أصبحنا مجـالاً لنفوذهم أوإحدى مسـتعمراتهم . واخذوا بعـد ذلك يبثون بذور الشـك لدينـا في علاقاتنا معكم ويصـورون لنا الأمر علـى إنهم يمدون لنا يد العون والمسـاعدة بهدف واحد يتمثل في تحويلنا إلى دُمية لهم في الحرب الباردة .

والأكثـر مـن ذلـك أن تلك القـوى الإمبرياليـة حاولـت غوايتنـا وتضليلنا لحيادنـا عن طريـق التعاون معكـم . وكما تعلمون في هـذا التوقيت على وجه التحديد، كانوا يقترحون علينا تمويل مشروع بناء السد العالي، غير أن محاولاتهم الرامية للتشكيك في علاقاتنا بكم قد باءت بالفشل .

ومهما كانت تلك المغريات التي قدموها لنا، فلم تفلح في إجبارنا على التضحية بمبادئنا ومعتقداتنا. وبمجرد أن شاب القلق علاقتنا بالقوى الامبريالية، بدأوا استخدام العقوبات ضدنا نتيجة لثباتنا وصلابة موقفنا وعزيمتنا القوية: فقد تخلت الإمبريالية عن وعدها بمساعدتنا في تمويل مشروع بناء السد العالي. وكما تعلم، سيادة رئيس الوزراء، أن وسيلة رفضهم لتمويل مشروع السد كان يهدف وبدون أدنى شك إلى ممارسة الضغط على وضعنا الداخلي في الدولة المصرية في ذلك الوقت. وأصبحنا، سيادة رئيس الوزراء، أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن نستسلم لكل صور الضغط الذي يُمارس علينا وهذا يعني أن نفقد كل ما حققناه وكتابة شهادة الوفاة لمبادئ الثورة الوطنية بمصر، التي تُعد الركيزة الصلبة للقومية العربية، وعندئذ ستتحول كل تلك المنطقة لتصبح منطقة خاضعة لنفوذ الإمبريالية كما كان في العهد البائد وستصبح تلك المنطقة كذلك أهم قاعدة عسكرية للتحالفات الإمبريالية العدائية. والخيار الثاني: يجب علينا أن نصمد ونستجمع كل قوتنا وأن نضحي بأنفسنا وإظهار العزيمة القوية لأجل إفشال مخطط وأهداف الإمبريالية.

عادت قناة السويس لأحضان الشعب المصري، الذي بناها بكده وعرقه لتعود بالخير عليه وبدا هذا التصرف (تأميم القناة - المترجمة) ضربة قاسمة ليس فقط في وجه قوى الإمبريالية، بل وكذلك في وجه كل القوى المتحركة وعلى رأسهم المحتكرون الذين توارثوا هذا الفكر من المئوية التاسعة عشرة.

وقد أجرينا هذه الخطوة بمفردنا، كما تتذكر سيادة رئيس الوزراء، حتى إننا لم نتشاور معكم في هذا الأمر، لكن لا نلقي عليكم مسئولية تداعيات تلك الخطوة التي سنواجه عواقبها بأنفسنا. لقد أدركنا منذ البداية أن المعركة ستكون حامية الوطيس، ولكنها كانت بالنسبة لنا معركة دفاعية حتمية، لأننا لا نريد السير في طريق الاستسلام والخنوع الذي فرضته علينا الإمبريالية. أعربنا لكم عن بالغ شكرنا ووافر احترامنا عندما

أعلنتم تأييدكم لموقفنا بعد ٣٦ ساعة من إعلان خبر تأميم قناة السويس. وقبل إعلانكم لموقفكم كنا نعلم جيداً أنكم معكم كل الحق في دراسة هذه الخطوة الهامة للأحداث والتي بدت مفاجأة لكم، وأدركنا أنكم ستقيمون النتائج قبل تحديد موقفكم.

وبعد إعلان قرار تأميم قناة السويس حاولنا بكل طاقتنا ان نوضح للرأي العام العالمي موقفنا وإفشال العديد من المخططات العدائية التي وضعتها القوى الإمبريالية. توجهنا إلى منظمة الأمم المتحدة لتجنب الاشتباك المسلح الذي من الممكن أن يهدد سلام العالم أجمع.

لا يمكننا، سيادة رئيس الوزراء، أن نسرد كل هذه الأحداث دون أن نعطيكم قدر حقكم وباقي الدول الصديقة وعلى رأسها جمهورية الهند، الذين بذلوا قصارى جهدهم للوصول إلى حل سلمي لهذه القضية، وذلك في الوقت الذي كان تدوي فيه قعقعة السلاح في كل أرجاء العالم. حيث لم تجد الإمبريالية، التي فقدت قاعدتها في بلادنا وفقدت نفوذها في المنقطة المحيطة بنا وفقدت نتيجة لكل هذه الهزائم منطق الحقيقة والعدالة، لم تجد أية وسائل أخرى سوى السلاح. أرجو أن تقبل اعتذاري، سيادة رئيس الوزراء، لأنني أكرر كل هذا الآن، ولكني أرى أن هذا أمراً ضرورياً في المرحلة الحالية من علاقاتنا، إذا ما أردنا إزالة تلك الغمة التي بدأت تعكر صفو تلك العلاقات. لم يتم حتى الآن طرح كافة الموضوعات بوضوح كامل، لا يمكننا أن نغفل سوء التفاهم الذي حدث بسبب الفهم الخاطئ أو عدم دقة عملية الترجمة كما يبدو لي. لا أخفيك سرًا أنني عندما انتهيتُ من قراءتي لخطابك الذي أرسلته بتاريخ ١٢ أبريل، كنتُ مذهولا من بعض الفقرات التي تضمنها الخطاب، لأنها شكلت لدى انطباع وكأنني أقرأ مقالا في إحدى الصحف الغربية التي لا تنقل الحقائق كما هي في الواقع.

والتفسير الوحيد الذي أستطيع أن أضعه لتحليل هذا الموقف هو أنه بسبب أخطاء غير مسموح بها في فهم الموضوع أو في عملية الترجمة. تتذكر، سيادة

رئيس الوزراء، إنك قلت لي في إحدى لقاءاتنا في مايو ١٩٥٨، أن أخطاء الترجمة تُعد أحد الأسباب المهمة في وقوع سوء الخلاف بينك والمشير يوسف بروز تيتو - رئيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية - الشعبية ليوغسلافيا . فمن الواضح إذن أن هذا السبب، الترجمة غير الدقيقة، قد أدى إلى ذلك التأثير السلبي على أزمة العلاقات فينا بيننا .

ومن هنا أريد أن أنتهز الفرصة لكي أقدم لك في تلك اللحظة الحاسمة تقريراً واضحاً عن وجهة نظري كما أتصورها وأسجلها تحريرا على الورق، دون الاستناد لا إليك ولا إلى ذاكرتي ولا إلى قدرة المترجم على نجاحه أو فشله في نقل العبارات المهمة .

سيادة رئيس الوزراء!

تتذكر كيف بدأ العدوان فجأة، في الوقت الذي كنا نعتقد فيه أن ذروة الأزمة قد انتهت بسلام، وأكدت الأنباء التي تلقيناها منكم في ذلك الوقت على صحة رأينا، وأن المباحثات، التي تقرر مواصلتها في جنيف وكان من المزمع عقدها في ٢٩ أكتوبر برعاية منظمة الأمم المتحدة، قد استبعدت إمكانية التدخل المسلح في هذه المشكلة .

غير أن العدوان، كما تتذكر معاليك، قد وقع في ذلك الوقت الذي كنا نستعد فيه للمباحثات في جنيف . ثم تعرضنا بعد ذلك للعدوان الخسيس، والذي لا أستطيع أن أجد وصفاً دقيقاً له أفضل مما ذكرت أنت في خطاباتك وتصريحاتك وأحاديثك العديدة والأخبار التي وصلت إلينا أثناء الأزمة المتوترة، ذلك الوصف الذي شكل انطباع جيد لدى الشعب المصري والشعوب العربية ولدى أنا شخصياً كمواطن عربي بالشكل الذي يجعلني عاجزاً عن إعطاء ذلك الوصف حقه كما يستحق. اسمح لي، سيادة رئيس الوزراء، أن أوضح هنا نقطة مهمة كانت وراء الجدال، الذي وقع بيننا، فقد قلتُ في كلمتي التي ألقيتها في دمشق أننا وقفنا لمواجهة العدوان الثلاثي بمفردنا في ساحة المعركة دون انتظار أية مساعدة من أي طرف .

ولكني شعرتُ أن هذا التعبير من خلال خطابك وأحاديثك قد ترك انطباعاً غير مستحب. أريد القول بأنه بالنسبة لي وأعضاء حكومتي لا يمكن وأن يخطر على بالنا التقليل من أهمية ذلك الإنذار الذي أطلقه رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت. غير أن هذا لا يعني أن الحقيقة التي لخصتها في خطابي لم تكن صحيحة.

لقد كنا بمفردنا بالفعل في ساحة المعركة.

حارب جنودنا بمفردهم في شبه جزيرة سيناء.

حارب جيشنا والشعب في شوارع بورسعيد بمفردهم.

كنا نعتمد فقط على مساعدة اللّه لنا.

أعتقد أنك تتذكر، سيادة رئيس الوزراء، أن وقت شن العدوان الثلاثي على مصر تزامن مع زيارة الرئيس السوري شكري القوتلي للاتحاد السوفيتي وانطلاقاً من بواعث التضامن العربي والأخوة الخالصة، فقد رأى أنه من الضروري أن يناقش مع قيادة حكومتكم مسألة نوعية تلك المساعدة التي تستطيعون تقديمها لنا.

كما تعلم، سيادة رئيس الوزراء، فقد بدأ العدوان الثلاثي على مصر يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر١٩٥٦ وبدأت زيارة الرئيس شكري القوتلي في ٣٠ أكتوبر. وقد أُتيحت لي الفرصة لمناقشة هذا الموضوع مع السيد نيكولاي بولجانين – رئيس الوزراء السوفيتي – بحضور عدد من قيادات وشخصيات عسكرية سوفيتية رفيعة المستوى. وبعد ذلك تلقيتُ خطابا من الرئيس شكري القوتلي حدد فيه موقفكم من العدوان، بعد لقائه مع قيادات الاتحاد السوفيتي. وملخص ما جاء في هذا الخطاب يتمثل في:

الاتحاد السوفيتي ليس على استعداد للتورط في حرب عالمية.

بناء على ذلك، لا يستطيع الاتحاد السوفيتي التدخل بقواته المسلحة أو بإرسال المتطوعين.

وأقصى ما يمكن أن يقوم به لمساعدتنا هو إرسال بعض الأسلحة لنا ومعها بعض الخبراء.

أؤكد لك، سيادة رئيس الوزراء، أنني قدّرتُ ما جاء في هذا الخطاب ولم يطرأ على بالي مطلقا حثكم على فعل ما هو اكبر من ذلك في ظل الظروف المعتمة التي تمر بها البلاد. وكل ما فعلته، واسمح لي أن أصارحك بهذا السر، أنني قمتُ بسحب هذا الخطاب من الملف الذي جاء فيه ووضعته في جيبي لأنني لم أكن ارغب في أن يطلع عليه أي شخص آخر، إذ من الممكن أن يضطرب فكره بعد قراءته لهذا الخطاب.

وظللت محتفظا بهذا الخطاب في جيبي إلى أن انتهت الحرب، بعد ذلك قررتُ أن أعيده للملف باعتباره أحد وثائق الدولة و دليل تاريخي.

أرى أن هذه الوثيقة تُعد شرفا كبيرا لنا، لأنها دليل قاطع على أننا كنا نحارب وحدنا في ساحة المعركة وأدركنا أننا سنظل وحدنا.

تدرك، سيادة رئيس الوزراء، أن التحذير السوفيتي، الذي لا يستطيع أحد أن ينكر أهميته، قد أصدرته موسكو وكان مفاجأة بالنسبة لنا بعد تسعة أيام من شن العدوان علينا. وظللنا طيلة هذه الأيام نحارب بمفردنا في ساحة المعركة وكان من الممكن أن نفقد عزيمتنا طوال تلك الفترة أو أن يتملك اليأس من نفوسنا وكان من الممكن كذلك أن نخضع أو نستسلم للدول الثلاثة المعتدية، التي هاجمتنا بغتة بعد يومين أو ثلاثة أو أسبوع من العدوان وأخيرا جاء صباح ذلك اليوم الذي أعلنت فيه موسكو إنذارها. ولكن ترى ما هو النجاح الذي كان من المتوقع وأن يحققه ذلك الإنذار، سيادة رئيس الوزراء، إذا ما كان كل شيء قد انتهى قبل تلك لحظة إعلانه. وبالتالي فإن المسألة ليست في أن الشعب المصري ظل يحارب بمفرده في ساحة القتال, وكان يعلم أنه سيظل يحارب بمفرده، وإنما المسألة في ذلك الإنذار الذي جاء بعد تسعة أيام من شن العدوان، الأمر هنا يرتبط بعزيمة هذا الشعب المستعد للتضحية.

وعلى أية حال فقد كنا سعداء بهذا الإنذار السوفيتي ومدى تأثيره على مجريات الأحداث، ولن نتوقف عن الحديث عنه بكل مشاعر الشكر والامتنان والعرفان بالجميل .

وكانت سعادتنا بتأثير هذا الإنذارهي احد أسباب تعرضنا لحملة شرسة وعنيفة بعد العدوان تم من خلالها توجيه الاتهامات ضدنا بأننا أغفلنا موقف الأمم المتحدة ودور الضمير العالمي في وقف هذا العدوان .

أما فيما يتعلق بتلك التصريحات المتعلقة بالعدوان والتي أثارت رد فعل غير مستحسن لديكم، فإن سبب ظهور مثل تلك التصريحات يتلخص في أن الكثير من المحطات الإذاعية التي تتحدث باسمكم وبعض الصحف الصادرة لديكم قد بدأت أثناء تصاعد الخلاف بيننا والحزب الشيوعي السوري الحديث عن مآثر وأفضال ذلك الإنذار وتصوير الوضع وكأن الشعب المصري لم يحارب والشعب السوري لم يتحرك والشعوب العربية في حالة من اللامبالاة وكأنهم ظلوا صامتين بدون حراك في انتظار ذلك الإنذار لكي ينقذهم .

أرى أنه من واجبي وضع الأمور في نصابها الصحيح والإشارة إلى الدور الحقيقي لشعبنا بالإضافة إلى جيشنا الذي كان يحارب بمفرده في ساحة القتال . لا أرى أنه من الممكن إخفاء تلك الحقيقة أو التقليل من أهميته أو تجاهل دوره.

أما فيما يتعلق بالحديث عن دور الله (عز وجل) في هذه المعركة، وذلك الموضوع الذي جاء في خطابك، وقد تكرر من قبل في عدد من محطاتكم الإذاعية حول مساندة الله لنا ، وما قام به الاتحاد السوفيتي، فإنني أقول إننا لا نفرق بين دعم ومساندة الله لنا ، والدور الذي لعبناه نحن؛ لأننا نؤمن بأن روح الله في قلوبنا هي التي كانت تقوى إرادتنا وعزيمتنا ، وهذه ليست محاولة للترويج للدين، وإنما هي محاولة لإبراز وتوضيح أن المعايير المادية تبدو في حالات كثيرة غير كافية لتقييم الأحداث .

إذا مـا اسـتخدمنا تلـك المعايـير المادية بمفردها أثنـاء ذلك العـدوان، لكنا استسلمنا بدون أية مقاومة؛ لأن الدول العظمى والدولة الثالثة معهم تُعد دُمية في أيديهـم، قد هاجمونـا من كل الجهـات، أغلقوا منافذنـا البحرية من خلال أسـطولهم، وسيطر سلاح طيرانهم على المجال الجوي لدينا، وقد تأكد ذلك من خـلال المعلومات المتوفرة لديكم آنذاك وما جـاء في محطاتكم الإذاعية حول مشاركة أكثر من ١٥٠٠ طائرة من طائرات العدو في العمليات الجوية ضدنا .

واجهنـا كل ذلـك بمفردنـا، سـيادة رئيـس الـوزراء، حتى من وجهـة النظر الجغرافيـة، وكـان هنـاك العديـد من الأحاديـث التي تدور حـول رغبتكم في تحريك جيشـكم لمساعدتنا، ولكن كيف يصل إلينا هذا الجيش في الوقت الذي يفصلنا فيه بحر ودولة بعيدة عن هذا الخلاف .

اسمح لـي أن أكرر مرة أننـا قدرنا موقفكم واسـتوعبنا حيثياتكم، ولم نفكـر مطلقـاً في أن نطلب، أو نتوقع منكم الدخـول في حرب عالمية لأجلنا .
و نحن ندرك أنكم تقدرون الموقف بشـكل صحيح، إذ أنه ليس من المنطق أن يدفعكـم وضعنا آنـذاك للدخول في حرب عالمية ثالثـة؛ لأن ظروف دولتكم تملي عليكم اعتبارات خاصة، لاشـك أن معاييركم تستند إلى أساس ولابد وأن يكـون أصدقاؤكـم هم أو لمن يـدرك ويقدر ذلك و نحـن اعتبرنا ومازلنا نعتبر أنفسـنا أصدقاءكم،سـيادة رئيس الوزراء، ولهذا فقد حاولنا ان نكون أول من يدرك ويقدر موقفكم .

وبعـد انتهـاء العـدوان، سـرعان مـا أصبحنا عرضة لمحـاولات أخـرى، تهدف لتحقيـق نفس تلك الأهـداف العدوانية، غير أن الوسـائل المسـتخدمة هذه المرة كانـت أكثر هدوءا وأقل إزعاجا وظل هـدف الإمبريالية كما هو - كتابة شهادة الوفاة لدولتنا - التي تُعد الركيزة الأساسية لحركة القومية العربية.

فالفرق بين المحاولات الجديدة والسـابقة هو نفس الفرق بين محاولة اغتيال شخص بالرصاص ومحاولة قتله متضررًا من الجوع، فمحاولة قتله بالرصاص من

الممكـــن أن تكـــون أكثر جلبة وإثارة للضوضاء . أمـا محاولة قتله من الجوع فهي أكثر عنفًا وقسوة، وبدأت في ذلك الوقت محاولات، كما تتذكر، لعزلنا عــن باقي الدول العربية المجاورة لنا . تم فرض حصار اقتصادي علينا ، اشـتعلت حالة من الريبة والشك بيننا وأشقائنا ، تم نشر الشائعات المغرضة ضدنا .

ومن أكثر تلك الشـائعات المغرضة، تكرار القول بأننا نتدخل في الشـئون الداخليـة لدول الجوار المحيطة بنـا . قالوا كذلك أننا نتدخل في شـئون لبنان، الأردن ووصـل الأمرإلى حـد توجيه الاتهام لكـم ولنا بتدبير مؤامـرة تهدف إلى فرض الهيمنة والسـيطرة على الأردن وهو ما تم اسـتغلاله على أنه حجة لعمل انقلاب معادي للقومية في الأردن .

قيل كذلك إننا نتدخل في شـئون المملكة العربية السـعودية، السودان، ليبيا وتونس. المثير للدهشـة، عزيـزي رئيس الوزراء، انـك واصلت في خطابك، الـذي يعـود لتاريـخ ١٢ ابريل، باقي تلك السلسـلة مـن الاتهامـات بتدخلنا في شـئون الاتحاد السـوفيتي، ولكن كم يبلغ طول ذلك الطريق لتدخلنا المزعوم في شـئون الآخريـن بداية من محاولاتنا بـالأردن وانتهاء بأن نتجـرأ على اللجوء لاسـتخدام هذا الطريق في علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتي !!! وعلى أية حال فإن تعاملكم مع تلك الاتهامات التي التصقت بنا في الماضي يختلف عن تعاملكم الآن . فقد كنتم تعلمون إذن ما هو الدور الذي تلعبه الإمبرياليـة ومخططاتهم ؛ وكانت برامجكم الإذاعية وصحافتكم وتصريحاتكم الشـخصية واحدة من أهم العوامل الرئيسـية في مسـألة كشـف تلك المؤامرة التي تهدف إلى عزل مصر عن العالم العربي، أي كشـف تلك المؤامرة التي كانت تتوارى تحت ستار مذهب إيزنهاور .

واصلتـم آنذاك التعاون الايجابي معنا بهدف إبعاد خطر تلك المحاولة الرامية لتحقيـق الأهداف العدائية بشـتى الطـرق العدوانية . لقد وافقتـم على طلبنا بشـأن اسـتقبال بعثتنا التي وصلت إليكم وعلى رأسـها المشير عبد الحكيم عامـر – القائـد الأعلـى للقـوات المسـلحة ونائـب رئيـس الجمهوريـة، لطلـب

مشاركتكم في تمويل مشروعاتنا الصناعية التي نرى ان تنفيذها في غاية الأهمية لكي نستطيع الصمود أمام ذلك الحصار الاقتصادي ومقاومة حرب الجوع التي شنوها علينا .

وبفضل روح التعاون التي وجدتها بعثتنا في عاصمتكم وبفضل الجهود التي بذلتموها ، فقد استطعنا التوصل إلى إبرام اتفاق للتعاون الاقتصادي في ١٨ نوفمبر ١٩٥٧ . وقدمتم لنا وفقا لهذا الاتفاق مبلغ بنحو ٦٢ مليون جنيه مصري في صورة قرض طويل الأجل مخصص لتنفيذ خطط التنمية الاقتصادية لبلادنا . أعتقد أنه من الضروري أن أذكرك هنا أنه و نحن نناقش ذلك بمنتهى الصراحة، في محاولة لإزالة تلك الغمة التي عكرت صفو علاقاتنا ، بأن البعثة المصرية في موسكو قد تعرضت لشئ ما لفت انتباهها . فقد جرت مباحثات بين السيد زايتسيف – رئيس قسم الشرق الأدنى بوزارة خارجية الاتحاد السوفيتي آنذاك وهو الآن يشغل منصب السفير السوفيتي بالعراق، وثلاثة من أعضاء الوفد المصري وهم : العقيد حافظ إسماعيل– مساعد رئيس أركان حرب الجيش، العقيد عبد العزيز مصطفى – قائد قوات المدرعات، العقيد جمال عفيفي – رئيس وحدة عمليات القوات الجوية . حيث استمع الثلاثة أثناء المباحثات التي جرت في الكرملين إلى النقاط الآتية التي جاءت على لسان زايتسيف :ـ « إن مسألة حياد الدولة هذا هو مجرد – قصة، ويتعين على مصر وأن تختار معسكرًا دوليًا لكي تنضم إليه، فمصر لن تجد القوى الحقيقية إلى أن تنضم إلى معسكر قوي» «لماذا تخافون من الشيوعية؟ اعتنقوا هذا المذهب و نحن سنجعلكم أقوياء وندافع عنكم . الحياد – ما هو إلا لعب على الحبل، ولا يمكن أن يستمر طويلا».

عندما تم ترجمة هذا الحديث للمشير عبد الحكيم عامر، رئيس البعثة المصرية، قرر ألا يعلن ذلك خشية أن يتشكل انطباع سيؤثر سلبا على علاقاتنا . وقد آثر كما آثرت أنا أيضا عندما علمت بذلك الأمر ألا نصنع أزمة تعكر صفو علاقاتنا . وعلى أية حال، فإن التعاون الذي بدأ أثناء المباحثات حول

الاتفــاق الاقتصادي، ونتائج تلك المباحثات قد أكدت لنا أن الســيد زايتســيف كان يعبر عن رأيه الشخصي. ولكن لسوء الحظ، فإن بعض الأحداث الأخيرة والجهود التي بذلها السيد زايتسيف بوصفه سفيراً للاتحاد السوفيتي بالعراق قد زرعت بداخلنا فكرة أن الأمر خرج عن إطار كونه مجرد رأي شخصي لسعادة السفير. وبالرغم من ذلك، فقد تم وضع البرنامج الاقتصادي وبدأت الآمال تنعقد عليه . ومناقشة هذا البرنامج في المجلس التشـريعي لمصر قـد أعطانا الفرصة لكي نعرب عن عميق شكرنا مرة ثانية للاتحاد السوفيتي .

لابـد وأن أجيــب هنا، ســيادة رئيس الـوزراء، على ملحوظتك الـتي تضمنتها رسالتك بشأن المساعدة الاقتصادية التي لا تفرضوها على من لا يرغبها .

أريد أن أؤكد لك، سـيادة رئيس الوزراء، أننا نحن من سعينا للحصول على هذه المســاعدة الاقتصادية مـن جانبكم وقد طلبناها بشـكل جريء ونزيه. وأؤكد لك كذلك أننا نعتمد على هذه المسـاعدة ولا نراها تمثل قيد او عبء يكبـل حريتنا، ونقول لكم ذلك بكل جـرأة ونزاهة، والدليل على ذلك أن تلك المساعدة لا تعوقنا عن أن نعرب لكم بتلك الجرأة عن رأينا في موقفكم تجاهنا كما فهمناه .

سـيظل موقفنا كما هو بدون أيـة ادعاءات ولا تهاون، يبـدو لنا أنه عندما تتعرفون على تاريخنا، ستوافقوننا على هذا الرأي .

وأخيرا، فقد أسـهم عملنا المشترك في تفعيل اتفاق التعاون الاقتصادي الذي بات في مرحلة التنفيذ . ونسـعي من خلال هـذا الاتفاق لكي نظهره أمام الرأي العــام العالمي علــى أنه نموذج حي لتجسـيد مبـادئ مؤتمر باندونـج التي نادت بالتعـاون الدولـي غير المشـروط في مجـال التنميـة الاقتصاديـة . لقد تحدثت المقــالات والتعليقــات الصحفيــة والبرامــج الإذاعيــة لجمهورية مصــر العربية بكل فخر آنذاك عنكم وعن تعاونكم البناء المخلص على أسـاس التعايش السلمي مع الدول التي تختلف معكم من حيث بنية نظامها الاجتماعي .

لقد حاولنا، بل و نجحنا في أن نمحو من ذاكرتنا بالكامل ذلك الانطباع التي شكلته لدينا كلمات السيد زايتسيف. ولكن لسوء الحظ، فقد قضت الأحداث بتذكيرنا بذلك الانطباع من جديد، لأن ما حدث في موسكو، قد بدأ يتكرر بنفس السيناريو الذي حدث في دمشق، عندما بدأت مسألة الوحدة الدستورية بين مصر وسوريا تتخذ طابعا عملياً في مطلع عام ١٩٥٨.

لقد كنا على حق إذن في أن نسألكم عن موقفكم إزاء تلك الخطوة التي تعني تحقيق الحلم العربي الخالد بعد صراع طويل دام لمئات السنين.

لقد كنا على حق، سيادة رئيس الوزراء، في أن نسألكم عن موقفكم، لأنه كانت هناك حقائق تدل على أن التوجه الجديد نحو الوحدة لا يناسب ميولكم ورغباتكم. والدليل على ذلك يتمثل في تلك التصريحات، التعليقات والملاحظات التي أصدرها موظفو سفارتكم بدمشق. وتتذكر، سيادة رئيس الوزراء، أنني أرسلتُ لك في ذلك الوقت نماذج من تلك التصريحات الخاصة بموظفي سفارتكم. وتتذكر أنني سألتك عما إذا كانت تلك التصريحات تعكس وجهة نظر الحكومة السوفيتية أم لا، وجاءت الإجابة بالنفي.

من الواضح إذن أن موقف الحزب الشيوعي السوري، الذي لم يفلح في كسب التأييد الكامل من الشعب السوري، قد أثر على نظرتكم لتلك الوحدة. فالنائب الشيوعي بالبرلمان هو النائب الوحيد الذي كان يفضل أن يختبئ من بلاده لكي لا يرى كيف يحقق الشعب إرادته بنفسه.

وقد اقتنعنا بأن ممارسات هذا النائب البرلماني تعكس توجهكم وخاصة عندما رأينا أنه يزور بعض دول الكتلة الاشتراكية وحضر معكم المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي وهاجم حكومة بلاده. وقد أثارت تلك الواقعة لدينا حالة من القلق والجزع، غير أن مصدر هذا القلق لا يمكن أن يتمثل في كلمات هذا اللاجئ. فقد جاءت نتائج الاستفتاء، الذي

جرى في سوريا، على مسألة الوحدة لتمحو بشكل نهائي ما جاء على لسان هذا النائب. وإنما المصدر الحقيقي لحالة القلق هذه هو أنه كيف يتم انتهاك مبادئ التعايش السلمي والانتقاص من حقوق شعب بأكمله لأجل شخص، هو في حقيقة الأمر لا يمثل تلك الأمة !.

والأمر الثاني الذي كان له تأثير على وجهة نظركم إزاء مسالة الوحدة بين مصر وسوريا، هو أنه بعد إعلان الوحدة في مطلع فبراير بالقاهرة، امتنع الاتحاد السوفيتي عن إصدار أية تصريحات حول رأيه في مسالة الوحدة من خلال المسئولين سواء كانت تصريحات عبر الإذاعة أو الصحف التي دائما ما تعكس وجهة النظر الرسمية.

وعلى أية حال، فإن مقتضيات الواقع والتاريخ والمستقبل لابد وأن تشق طريقها وها هي الوحدة قد تمت بالفعل.

أخذتُ أفكر في إمكانية اللقاء معكم، لكي نتبادل وجهات النظر ونتعرف سويا على مشاكلنا ونظرتنا للأحداث. ولهذا فقد كنتُ سعيداً جداً عندما وُجهت لى الدعوة لزيارة دولتكم العظمى في أبريل ١٩٥٨، وكانت هذه هي أولى زياراتي لدول الخارج بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا.

وقد استفدتُ كثيراً من الحوار المثمر والمناقشات الهامة والتي ساهمت في استقرار العلاقات فيما بين البلدين، تلك العلاقات التي تأسست على مبدأ التفاهم العميق المتبادل. وعندما عدتُ إلى أراضي الوطن، كنتُ أتوقع أن يتحقق الكثير مما سبق، ولكن، سيادة رئيس الوزراء، اكتشفتُ مؤخراً أنني كنتُ مخطئا فيما توقعته.

أخشى، سيادة رئيس الوزراء، ألا تكون قد فهمت بدقة كل ما قلته لك أثناء لقاءاتنا سويا و ذلك بناء على رسالتك الأخيرة.

أؤكــد لــك أنــني لا أســتطيع أن أتخيــل أنــه مهمــا كــان هنــاك أخطاء في الترجمــة، حتــى وإن كانت أخطاء جســيمة، فلا تســتطيع أن تــؤدي إلى ذلك الخــلاف في وجهات النظر كمــا رأيتُ وكما هو واضح من رســالتك لي. ولابد وأن أصارحــك القــول، فإنني لم أجد في خطابك انعكاســا لآرائــك التي أثق فيها . اعذرني، ولكن وجدتُ شــيئا مــا قريب من تلك البدع الــتي تختلقها الصحافة الغربية التي تهاجمنا بشــكل عنيف لأجل تشويه صورتنا . ومنها على سبيل المثال حديثنا في موسكو حول الوضع في دول الجوار العربي .

لقــد قلت إنني ســألتك ما هو العمل لتغيــير الوضع في تلك الدول باســتخدام القــوة وأنــني طلبت منك المســاعدة في ذلك وقد نصحتني بالتوقــف عن التدخل في شــئون تلــك الــدول كمــا جــاء في خطابــك. ولكــني أؤكد لك، ســيادة رئيس الوزراء، أنني اندهشــتُ من تلك الرواية التي جاءت في خطابك لأن محتواها وتفاصيلها بعيدة كل البعد عن الحقيقة .

ولكن كان الأمر على هذا النحو، وتســتطيع أن تعود للمترجم الذي ترجم حديثنا لكي تتأكد منه :

ســألتك : كيــف ســيكون موقف الاتحــاد الســوفيتي إذا ما ظهــرت محاولة مــن الداخــل لتغيير الوضــع في الــدول القريبة لنــا الخاضعة لهيمنة وســيطرة الاستعمار ؟

وأثناء الحديث قمتُ بتوضيح سؤالي :

أي إذا حدث ثورة بالعراق أو الأردن وتبعها تدخل إسرائيل بالاشتراك مع الدول الاستعمارية، كيف سيكون موقف الاتحاد السوفيتي في هذه الحالة إذن ؟

أعتقد أنك تتذكر، كما أنني أتذكر بدقة، إجابتك، سيادة رئيس الوزراء:

- نحــن نفضل ألا يحدث أي شــيء، ونفضل أن يكــون أي تغيير يحدث من خلال الطرق السلمية.

- **قلتُ لك** :

- اعتقد أن إمكانية حدوث أي تحرك داخلي بالطرق السلمية في هذه الدول، التي يسيطر عليها الاستعمار هو أمر غير محتمل . ولكن الخوف هنا وارد، إذ ربما نعلم فجأة عن أي تحرك فعلى من جانب الجماعات الوطنية الفدائية لا تستطيع أن تسمح بأن يلحق بها ضرر من جانب الإمبريالية لكي يحطموا آمالهم .

- **قلت لي** : إذا ما استطعت التواصل مع هذه الجماعات، فعليك وأن تستغل نفوذك عليهم لكي لا يفعلوا ذلك .

- **قلتُ لك** : بالطبع فإن من يفكر في القيام بمثل هذا التصرف، فلن يكون هناك أي اتصال بيني وبينه وإنني أخشى أن نجد أنفسنا فجأة أمام الأمر الواقع و نحن غير مستعدين له .

انتهى حديثنا، ولكنني لم أحصل منك على إجابة شافية إزاء تلك المعضلة التي من الممكن أن نتعرض لها في أي وقت في منطقة الشرق الأدنى . وقد حدث في الواقع ما كنا نتوقعه! وأوضحت الحقائق أننا لا نستبق الأحداث .

والمثير للدهشة هنا أن محتوى خطابك كان يصور هذا الأمر على أنه أمر واقع، على النقيض مما كنتُ اقصده، ولم يخطر ذلك على بالي مطلقاً لأننا كنا في موقف المهاجم . كنتُ أرغب لو أننا في وضع الاستعداد للدفاع والحماية عن أنفسنا . فكيف يخطر في بالي على سبيل المثال شن هجوم بالقوة على دولة يهيمن عليها حلف بغداد بقدراتها العسكرية إلى جانب القدرات العسكرية للدول الأعضاء بالحلف ؟ لم يخطر على بالي فكرة أن يتم رفع السلاح العربي في وجه أية دولة عربية . لقد تعرضتُ في الماضي لعدة أعمال استفزازية من جانب القوى الإمبريالية، بهدف التأثير على أعصابنا، والابتعاد عن الأسس والركائز التي نقف عليها في نضالنا الطويل . وفي كل مرة كنا ننجح في إفشال مخططاتهم وأعمالهم الاستفزازية .

والأمر الذي يثير دهشتي، هو أنك تصور الأمر وكأنني أريد مساعدتكم في شن حملة عسكرية ضد الدول العربية. فهذا ممكنا في حالة إذا ما رأينا خطر ما يهدد أية دولة عربية، مهما كانت ظروفها، فهو خطر يهددننا نحن. فكيف لنا إذن ان ندفع بكم إلى هناك و نحن يتعين علينا مواجهتكم في ظل التضامن مع شعوب امتنا في حالة تعرضهم لتهديد من جانبكم.

وهكذا، إذا ما كنا قد رأينا أنه يجوز التفكير في تغيير الوضع بالعراق، أو الأردن باستخدام القوة، فإن إنجاز هذه المهمة لم يكن امرأ صعبا لان الجيش السوري متواجد في الأردن ولم يكن من الصعب إصدار الأمر له بالتحرك لبدء الأعمال العسكرية. غير أن هذا لا يتعارض ومبادئنا فحسب، بل هو إدانة لكل قطرة دماء عربية تسيل من أرواح شعبنا.

أعتقد، سيادة رئيس الوزراء، انك لن تسمح بأن يسير مثل هذا الحديث فيما بيننا على نحو مغاير لما جاء في خطابك. فها أنت تكرر بحزم انك تعتمد على تسجيلات المترجمين أثناء مباحثاتنا، ولكني هنا أعتمد على ذاكرتي فحسب. وفي الحقيقة فإنني لا أستطيع أن أحمل ذاكرتي ما لا طاقة لها به، ولهذا فقد كنتُ أقوم بعد كل لقاء يدور بيننا بعقد اجتماع مع لجنة من أعضاء الوفد وأروي عليهم ما دار بيننا ونقوم بتسجيل ذلك في محاضر.

وقد اندهش أعضاء اللجنة لتلك العبارات التي جاءت في خطابك، وكان من بين أعضاء اللجنة أكرم الحوراني -نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة- الذي اندهش لما جاء في خطابك بشأن شكواي إليك منه. وهذا أمر مستحيل سواء كان من ناحية المبادئ التي أؤمن بها، أو من جانب الأخلاق التي لا تتجزأ عن السياسة. فعندما نمارس السياسة نهتم بعدم عقد صفقة على حساب المبادئ وعدم فصل الكرامة عن المصالح.

أتذكر كذلك وزملائي ذلك الحوار الذي دار بيننا وتطرقنا فيه لمسألة الوحدة، فهذا الحديث مُسجل في محاضر قد أمليتها بعد لقائي مباشرة.

لم أبد أية إشارات للاستهجان والاستنكار لرفضك الكامل لموضوع الوحدة، فالأمر ليس بيدي لكي أقنعك بها . وقد حدثتني عن قادة الأحزاب السورية وقلت لك أن كل العناصر البطولية في سوريا تشارك في مكتبي وذكرت لك أسماءهم وسألتك من الذي تقصده منهم، قلت لي العاظم . وأدركت أنك تقصد السيد خالد العاظم ولم أستطع السماح لك بمواصلة الحديث حول هذه الأسماء وانتقلنا إلى موضوع آخر .

أدهشتني كذلك كلماتك التي جاءت في خطابك حول أول لقاء دار بيننا في موسكو ؛ ولكن ما أثار دهشتي أكثر هو حديثك حول لقائنا في يوليو بعد اندلاع الثورة بالعراق .

وكانت أول فكرة طرأت في رأسي بعد اندلاع تلك الثورة هو الالتقاء معك. وكان هذا الحدث الذي توقعته في ضوء مناقشتنا في أول اجتماع بموسكو .

فكما توقعت ان يحدث نهوض للقوى الفدائية بالجيش العراقي، ولا يمكن السماح بإعطاء الفرصة للاستعمار لتقويض ونسف تلك الثورة الوطنية الوليدة وكان موقفنا واضحا وتمثل في أننا سنقف إلى جانب تلك الثورة مهما كانت العواقب والتداعيات .

أما فيما يتعلق بموقفكم من الثورة، فقد جال بخاطري أن تطور الأحداث الجديدة سيجعل الظروف مناسبة بشكل أفضل لكي نسمع منكم إجابة واضحة على السؤال الذي طرحته عليكم في صورة اقتراح في إطار أول اجتماع بيننا في موسكو . وقد أسهمت الأحداث في تحويل هذا الاقتراح إلى أمر واقع .

وكان هذا أحد الأسباب المباشرة التي جعلتني أطلب اللقاء معك في الوقت والمكان المناسب لك . وقررت أن يجري هذا اللقاء في موسكو . ولسوء الحظ لم افلح في الحصول منك على إجابة واضحة على ذلك السؤال الذي طرحته عليك في شهر أبريل . وجاءت الأحداث التي وقعت في شهر يوليو لتطرح نفس السؤال بشكل عملي . والآن تفسر لي عدم إعطائك إجابة كاملة على هذا السؤال

بأنـك كنت تخشـى من أنه بعد علمي بتلك المسـاعدة اللامحـدودة، فإنني لن أتورع عن التحرك العسكري مما سيزيد الوضع سوءا وتعقيدا.

غير أنني لم أقتنع بهذا التفسـير، وأردت أن أسال ما الهدف إذن من ذلك التحرك العسـكري الـذي مـن الممكـن أن الجأ إليـه لإشـعال الموقف ؟ في ذلـك الوقت كانـت الثـورة الوطنية بالعراق في مهدها، وكان موقفنـا دفاعي، بعد أن قام الأسـطول الأمريكي السادس بإنزال البحارة على الشاطئ اللبناني، وانتشرت قـوات الإنزال الإنجليزية في الأردن . هل من المعقول وسـط كل هذه الأجواء أن نفترض بأننا في وضع يسمح لنا بشن تحرك هجومي ؟

دعنـا نفكر، سـيادة رئيس الـوزراء، حتى إنه إذا ما علمنا باسـتعدادكم للوقوف بجانبنا، هل سـنتحرك لمهاجمة الأسـطول الأمريكي السـادس المسلح نوويًـا والمـزود بصواريـخ موجهـة . أو حتى هل مـن الممكن ان نهاجـم المناطق المتمركزة فيها قوات الإنزال الانجليزية بالأردنأو قواعدها الجوية في قبرص .

أعتقد أنك توافقني الرأي، سـيادة رئيس الوزراء، في أن كل تلك التفسيرات تثير علامـات التعجـب، وما يثير الدهشـة والعجـب كذلك هـو خطابك الذي أوضحـت فيـه إدراكك لطلبنـا المسـاعدة العسـكرية آنـذاك . لقـد طلبتُ منكـم آنـذاك كميـة من المقاتـلات وهذه حقيقـة ولكن هـذا طلب عادي لتقديـم السـلاح . طلبتُ منكم كذلك مدفعية نفاثة متوسـطة المدى، وقلت في خطابـك، وهـذا صحيـح، أنـني طلبتُ بالفعـل صواريـخ يصل مداهـا لـ٥٠ او٧٠ ميل، واندهشـنا من تفسيركم لطلبنا موضحا لى أن الصواريخ المتوسطة المـدى الموجـودة لدى الاتحـاد السـوفيتي تعمل على مسـافة مـن ٢-٤ آلاف ميل . وقـد أوضحـت ما طلبتـه والمدى المطلـوب . ولكـن مـن الواضح أنه نظـرا لوقوع خطـأ في ترجمـة rockets (صواريـخ) وهـو ماطلبتـه، و كلمـة Missiles (قذائـف موجهـة) وهـي ما لم أطلبه، فقـد كان الخطأ هنا علـى الرغم من أنه مـن الصعب أن أهدئ نفسـي بمثل تلك التفسـيرات لهذه الواقعـة في ضوء ذلك الاختلاف بين الواقع الموجود آنذاك وما جاء في خطابك المؤرخ في ١٢ أبريـل .

وعلى أية حال، فبعد عودتي إلى دمشق بعد لقائنا في موسكو، سرعان ما عقدت اجتماع مع وزراء الجمهورية العربية المتحدة ولخصت لهم المحاور التي تحدثنا فيها سويا .

" لابد وأن نتحرك نحو الأفضل، ولكن يجب علينا كذلك أن نكون مستعدين لما هو أسوأُ". نحن نؤمن دائمًا بالسلام، وليس هذا هو سبب عدم امتلاكنا أسلحة لشن الحرب، وإنما إيماننا بالسلام في ظل كمية الأسلحة القليلة التي نمتلكها لم يعرقلنا عن استعدادنا لاتخاذ إجراءات دفاعية ضد كل من تسول له نفسه بالتطاول والاعتداء علي سيادة دولتنا .

وفي الوقت نفسه، فقد كانت الثورة العراقية هي بداية الأزمة التي ضربت علاقتنا، على الرغم من أن هناك محاور كثيرة وردت في رسالتك قد فتحت أعيننا على أن أسباب سوء التفاهم فيما بيننا، بدون علمنا، كانت قائمة قبل وقت طويل من اندلاع تلك الثورة . كما أوضحت لسعادتك، سيادة رئيس الوزراء، بعد أن ناقشت تفسيرك للقائنا الأول والثاني في موسكو، فإن هذا التفسير يتعارض تمامًا والحقيقة التي يؤكدها منطق الأحداث وليس الاعتماد على ذاكرتك أو ذاكرتي. لقد اعتقدت أنك ستكون أول من يقدر موقفنا النزيه من دعم ثورة العراق . خاصة وأنك رأيت بنفسك استعدادنا للتضحية بأنفسنا، وكذلك أن تكون أول من يلفت نظرنا نحو الخطر الذي تعرضنا له في ذلك الوقت. ولا أنسي كذلك تلك الجهود التي بذلتها لتأمين عودتي الحميدة إلى أرض الوطن وتكليفاتك لأجهزة مخابراتك ووزير الأمن الجنرال سيروف لتنظيم الإجراءات الأمنية للحفاظ على أمني في ظل تلك الظروف .

وأتذكر كذلك ذلك الاستقبال الباهر والحار الذي كان في انتظاري واقتراحك بتناول نخب تشريفا لي باعتباري قائدا وزعيما كل العرب . اعتبرتُ هذا النخب ما هو إلا مجاملة لي . ولكن أوضح أن قيادة جميع العرب لا يُعتبر هدفا اسعي لتحقيقه، فهذه القيادة لا يمكن وأن تمنح لأي عربي

يعيش خارج حدود الوطن العربي . وأتذكر تلك الحقيقة التي اختلف موضعها في خطابك، عندما قلت إنني بعد اندلاع الثورة في العراق، حاولت فرض قيادة محددة على شعبها وأن هذا كان سببا وراء الأزمة التي وقعت بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، كما كان ذلك هو أحد الأسباب وراء تلك الغمة التي حلت بعلاقاتنا.

قلتُ لك، سيادة رئيس الوزراء، أنني كنتُ أتوقع أن تكون أول من يقدر موقفنا النزيه في مسألة مساندة ودعم ثورة العراق . توقعتُ ذلك ليس فقط بسبب قربكم من الأحداث المرتبطة بالعواقب غير المتوقعة للثورة، بل لأنه، كما تصورت، لا أحد غيركم يستطيع أن يدرك طبيعة الأحداث في تلك المنطقة والتيارات التاريخية العظيمة والعمليات الأخلاقية والاجتماعية التي تحرك الأحداث . ويتمثل أول دليل عملي على تصوري هذا في موقفكم نحونا أثناء الأزمات التي افتعلتها قوى الإمبريالية والتي اتهمتنا بها إزاء بعض الدول العربية، كما هو الحال الآن بالنسبة للحزب الشيوعي بالعراق الذي يتهمنا بنفس تلك الادعاءات على العراق .

في ظل هذه التجارب السابقة، رئيس الوزراء، والحملات التي نتعرض لها الآن، جاء موقفكم ليعكس الفهم الصحيح للأسباب التي أجبرت القوى الإمبريالية على شن حملة لنزع الثقة والتشهير بنا .

ومن ناحية أخرى، فإنني أتصور، سيادة رئيس الوزراء، أن تكون مباحثاتنا معكم حول القومية العربية قد استطاعت أن تشكل تصور واضح لديكم حول مدى إيماننا بالقومية العربية .

من الغريب أن نسمع في الوقت الحاضر عن قيام بعض الأوساط المختلفة بشن هجمات على القومية العربية في جوهرها .

إذا سمحت لي باستغلال رسالتك باعتبارها حجة للنقاش العلمي، فما هي إذن مقومات القومية من وجهة النظر العلمية ؟

أرى مـن وجهـة نظري أن تلك العناصـر والمقومات تتلخـص في الآتـي : فكـر وضمير عام .

فيمـا يتعلـق بفكـر الأمة فهـو يتمثـل في اللغـة وبالنسـبة للضمير فهو يتجسـد في التاريخ . وبالنسبة للقومية العربية، فأنتم تعلمون أن شعوب تلك المنطقة، فضلا عن الاعتبارات الأخلاقية والمادية، فهم متحدون في سعيهم الذي لا يُقهر نحو إنشاء امة واحدة يجمعها فكر وضمير واحد.

إنني متأكد كذلك من أنك لم تنسـي ما سـبق وأن كررته في تصريحاتي بشـأن أن القومية العربية مـن وجهة نظري تعني التضامـن ولا تمثل أية صيغة دستورية . ومن الممكن أن يتخذ الشعب تلك الصيغة الدستورية حسب إرادته، وهذه الصيغة ستحوي التضامن في جوهرها .

أذكرك جيدا بأن اسـتعدادنا للتعاون مع الثورة العراقية يُعد فخرا بالنسبة لنـا ، وقد ولد هـذا التعاون منـذ قديم الزمـان . أعتقد أنك تعلم، سـيادة رئيس الـوزراء، أن عـددا مـن قادة ثـورة العراق بما فيهـم العقيد عبد الكريم قاسـم، رئيـس الحكومـة العراقية، كانـوا يتصلون بنـا قبل الثـورة، وتوجهوا لدينا لطلـب المسـاعدة في وضع خطـة للثورة . وسـألونا كذلك عـن الضمانات التي مـن الممكـن أن نقدمها لهم في حالة فشـل الثورة . والنصيحة الـتي قدمناها لهم لا تشـبه نصيحة مـن يرغـب في التدخل في شـئون الآخرين أو فـرض الوصاية عليهم. وكانت نصيحتنا لهم بأن يحافظوا على سرية كل شيء ولا يتفوهوا بـأي كلام حتـى لو كان معنـا ، ويبحثوا عن الدعم والمسـاندة لدى شـعبهم . ونصحناهم كذلك بان من يضع خطة الثورة هم هؤلاء الأفراد الذين سـيقومون بها . قلتُ لهم إن ثورة العراق لابد وأن تكون عراقية بحتة سـواء كان من حيث التفكير أو التنفيذ .

ولم يتغـير رأينـا حتـى بعـد نجاح الثـورة بالعـراق وبعـد تلك الجهـود التي بذلناها لإنجاحهـا . وظلت نصيحتنا للعراقيين نصيحة أخوية صادقة . وكان السـيد كامل قادرشي آخر الشخصيات السياسـية العراقية التي استمعت لهذه النصيحة، التي تتلخص في عدم إضاعتهم للوقت الآن في التفكير في الشكل

الدستوري للوحدة او الاتحاد . وقلنا لهم إنه سيكون من الأفضل بالنسبة لهم وكل الأمة العربية إذا ما أحرزوا نجاحا للثورة داخل العراق وإخضاع مصالحها لصالح الأغلبية والأفضل كذلك إحياء التضامن العربي في صورة اتفاقيات اقتصادية، ثقافية، عسكرية بحيث تكون قادرة على تنسيق نشاط شعبي البلدين وان يعود النفع الأكبر من ذلك على الأمة العربية بأكملها .

ولكن للأسف، سيادة رئيس الوزراء، فإن الحزب الشيوعي بالعراق، الذي خرج أعضاؤه من التنظيم السري بعد أن غادروه في عهد نوري سعيد ، قرر الحزب استغلال ثورة العراق وتوجيهها على النحو الذي يريدوه .حيث استغل الحزب ذلك الخلاف الشخصي الذي وقع بين اللواء عبد الكريم قاسم ونائبه العقيد عبد السلام عارف لخلق حالة من التوتر قادرة على تحقيق أهدافهم، وكان من المفترض وان يقوم العقيد عبد الكريم قاسم، قائد الثورة العراقية، بمعالجة وحسم ذلك الخلاف، هكذا كان سيجد الأهداف المناسبة للثورة .

غير أن الحزب الشيوعي بالعراق بدأ يزرع بذور الكراهية ليس فقط بين عبد الكريم و عبد السلام عارف، بل واخذ يعمل على تفاقم العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق، مثيرًا مشكلة مصطنعة حول مسألة ما هو الأفضل : الوحدة أم كيان الاتحاد . وقد سارعت هذه المعضلة في توجيه هجمات علنية على فكرة الوحدة وإخفاء حقيقة الهدف من كل ذلك وهو الحرص على ممارسة الضغط على الوضع في سوريا . وقد ظهر ذلك في صورة تعاون بناء بين الأحزاب الشيوعية بالعراق وسوريا ، ثم تشكل هذا التعاون في صورة نشاط علني سواء كان بالقطر السوري التابع للجمهورية العربية المتحدة او بجمهورية العراق .

ظهرت في القطر السوري حركة مريبة تهدف إلى نسف وتقويض الاستقرار، وتمثل أحد نماذج مثل هذا النشاط في تلك الهجمات التي وجهها الحزب الشيوعي السوري ضد قانون الإصلاح الزراعي الذي يهدف إلى تمليك الأراضي لأكبر عدد من الفلاحين السوريين والقضاء على النظام الإقطاعي

. فقد كان ينبغي إزاحة وإبعاد نشاط الحزب ضد الوحدة، ذلك النشاط الذي كان واضحا منذ البداية انه غير موجه ضد الإمبريالية . من المرجح أن تتفق معي، سيادة رئيس الوزراء، في أن تشكيل الجمهورية العربية المتحدة كان بمثابة ذروة الصراع ضد القوى الإمبريالية من خلال إنشاء حصن لحركة تحرير شاملة بالعالم العربي .

لقد وصل الحال بالحزب الشيوعي السوري إلى أن يقوم قائده بالإدلاء بتصريحات يتم نشرها في الصحف التابعة للقوى الامبريالية وإذاعتها في المحطات الإذاعية لعدد من دول الكتلة الاشتراكية، وتمثل تلك التصريحات هجمات قوية على الوحدة بهدف تقويض ونسف أركانها .

عندما كان السيد نور الدين محي الدينوف في زيارة للقاهرة، سمحت لنفسي بالحديث معه صراحة حول هذه المسألة . وسألته هل يعكس نشاط الحزب الشيوعي في سوريا والعراق وجهة نظر الاتحاد السوفيتي، وجاءت إجابته بالنفي .

إنك لم تنس بالطبع مناقشاتنا التي كانت تدور حول نشاط الأحزاب الشيوعية المحلية العاملة في منطقتنا وذلك أثناء لقائنا الأول في موسكو في أبريل ١٩٥٨ .

تتذكر، سيادة رئيس الوزراء، أنه في إحدى مباحثاتنا، أشرت إلى نشاط الأحزاب الشيوعية في الجمهورية العربية المتحدة، والتي نراها قد خرجت عن نطاق الخط الوطني لتخدم مصالح أعداء الوطن من وجهة نظرنا . كنتُ اخشى كذلك من أن يتم تفسير الإجراءات التي نتخذها ضد هذه الأحزاب على أنها إجراءات موجهة ضد الاتحاد السوفيتي . ولهذا فقد رأيتُ انه احترامًا مشاعرك، فلابد من طرح هذا الموضوع في مباحثاتي معك بموسكو وقلتُ لك آنذاك : « أرجو منك ألا تفسر تلك الإجراءات التي نتخذها ضد الأحزاب الشيوعية في بلادنا على إنها خطوة عدائية إزاء الاتحاد السوفيتي» . قلتُ لك كذلك أن الكثير

منهم [٥٩] منحدرين من أصولإقطاعية وبورجوازية وبالتالي فليس كافيا أن يرفعوا فوق رؤوسهم شعارات لكي يصبحوا شيوعيين . أضفت انه يوجد لدينا بالقطر المصري على سبيل المثال حوالي ثلاثة أحزاب شيوعية (كما يصفون أنفسهم) وكل حزب يتهم الآخر في الصحف التي يصدروها بالتهرب والتملص بل ووصل الحال بهم إلى تراشق وتبادل الاتهامات بينهم بالخيانة . لا نستطيع أن نفرق من منهم يُعتبر شيوعي حقيقي ومن ليس شيوعيا . وفي النهاية فإننا نعرف كل ما يقولونه عن بعض .

أتذكر جيدا كيف كانت آنذاك نظرتك نحوي وقمت بهز رأسك . رأيتُ أنه من غير اللائق مواصلة مناقشة هذا الموضوع معك، وقمتُ بتلخيص موقفي الحقيقي لك بحيث لا تفاجأ عندما نضطر لاتخاذ إجراءات ضدهم وضد نشاطهم المعادي لمصالح الشعب، ومن الممكن أن يطرأ أي تغيير لتلك الإجراءات غير المطابقة للواقع، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الأوساط الإمبريالية وصحافتها يحاولون إلقاء الظل على عملنا، الأمر الذي من الممكن أن يُفسر على أنه فتور في العلاقات بيننا .

اندهشت كذلك، سيادة رئيس الوزراء، إزاء ما ورد في خطابك المؤرخ للثاني عشر من أبريل بعد مناقشة إحدى أحاديثي التي أعلنت فيها أن الشيوعيين هم عملاء، يتلقون التعليمات من الخارج، وبعد العودة إلى مباحثاتنا في موسكو والتذكير بالفكرة التي قيلت لي حول وقوع انشقاق في صفوف الشيوعيين بالقطر المصري وانقسامهم إلى ثلاثة أحزاب، جاء تعليقكم على النحو التالي: «إذا ما كانوا يتلقون التعليمات من الخارج، لكانت النصيحة الأولى لهم هو دعم وتعزيز وحدة صفهم». المثير للدهشة أيضا أنه سرعان ما توطد نشاط الحزب الشيوعي داخل الجمهورية العربية المتحدة واتحد الأحزاب الثلاثة ونسوا الخلافات المشتعلة بينهم ؛ ولهذا فقد أجبرني هذا الوضع للإشارة في الخطبة التي ألقيتها يوم ٢٣ ديسمبر يوم انسحاب القوات الأجنبية من أراضي مدينة

(٥٩) الشيوعيون (ملحوظة أوردها مترجم الخطاب)

بورسعيد، أشير إلى النشاط المعادي للقومية الذي ينتهجه التنظيم الشيوعي (هؤلاء الذي يحسبون أنفسهم على الشيوعيين) وبالتالي فإن حديثي كان يتعلق بتلك التنظيمات السرية العاملة في الجمهورية العربية المتحدة ولم تتجاوز كلماتي عشرة اسطر. وأقصد من حديثي إنهم يعتبرون خطرا واضحا ولن أسمح بظهور نشاط داخل الجمهورية العربية المتحدة يخدم مصالح القوى الإمبريالية.

وقد تطرقت في كلمتي عن التنظيمات الشيوعية داخل الجمهورية العربية المتحدة ولم أتفوه بكلمة واحدة عن النشاط الشيوعي بالعراق، الذي للأسف لم يكن يهدف لمحاربة الإمبريالية، بل على النقيض من ذلك، فقد مال الشيوعيون للتصالح مع القوة الإمبريالية لتسخير قوتهم الكاملة في الصراع ضد الجمهورية العربية المتحدة وضد أفكار القومية العربية. وإذا ما اطلعت على ما كتبته الصحف العراقية في ذلك الوقت، لرأيت أن الحديث حول الجمهورية العربية المتحدة على وجه الخصوص، وليس عن إنجلترا التي كانت تحتل العراق قبل الثورة وكانت تزرع عرائسها المتحركة دخل حكومة العراق.

لقد كان هناك تصالح كامل مع القوى الإمبريالية والحرب ضد القوى الوطنية على أشدها في تلك البقعة من العالم. هذه حقيقة ولا يمكن نفيها. ولا يمكن تفنيدها بتلك العبارات الفارغة التي تدور حول أن الشيوعيين في صراع ضد القوى الامبريالية. فالشيوعيين مثل باقي الناس من الممكن أن يقعوا في أخطاء ثم يتهربوا منها.

أدركنا من خلال تقرير سفيرنا في موسكو حول حديثه مع السيد نور الدين محي الدينوف، أن كلماتي عن النشاط الشيوعي داخل الجمهورية العربية المتحدة، التي جاءت في خطابي للشعب يوم ٢٣ ديسمبر، لم يتم تأويلها بشكل صحيح. أعطيت التعليمات المناسبة لسفيرنا وكل أجهزة الدعاية والإعلام بالجمهورية العربية المتحدة لتوضيح وجهة نظرنا حول هذه المسألة تجنبا لسوء التفاهم.

وهكذا فقد بذلنا قصارى جهدنا لكي نوضح أن أحاديثي لم تكن موجهة ضد الشيوعية كفكر لأن هذا ليس من شأننا ونفضل توضيح فكرنا الخاص .

وبذلنا مجهودا ليس بالقليل لتوضيح أن أحاديثنا وتصريحاتنا تتعلق بهؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم شيوعيين في دولتنا ونشاطهم يسبب ضررا بوحدة الشعب . وأن تصريحاتنا لا تخرج عن هذا الإطار ولا تتضمن أية هجمات على الشيوعيين الآخرين . بالإضافة إلى ذلك، فقد رأينا أنه يوجد من بين الشيوعيين شخصيات جيدة جديرة بالاحترام . وأنت، سيادة رئيس الوزراء، في مقدمة هذه الشخصيات . ولكن للأسف، فقد اتضح أن تلك الجهود لم تكن كافية لتوضيح وجهة نظرنا لأننا سرعان ما اقتنعنا انك طرحت هذا الموضوع في تقريرك المقدم للمؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي .

حرصنا من جانبنا على عدم المساس بما جاء في ذلك التقرير تجنبا لتفاقم وتعقيد سوء الفهم، وذلك على الرغم من أن ذلك التقرير قد تضمن عبارات غير مستحسنة، وترحيب بعدد من الشيوعيين الفارين والهاربين من بلدنا، وهجمات أحدهم غير اللائقة على نائب ورئيس الجمهورية العربية المتحدة . قام احد الصحفيين بنشر مقالة علق فيها بمنتهى الاحترام على كلمتك التي ألقيتها في هذا المؤتمر ووقف بشكل مفصل وموضوعي على ما جاء فيه وها هي الصحافة الرسمية والإذاعة في دولتكم تتهم هذا الصحفي بأنه عميل أمريكي . وبالرغم من ذلك فلم نحرص على تفاقم وتعقيد ذلك الخلاف، الذي ستستفيد منه القوى الإمبريالية .

كان هذا أحد البواعث التي دفعتني لكي أرسل لك رسالة عن طريق السيد ديمتري كيسيلييف، أوضح فيها أن أسباب صداقة الشعوب العربية لكم لا تنحصر في نشاط الأحزاب الشيوعية وان هذه الصداقة ستظل قائمة بصرف النظر عن تلك الأحزاب . أرى من وجهة نظري أنه لم يكن صحيحاً موقفك من مساندة الأقلية داخل بلادنا، تلك الأقلية التي لا تمثل الشعب بأكمله، فأنت بذلك تغامر بفقدان احترام الغالبية العظمي من الشعب لك .

وهـذا هو مـا دفعني أيضا بعد تسـلمي لرسـالتك من القائـم بأعمال الاتحاد السـوفيتي بالقاهـرة في ٢٠ فبرايـر ١٩٥٩، تلك الرسـالة التي جاء فيهـا ردك على الملاحظـات، الـتي نقلها لكم سـفيركم بالقاهـرة، لاسـتخدام مقتطفات من رسـالتك في كلمتي التي ألقيتها يوم ٢١ فبراير لكـي أضع نهاية لذلك الخلاف الذي نشـأ بيننا، والذي تسـعى القوى الامبريالية لإشـعاله وتضخيمه بشـتى الطرق، وللأسف فإن الأحزاب الشيوعية في بلادنا تساعدهم في ذلك .

وكما تعلم فقد قيل في ذلك الوقت إنكم تقفون بجانبنا ضد حلف بغداد وعندما انهار الحلف، لم يعد لديكم الحرص الكافي للوقوف بجانبنا .

وقيـل كذلك أنكم تسـتغلون القومية العربية لأهـداف تكتيكية في «الحرب الباردة» وبعد تحقيق أهدافكم، قمتم بتغيير موقفكم .

وقيـل كذلك أنكم وافقتم على فكرة الحياد عندما كان هناك صراع دائـر بـين الإمبرياليـة والقوميـة العربيـة، وبعـد اندلاع ثورة العـراق، تكبدت الإمبرياليـة ضربة مميتة وبدأ التنظيم الشـيوعي يسـتعيد نشـاطه من جديد بالمنطقة، أصبحتم تتخلون عن فكرة الحياد في هذه المنطقة .

رفضنـا تصديق كل هـذه التأكيدات علـى الرغم من الأدلـة التي كانت موجـودة بالصحافـة العراقية ووسـائل الدعاية الخاصة بالحزب الشـيوعي في القطر السـوري . وقد تم نشـر وإعلان المواد المقتبسـة من هذه المصـادر، حيث تم إعلانهـا عدة مرات في المحطات الإذاعية والعديد من الصحف بدول المعسـكر الاشتراكي .

ولهذا سـيادة رئيس الـوزراء، فقد اسـتخدمت بعض مقتطفـات من تقريـرك أثناء الكلمة التي ألقيتها في الحادي والعشرين من فبرايـر، تلك المقتطفات التي انطلقت منها شرارة الترحيب وحسن النوايا من جانبكم . كما أوضحت لك من قبل، فإنني حرصت على سد تلك الثغرة التي حفرت لنفسها مكانا في العلاقات القائمـة بيننا ، وحرصت علـى حرمـان الإمبريالية من فرصة الأمل في الحلم بهذا

النصر . وبعد تلك الكلمة التي ألقيتها، سرعان ما توجهت إلى القطر السوري، وألقيت هناك أكثر من عشرين خطاب، تحدثت فيهم بنغمة صديقة عن الاتحاد السوفيتي وحاولت قدر الإمكان عدم الحديث كثيرا عن التنظيمات الشيوعية لإتاحة الفرصة للطرفين لاستيعاب وإدراك أهمية بذل الجهود لسد تلك الثغرة وإعادة بناء الثقة فيما بيننا . وفي الوقت نفسه، فقد حاولنا قدر المستطاع إزالة تلك الخلافات التي تفاقمت فيما بيننا واللواء عبد الكريم قاسم ولم يكن لها أية أسباب ولا جذور. ولهذا فقد اقترحنا عدة مرات إجراء لقاء مع اللواء قاسم في المكان الذي يروق له من أجل القضاء على أسباب ذلك التوتر ولكي نؤكد له أننا لا نريد أن نفرض عليه شيء غير مرغوب بالنسبة له ولكي نبرهن له على عدم وجود أية أهداف أخرى لدينا سوى التضامن العربي وأننا على استعداد لكي نسير مع كل دولة عربية في هذا الطريق . وهناك نموذج حي شاهد على ذلك يتمثل في علاقاتنا مع اليمن التي انضمت إلينا في صورة اتحاد .

ولكن للأسف الشديد لم يتم هذا اللقاء، وأخذت الصحافة العراقية، التي تُعد البوق الخاص بالحزب الشيوعي، تشوه الأهداف التي كانت مرجوة من هذا اللقاء، بل ووصل بهم الحال للزعم بأننا نريد العودة إلى ذلك العصر، عندما كانت تتحد فيها مصائر الشعوب من خلال لقاءات بين الحكام والقادة، وهذا لم يرد في خاطرنا مطلقاً.

حاولنا من خلال الخطب والأحاديث المعلنة والتي وصلت إلى الرأي العام بكل الدول العربية أن نناشد وندعو اللواء عبد الكريم قاسم لعدم إعلاء صوت الفتنة وعدم السماح للوقيعة فيما بيننا . وتأكيداً لذلك فقد ألقيت عدة خطابات في مدن ألمانيا، القاهرة ودمشق .

وبعد ذلك اندلعت أحداث الموصل[٦٠]، والتي تدل تفاصيلها على أنها نتيجة لمؤامرة ما . حيث جاءت تلك الأحداث نتيجة تحرك مجموعة من الضباط الشباب

---

(٦٠) وقع تمرد ضد الحكومة على يد قوات حامية الموصل في مارس ١٩٥٩ بدعم ن الإقطاعيين وشيوخ القبائل .

المتحمسين . وكانت المفاجأة بالنسبة لنا عندما قام الحزب الشيوعي بالعراق بإجراء تحقيق حول أحداث الموصل ودوافعها وسارعوا بتوجيه الاتهام للجمهورية العربية المتحدة،مما أدى إلى تفاقم العلاقات بيننا والعراق، الأمر الذي جاء في صالح القوى الإمبريالية ولسوء الحظ، فقد سارت الحكومة العراقية وكذلك أجهزتها الرسمية بما فيها راديو بغداد، والمنبر العسكري لبغداد، ساروا وراء حجة أنصار ذلك التيار وهكذا أصبحنا نواجه أزمة في غاية الخطورة .

وفي الوقت نفسه، لابد وأن أعلن لك صراحة أن الكلمة التي ألقيتها سيادتك تشريفاً لاستقبال الوفد العراقي في ١٦ مارس ١٩٥٩ لم تتعارض فقط مع الحقيقة، بل وتعارضت مع كل ما جاء على لسانك قبل الثورة العراقية . إذ لم يكن جائزاً أن نلتزم الصمت أمام ذلك الخطاب نظراً لما تضمنه من اتهامات باطلة ضدنا، ولاشك أن هذا الحديث كان نقطة تحول في العلاقات القائمة بيننا . ولابد وأن أصارحك القول كذلك بأن هذا الخطاب جعل آفاق المستقبل التي فتحها أمامنا تبدو معتمة وكئيبة . حيث تضمنت تلك الآفاق إمكانية ذلك التغيير الشامل في موقفكم . فقبيل ثورة العراق لم يكن الأحزاب الشيوعية تلعب أي دور في توازن القوى، فقد كنتم تساندون القوى الوطنية أما الآن عندما ذهبت الأحزاب الشيوعية لممارسة نشاطها بشكل علني وصريح، فقد آثرتم التضامن معهم، على الرغم من أنهم يمثلون قطاع صغير من الشعب . وقد تضمنت تلك الآفاق أيضا إمكانية مساندتكم للأحزاب الشيوعية، وقد أدركت شعوبنا ذلك الأمر جيداً . وفي الوقت نفسه، فقد سمعت شعوبنا ورأت بعينها ذلك العمل التخريبي لهؤلاء الأفراد . وعلى مدار عدة شهور من اندلاع ثورة العراق كنا نتعامل بصبر إزاء ذلك الأمر، بل والأكثر من ذلك إننا لم نرغب في كشف وفضح عملهم التخريبي هذا يوم ١٢ مارس إلى أن قمتم من جانبكم بعد أربعة أيام من الثورة بالتخلي عن مساعدتنا . ولم يقتصر الأمر على التخلي عن المساعدة فحسب، بل ووصل الأمر إلى تكييل وتوجيه الاتهام إلى الشخصيات الوطنية الفدائية بأنهم يعتبرون بوقا للقوى الإمبريالية، لقد اقتربتم من المساس بالقومية العربية وتدخلتم في شئوننا الداخلية .

هذا يعني من حيث المنطق أنكم موافقون وراضون عن هجومهم علينا، وبعد قيامنا بالرد عليهم بعد صبر طويل، سرعان ما وقفتم لمساندتهم والدفاع عنهم.

أوضحت تلك الآفاق كذلك أنكم تنظرون إلى الأفكار التقدمية على أنها حكر للشيوعيين وحدهم، ولم يخطر ببالكم أن تلك الأفكار من الممكن أن تجد لنفسها ساحة واسعة لازدهار المجتمع الذي لا يعترف بالأفكار الشيوعية. من المرجح أن تتفق معي إذا ما ابتعدنا عن المواقف الخيالية في الفكر الأيدلوجي.

وفي الحقيقة فإنه من الغريب جدا أن يكرس الشيوعيون بالقطر السوري جزءا صغيرا من نشاطهم لمقاومة الإصلاح الزراعي، ولا أعتقد أن هذا يعد من الأفكار التقدمية. وكذلك لا يمكنني أن أتصور موقف الصمت إزاء الامبريالية، التي يمارسها الحزب الشيوعي بالعراق في وضح النهار أمام الجميع، لا أتصور أن يكون ذلك فكراً تقدمياً. وإذا ما كنا نرى أن كل سلوك وممارسات الشيوعيين في بلادنا مقنعة ومبررة، لاعتبرنا كذلك أن دفاعكم عنهم أمرا مبررا في الوقت الذي تعلمون فيه مكانتكم الكبيرة في قلوبنا. إن تبريركم لتصرفاتهم حتما أدى إلى أن شعبنا أخذ يعيد النظر في العلاقة التي تجمعنا والاتحاد السوفيتي، وهذا بالطبع لا يمكن أن يجيء لصالح تحسين العلاقات المتبادلة فيما بيننا.

كما جاء في خطابكم الذي يعود ليوم ١٦مارس، مثلما جاء في خطابكم الشخصي الصادر لي في ١٢ مارس، موقفكم الدفاعي الذي تفسرون فيه النظرية الشيوعية. وإنني في حل من الدخول فيجدال حول ما جاء علي لسانكم، لأن احترام وجهات نظر الآخرين يُعد سمة أساسية تميز مجتمعنا. ولكن اسمح لي أن أؤكد لك أننا نحاول تلبية المتطلبات الرئيسية للشعب على الرغم من اختلاف طريقنا عن طريقكم.

يبدو وأنك تدرك مثلي تماماً أن هذا الأمر يتطلب الكثير من العمل، الجهد والتفكير، الذي لا يسمح لنا بالانشغال في النقاشات والجدالات غير المجدية، ولكنك سيادة رئيس الوزراء، تدرك جيدا أن ثورة أكتوبر، التي مر عليها أربعون عام، لم تحقق المطالب المرجوة لعامة الشعب . لقد بدأنا تجربتنا منذ أقل من سبعة سنوات، سائرين في طريق الاشتراكية الديمقراطية المتعاونة. وتعلم أنه في غضون تلك السنوات السبع هذه كان هناك وقت طويل قد مضى في محاربة المؤامرات والتصدي لعدوان القوى الإمبريالية وعلى الرغم من ذلك، يمكن اعتبار أن ما قمنا به لأجل الفلاحين والعمال يُعد بداية للبناء الايجابي وخاصة بعد أن نجحنا في القضاء على قهر وعنف الإقطاعيين بالكامل وهيمنة أصحاب رأس المال في حكم البلاد في ذلك الوقت .

وإذا ما قمنا في هذه الفترة بحظر نشاط الحزب بهدف الحفاظ على وحدة الشعب وتجنيده للمحاربة في إطار الائتلاف الوطني، فمن المفترض وأن تدركوا ذلك مع الوضع في الاعتبار أن الاتحاد السوفيتي هو الآخر قد مرّ بنفس تلك المرحة. ولا داعي للقول سيادة رئيس الوزراء، أن عدم وجود حزب في الاتحاد السوفيتي من الممكن أن يُبرر على أن مجتمعكم قد قضى على الطبقات. تتذكر بالطبع أنه بعد اندلاع ثورة أكتوبر، تعرضت الثورة السوفيتية لأعنف أنواع المخاطر سواء كانت من الخارج أو الداخل . ولا يمكن القول بأن القضاء على الطبقات هو عمل يستغرق يومًا واحداً.

والمثير للدهشة والحيرة هنا هي تلك الحقيقة التي تفيد بأن الحزب الشيوعي بالعراق (ودعمكم له الذي يُعد أحد أسباب تصاعد الأزمة في العلاقات بيننا، واستمرار هذا الحزب ينتقد بشدة الوضع الداخلي في بلادنا في الوقت الذي لم نحظر فيه نشاط الحزب)، لم يجد الحزب الشيوعي أي موضع للنقد في الخطاب الرسمي لرئيس الحكومة العراقية، الذي نفى فيه فكرة الحزب وهاجمه وطلب منا أن نفعل ذلك لفترة انتقالية محددة إلى أن تصبح الأمة كلها «حزب تابع لله» على حسب وصفه .

سبق وأن أشرت سيادة رئيس الوزراء، بمزيد من الإطراء على الجهود التي بذلناها في مجال تطوير وتنمية الإنتاج والنهوض بالمجال الثقافي بهدف إرساء قواعد المجتمع المتحرر . ولهذا فقد أصابتنا الدهشة عندما اكتشفنا في خطابكم تلك العبارة التي تفيد بأننا واجهنا العديد من الصعوبات وتخيلنا أننا نستطيع التغلب عليها من خلال شن حملة صليبية ضد الشيوعية .

وأؤكد لك سيادة رئيس الوزراء، أننا لا ننظر إلى تلك الصعوبات الكثيرة فحسب، بل والى العمل الضخم الذي نضعه نصب أعيننا . وتظهر الصعوبات الحقيقية عندما يضل الشخص الطريق ويبدأ يتخبط، ولكن عندما يجد طريقه فسرعان ما تختفي أية صعوبات .

و نحن ندرك أن طريقنا صعب وشاق ولكنه الطريق المنشود للسعي إلى النور، وأحاديثنا المعادية للشيوعيين ليست وسيلة لتقليص هذا الطريق (و نحن نتفق معكم في ذلك) وإنما جاءت تصريحاتنا هذه نتيجة محاولة الشيوعيين بوضع العراقيل في هذا الطريق .

لقد شعرت بالطبع سيادة رئيس الوزراء، أن استياءكم من تصريحاتنا المعادية للشيوعيين جاء نتيجة للحرص على الدفاع عن ذلك الفكر الذي ينتمون إليه وحمايته من الخسارة التي من الممكن أن يتكبدها ذلك الفكر من جراء تصريحاتنا المعادية له .

إنني لا أعلم كيف استطعنا فضح نشاطهم بدون أن نطلق عليهم ذلك المسمى الذي يصفون به أنفسهم. أؤكد لك أنه على الرغم من أنني لا أرى أي داع للتأكيدات، إلا أنني أحترم وأقدر شعورك ليس فقط لاحترامي لمشاعر صديق، بل لاحترامي لمشاعر شخص مؤمن بالفكر الشيوعي، ولكن لا أعلم كيف يمكن الحديث عن نشاط الشيوعيين دون وصفهم بالشيوعيين ؟ !

والأمر الذي ساعد في تفاقم وتعقيد القضية تمثل في تصريحاتكم وكذلك التصريحات الصادرة من الصحافة والإذاعة لديكم . وفجأة وجدنا

أنفسـنا أمام حملة شرسـة ضدنـا منظمة على نطاق واسـع من قبـل صحيفة « ديلـي ووركـر» الصـادرة في لنـدن وصولا إلى صحيفـة « الرايـة الحمراء « الصادرة في الصين .

وبعد ذلك حاولنا بشـتى الطرق تضييق جبهة ذلك الخلاف، وكما لاحظت، لم يصـدر من جانبنا اي رد إزاء ما وجهته إلينا الصين الشـعبية . أما فيما يتعلق بتلك الجبهـة الضيقة التي حاولنا التصدي لهجماتهـا الموجهة ضدنا، فإن موقفنا هـذا يعتبر موقف دفاعي بحت أمـام وجه تحركـات هجوميـة، لم تقتصر فقط علـى الحمـلات الإعلاميـة الشرسـة، بل تطـور الأمر ليصـل إلى حـد العدوان الحقيقـي . أعتقـد أنـك توافقـني الـرأي في أن التحـركات الرامية إلى نسـف وتقويـض حلقـة الوصل بـين مصر وسـوريا وتدمـير الركيزة الأساسـية التي نهضت عليها الجمهوريـة العربية المتحدة، يُعد عدوانا حقيقيا ضد بلادنا .

وهكذا، سيادة رئيس الوزراء، يمكن وصف الوضع المتفاقم باختصار على النحو التالي :ـ

١. كنـا مضطريـن للدفاع عـن بلادنـا لمواجهة ذلـك النشـاط النابع من التنظيمات الشيوعية العاملة داخل حدود الجمهوريـة العربية المتحدة، وكان هذا هو الهدف من كلمتي التي ألقيتها يوم ٢٣ ديسمبر .

٢. بعـد ذلـك أصبحنـا مضطريـن للدفاع عـن أنفسـنا أمامكم بسـبب مساندتكم ودعمكم الشخصي لهذا الحزب الشيوعي، واتضح ذلك جليا من خلال الكلمة التي ألقيتها في المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي، على الرغم من أنه كان واضحا أن دفاعنا الذاتي في هذه الحالة اقتصر فقط على مقالة قام بنشرها أحد صحفيينا .

٣. ثـم أصبحنا مضطرين، بعد الإخفاقات التي تكبدناها طويلا، لحماية أنفسـنا مـن الهجمات الموجهـة من الحزب الشـيوعي بالعـراق ومن تلك الاتهامات التي يـكيلها ضدنا، ومـن محاولاته الواضحة لتعكير صفو العلاقات بيننا والشعب العراقي .

٤. وجدنا أنفسنا مضطرين بعد ذلك لحماية أنفسنا من دعمكم الواضح لهذا الحزب ونشاطه، وقد بدا ذلك واضحا من حديثكم الذي يعود ليوم ١٦ مارس .

٥. ثم وجدنا أنفسنا بعد ذلك مضطرين لحماية أنفسنا من تلك الحملة الشعواء التي شنتها ضدنا الأحزاب الشيوعية ومن تلك الحملة وذلك التنظيم القائم حتى يومنا الحالي في العالم أجمع . وهكذا فقد أصبحنا داخل دائرة مفرغة، لا نستطيع الصمت أمام التطاول على مبادئنا ومعتقداتنا وعلى سيادة أراضينا .

لا يمكن أن نلتزم الصمت إزاء كل تلك التطاولات من مواطني بلادنا ولا يمكن أن نصمت عندما يجد هؤلاء المواطنين القوة في الخارج الذي يقدم لهم الدعم والسند . لن يصبح الوضع أقل حدة، سيادة رئيس الوزراء، إذا ما أعربنا عن أسفنا إزاء استسلامكم وقناعتكم بتلك الحجج والبراهين التي يقدمها هؤلاء الأفراد ، الأمر الذي وضعكم في موقف صعب للغاية أمام الرأي العام العربي والرأي العام في القارتين الأفريقية والآسيوية . ومما لاشك فيه أن هذه الحجج والأدلة لا تستند إلى أي أساس من الصحة وتهدف فقط إلى تضليل الناس .

ولسوء الحظ، أن القضاء على جزء كبير من تلك الخسارة التي تكبدناها سيتم من خلال بذل مجهودات كبيرة .

لابد من الإشارة إلى أن تصريحاتنا المعادية للشيوعيين لا تُعتبر تصريحات معادية لمعتقدات محددة بعينها ، بل هي تصريحات لمواجهة تلك الحملة الشعواء الموجهة ضدنا .

اتضح كذلك أننا اضطررنا أن نكون في موقف مهاجم نتيجة لتلك المحاولات التي اتخذناها للدفاع عن أنفسنا .

يتضح كذلك أنكم تقومون بتقديم التصريحات المعادية للشيوعيين على أنها هجوم عليكم ويبدو أنكم ستضطرون لخوض معركة . أؤكد لك أننا لا نرغب في ذلك مطلقا ولا نسعى إليه .

لقد عارضنا نوري سعيد الذي كان مسلمًا، وعارضنا الأسرة المالكة بالعراق، التي ينحدر نسلها من النبي المسلم. نحن نعارض السياسة غير الصحيحة التي ينتهجها بعض الأفراد ولا نعترض على المعتقدات التي يؤمنون بها، وبالتالي فإن وضعنا في هذا الصراع معهم كان أصعب من وضعنا في الصراع معكم، لأن الديانة التي يعتنقوها هي نفس الديانة التي نفخر باعتناقها نحن. وهنا نبدو أننا ندور في حلقة مفرغة.

أؤكد لك من عميق قلبي أنني آمل أن نخرج من تلك الدائرة المفرغة ونصل إلى تحقيق الاستقرار في العلاقات القائمة بين دولتينا. وهي علاقات تُعد موضعا للفخر بالنسبة لنا.

أعتقد أنه لا داعي لكي أحصي لك كل الأدلة والبراهين التي تؤكد على مدى الصدق والإخلاص الذي تشهده علاقاتنا، وهي أدلة واضحة جدا.

نحن نؤمن بالتعايش السلمي ونؤمن بالصداقة بين الشعوب ونرفض الحرب لأنها تتعارض مع مبادئنا سواء كانت حربا «ساخنة» أو حربا «باردة».

وكما تعلم فإننا لا نمتلك السلاح لأجل «الحرب الساخنة» وليس لدينا فائض من الوقت لإدارة «حرب باردة» لاننا نحرص على اللحاق بركب التقدم للبشرية بأكملها، ذلك الركب الذي تخلفنا عنه بسبب القوى الإمبريالية.

و نحن إذ نقدر وقوفكم بجانبنا في عام ١٩٥٥ عندما تم إقرار التعاون الوثيق فيما بيننا والذي استمر حتى تلك اللحظة التي اندلعت فيها الأحداث المؤسفة في نهاية عام ١٩٥٨ ومطلع ١٩٥٩.

تدركون جيدا أن هذا الأمر له جانبان: لقد تفضلت، سيادة رئيس الوزراء، باستخدام أحد الأمثلة الشعبية الروسية في كلمتك، فلتسمح لي أن أستخدم مثلا عربيا شهيرا يقول: «يد لوحدها لا تسقف» ولطالما أننا نشعر أن موقفنا مخلص ونزيه، فإننا نحرص على صداقتكم والحفاظ عليها. لا نريد أن تظل أيدينا، التي مددناها لكم، معلقة في الهواء طويلا.

آمل أن يعم ويسود الهدوء علاقاتنا، ذلك الهدوء الذي يسمح لكلا الطرفين ببذل أقصى الجهود في إطار التفاعل النشط والبناء باسم التقدم والسلام.

وللتفضل سيادة رئيس الوزراء، بقبول خالص احترامي لشخصكم الكريم وأمنياتي الطيبة بالنجاح والازدهار لشعب الاتحاد السوفيتي العظيم[٦١].

المخلص

جمال عبد الناصر

١٢ مايو ١٩٥٩

---

(٦١) توجد ملحوظة في أسفل الخطاب جاء فيها: " تم ترجمة هذا العمل بواسطة مجموعة من المترجمين: سلطانوف، سيجال، شارباتوف، كوزمين، تشيرنيشوف، سيمانوفسكي ".

لقاء خروتشوف، رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي مع صلاح سالم، رئيس تحرير صحيفة «الجمهورية»[٦٢]

(تم نشر هذا اللقاء في صحيفة « الجمهورية «الصادرة في ١٠ نوفمبر ١٩٥٩)

سؤال: السيد رئيس الوزراء، منذ أن توليت مقاليد حكم الاتحاد السوفيتي وأنت تمارس سياسة إضعاف حجم التوتر الدولي ورفع شعار «النضال من أجل السلام». فأنت صاحب اقتراح وقف التجارب النووية، وقد حظي هذا الاقتراح بالنجاح، حيث تم وقف تلك التجارب بالفعل . وأنت كذلك صاحب اقتراح عقد اجتماع لرؤساء الحكومات لمناقشة القضايا الدولية وقد حظي هذا الاقتراح أيضا بالنجاح حيث سيتم عقد هذا الاجتماع قريبا . وكنت أيضا صاحب اقتراح نزع السلاح الشامل والكامل لدى كل دول العالم .

سيادة رئيس الوزراء، هل أنت متأكد من أن اقتراحكم الأخير سيحظى بالنجاح وسيتم تفعيله كما كان الحال مع اقتراحاتكم السابقة؟ وهل أنت متأكد من أن الدول الإمبريالية التي تعيش على حساب سرقة ونهب الدول التي تستعمرها، ستقبل مثل هذا المشروع الذي يعرقل مسيرتها عن سرقة ونهب ثروات ومقدرات تلك الشعوب المستعمرة ؟

-ج -: إذا لم تدافع الشعوب كلها عن هذا الاقتراح ... فإن الحكومات الإمبريالية لن توافق على مطلبي بنزع السلاح ولكني أعتقد أنهم في النهاية سيوافقون عليه تحت ضغط الشعوب والرأي العام العالمي ..... ولكن متى سيحدث ذلك، هو أمر لا أعلمه ...

(٦٢) ترجمة : إ.ايفسييف، من أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية، مخزن رقم ٨٧، ملف رقم ٢٠، حافظة رقم ٣٠، موضوع رقم ٩، الأسطر : ٥٧-٦٨.

سـؤال: هل تعتقد أنه من الممكن تفعيل عملية نزع السلاح الشامل بدون معالجة المشاكل والقضايا المعقدة والشائكة التي استمرت قائمة بين الدول

لوقت طويل ؟ فكيف لنا نزع السلاح إذا ما كان بيننا شعب لديه قوة عدائية مثل شعب إسرائيل ..... متى يعيش الشعب الفلسطيني بيننا الذي لا يعرف الحياة داخل جدران وطنه ؟!

ج. : أرى أنه ينبغي أن يكون هناك حالة من التعاطف والأخوة بين الشعوب كافة .... وإذا ما تخلينا عن هذا المبدأ، فإن الناس ستعيش مثل الكلاب .. وإذا ما نزعنا السلاح سنضطر لمعالجة كافة المشاكل والقضايا بالطرق السلمية إذن وبدون اللجوء إلى استخدام أي سلاح ... عن طريق التفاهم المتبادل . وعلي أية حال فإنني أؤمن بأن هناك وسائل ضرورية – بعيدة عن تلك العسكرية – قادرة على معالجة أية معضلة . أذكر على سبيل المثال، كان لدينا بالاتحاد السوفيتي في البداية عدد من المعضلات الصعبة، التي ظهرت بين شعوبنا ولكننا استطعنا التغلب عليها دون استخدام السلاح والآن أصبح هناك علاقة وطيدة وراسخة بين جمهورياتنا، ينبغي الوصول لمثل هذا الوضع بين كل الشعوب .

سـؤال: سبق وأن أعلنت في اجتماع مع القادة (هكذا كما ورد في النص)، إنك لا توافق على مناقشة القضايا التي تهم الدول غير المشاركة في ذلك الاجتماع . فهل تميل إلى وجهة النظر هذه ؟ ... هل يعني هذا انك تفضل وجهة النظر هذه لأنك تطلب في الاجتماع المقبل أن يكون هناك تمثيل لتلك الدولة، التي يتعلق بها قضايا محددة مطروحة للمناقشة ؟

ج.: هذا ليس امرأ حتميا بالطبع، إن طرح أية مشكلة متعلقة بدولة ما، لابد وأن يكون هناك تمثيل لهذه الدولة في منظمة الأمم المتحدة، لأن اجتماع القادة ليس مخصصا لتبادل الآراء فحسب بل ومعالجة كافة القضايا في إطار منظمة الأمم المتحدة وفي ظل حضور كافة الدول الأعضاء وممثليها . أرى أنه

من مصلحة العالم اجمع أن يتم إقرار التفاهم المتبادل بين الدول الكبرى وخاصة بيننا والولايات المتحدة الأمريكية ... أما فيما يتعلق بالقضايا الأخرى، فهي لا تشغل أهمية كبيرة بالنسبة للعالم اجمع وسيتم معالجتها فيما بعد .

سؤال: لقد أحرزت دولتكم نجاحا مرموقا في مجال العلوم والتكنولوجيا وفتحت الطريق لغزو الفضاء أمام البشرية كلها ..... إذا ما حدث نزع شامل للسلاح، هل انتم على استعداد لكشف أسرار الفضاء، التي توصلتم إليها، أمام كل علماء العالم ؟

ـج ـ: يجرى في الوقت الراهن عملية تبادل المعلومات، على نطاق محدود ، بين علماء الدول الأخرى ... وفي حالة تفعيل عملية النزع الشامل للسلاح، سنكون على استعداد لكشف كل الأسرار ولكن ليس الآن، لأن هذه الأسرار تحمل مغزى عسكريا كبيرا . أما فيما يتعلق بمرحلة ما بعد تفعيل عملية النزع الشامل للسلاح، فإن عملية تبادل المعلومات ستعود بالنفع على كافة الشعوب .ومن الطبيعي أن يوجد في هذا الوقت في كل دولة فرق تفتيش للرقابة على تنفيذ عملية نزع السلاح .

سؤال: تحدثت في كلمتك التي ألقيتها منذ عدة أيام أمام لجنة مجلس السوفييت الأعلى قائلاً: « تظل منطقة الشرق الأوسط والأدنى واحدة من أكثر المناطق توترا بالكرة الأرضية، فالوضع في تلك المنطقة مفعم بشتى أنواع المخاطر . في الحقيقة لم يعد هناك الآن تدخل عسكري مباشر من قبل الدول الاستعمارية في الشئون الداخلية لدول تلك المنطقة كما كان في الماضي، غير أن الوضع هناك مازال غير طبيعي...». ترى ما هي الأسباب التي تقف وراء هذا الوضع من وجهة نظرك ؟

ـج ـ : تشهد تلك المناطق في الوقت الراهن صداما بين المصالح وليس اشتباكا بين القوى .... ولهذا فقد أشرتُ إلى أن الوضع صعب هناك .... حيث تجد شعوب قد تحررت من غلال الاستعمار وشعوب أخرى ما زالت تئن من براثن الاستعمار وهناك شعوب تأمل وترغب في التحرر ... وهناك النفط، الذي يُعد ثروة

يملكها الشعب، غير أن الدول الإمبريالية تقوم بالحصول على هذا النفط مجانا باستخدام القوة والشعوب تتصارع لأجل استغلال نفطها : إذن فهناك صراع بين الشعوب والقوى الإمبريالية وكل هذا يُعد سببا لهذا الوضع المعقد .

سؤال: السيد رئيس الوزراء، أزعم بأن الرسائل الشخصية التي تبادلتها مع الرئيس جمال عبد الناصر في الآونة الأخيرة أوضحت الكثير ووضعت نهاية لتلك الأزمة التي اندلعت بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي . غير أن الأوساط الإمبريالية والصهيونية، التي حاولت بث بذور الشقاق بين الدولتين الصديقتين، مازالوا يؤكدون أن العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي لن تصبح متينة وراسخة كما كانت من قبل ... كنا نرغب لو أن توضح لنا الوضع الحقيقي لهذه العلاقات .

ـج ـ: إن العلاقات القائمة مع الجمهورية العربية المتحدة مازالت محتفظة بنفس المستوى الذي كانت عليه في الماضي .... أريد القول بأنه عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثي وبدت في وضع صعب للغاية، كان تعاطفنا وتعاطف الشعوب السوفيتية بالكامل لصالح الشعب المصري الذي يناضل لأجل نيل الحرية والاستقلال .

سؤال: سيادة رئيس الوزراء، هناك صراع دائر الآن بين الأحزاب الشيوعية العربية والوطنية في كثير من دول العالم العربي وإذا ما نظرنا إلى وضع الجمهورية العربية المتحدة على سبيل المثال، سنجد أن الأحزاب الشيوعية العربية تهاجمها وهم بذلك يخدمون مصالح الدول الغربية والصهيونية العالمية وإسرائيل وهذا يساعد في أن يلعب « التحرك هنا دوراً كاملاً بهذه المنطقة».

ـج ـ: لا أريد التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية .... ولكن إذا ما تحدثنا بوجه عام، فإنني أرى أن التفاهم المتبادل والتعاون بين كافة أطياف أي شعب سيكون له تأثير قوي على تهيئة الاستقرار والقضاء على الامبريالية...

سؤال: سرعان ما تحدث تحولات اجتماعية ومجتمعية عقب كل حركة تحررية وبعد طرد المستعمرين . وهذا يحدث عند معالجة المشاكل

الاجتماعية . وهذه التحولات من شأنها وأن تخلق وجهات نظر متناقضة فيما بينها حول تطوير البلاد ونهضتها... فبعد انتهاء نضال التحرير في الدول العربية وقع اشتباك بين القوى الوطنية والشيوعية : حيث يتبادل الطرفان الهجوم فيما بينهم . إذا ما هاجمت القوميات العربية الأحزاب الشيوعية التي تناضل معها، فهذا يمس مشاعركم كما جاء على لسانكم ذات مرة . كيف يمكن لنا معالجة هذه المشاكل دون المساس بمشاعركم وما هي الكلمة التي تليق بوصف ما حدث ؟

ج.: من الطبيعي أن نتعاطف مع كل من يحمل نفس أفكارنا ومبادئنا، لكن ليس لدينا أي اتصال مباشر معهم . اعتقد أن الوضع الحالي في الدول العربية لا يرحب بإقرار النظام الشيوعي ... [٦٣] أن دولتنا - الاتحاد السوفيتي - هي دولة أقوى منكم بشكل كبير، ولكننا حتى الآن لم نرسخ نظام شيوعي كامل كما ينبغي أن يكون . وأية حكومة جديدة عند قيامها بتأسيس دولتها (كما ورد بالنص) لابد لها وأن تجري مصالحة بين كافة فئات الشعب المختلفة ، أما فيما يتعلق بالوصف الذي سألتني عنه، فلا يوجد وصف لما حدث، فكل قائد يفكر بطريقته الخاصة.

سؤال: أخذ الحزب الشيوعي المصري منذ نشأته في مهاجمة ثورة ٢٣ يوليو، وبدأت حكومة الثورة بالقاهرة في محاربة نشاط هذا الحزب منذ أيامها الأولى. وقد بدأ الحزب هذا الصراع في غضون السنوات الأخيرة، عندما وصل التعاون فيما بيننا وبينكم إلى قمته . وفي الوقت نفسه، ألا تعتبرون أن هذه السياسة تشكل عراقيل تؤثر على العلاقات فيما بيننا .... هل تغير موقفكم في الوقت الراهن؟

ج.: سبق وأن قلت لك انه لا توجد أزمة في العلاقات الثنائية بيننا، فكل ما هنالك هي اختلافات فكرية وسياسية فقط . لديكم معتقداتكم ولدينا معتقداتنا . أعتقد أن الدول ذات الأنظمة السياسية والفكرية المختلفة قادرة على التعايش في سلام .

(٦٣) من المرجح أن يكون قد تم كتابة هذه الجملة بحروف بارزة عند نشرها بالصحيفة .

سؤال : كتبت صحيفة «تايمز» اللندنية في عددها الصادر في **٢٦** أكتوبر، إنكم قمتم بتغيير معاملتكم للدول المحايدة . ما هو رأيك، سيادة رئيس الوزراء، في هذا التصريح ؟

ـج ـ: نحن لانقوم بتغيير سياستنا مثل تغيير «الأحذية الليلية»، فنحن نلتزم بسياسة عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى . وندعم ونساند كل دولة تحارب التكتلات العسكرية . لدينا الرغبة في القضاء على تلك التحالفات العسكرية، وإذا ما وافق الغرب على حل تحالفه العسكري، سنوافق نحن على حل «حلف وارسو».

تحرص سياستنا دائما على دعم الدول المحايدة، ونرحب بأي دولة تسعى من أجل السلام والتعايش السلمي بين الشعوب . وهذه هي سياستنا التي كانت بالماضي وستظل بالحاضر والمستقبل بدون أية تغييرات ...... فنحن لا نغير سياستنا كما نغير « الأحذية الليلية «.

سؤال : السيد رئيس الوزراء، لقد ساعدنا الاتحاد السوفيتي في تسليح جيشنا منذ عام ١٩٥٥ ولن ننسى تلك المساعدة التي قدمها لنا بهدف قطع الطريق أمام احتكار السلاح الذي كنا نعاني منه منذ عام ١٨٤٠.... هل تغير سياستكم في هذا المجال ؟ مع الوضع في الاعتبار أننا نرحب بحفاوة باقتراحكم الخاص بنزع السلاح الشامل . من الطبيعي ألا توافق على أن نقوم بنزع السلاح بمفردنا لكي نوقف عملية التسلح في الوقت الذي نجد فيه الغرب و إسرائيل يواصلون التعاون في مجال تمويل السلاح؟

ـج ـ: إذا ما تقرر البدء في عملية نزع السلاح، لن يكون هناك أي حجة أمام أية دولة للحصول على السلاح . ولكن إذا لم يتم حل هذه المشكلة، فمن الطبيعي أن تظل أمامك إمكانية تسليح جيشك وسيظل أمامنا الفرصة لتقديم المساعدة لكم في الحصول على السلاح وماحدث بالماضي هو خير دليل على ذلك .

سؤال: السيد رئيس الوزراء، قدر الشعب العربي إسهاماتكم في تنفيذ المرحلة الأولى من إنشاء مشروع السد العالي ... تُرى إذا ما تقدمت الجمهورية العربية المتحدة بطلب لديكم للحصول على قرض لتمويل المرحلة الثانية من هذا المشروع، هل أنتم مستعدون لذلك ؟

-ج- :نرى أن مشروع السد العالي سيعود بالنفع على اقتصادكم و نحن على يقين من أننا سننتهي من إتمام المرحلة الأولى من بناء السد في المواعيد المقررة، وفيما يتعلق بالمرحلة الثانية، فإننا لم نتلق أي طلب من حكومتكم بخصوص ذلك .... وعلى أية حال إذا ما جاءنا هذا الطلب سنكون مستعدين لدراسته ووضعه محل الاعتبار في الوقت المناسب، وهذا هو رأي الخاص، فحكومتي لا تعلم أي شيء عن هذا الأمر .

سؤال: هل يمكنني القول بأنك موافق على هذا الأمر من حيث المبدأ ؟

-ج-: أؤكد لك أنه في حالة التوجه بمثل هذا الطلب، فإن حكومتنا ستناقشه بكل اهتمام لأن مشروع إنشاء السد العالي سيعود بعظيم النفع على شعب الجمهورية العربية المتحدة . وإنني متأكد من أننا مستعدون لتقديم المساعدة للشعب العربي كما سبق وأن ساعدناه من قبل لبناء اقتصاده على أساس راسخ ومتين وبشكل مستقل .

سؤال: السيد رئيس الوزراء، نعرب عن بالغ وعميق شكرنا وامتناننا لكم للقرض الذي قدمتموه لنا بمبلغ ٦٢ مليون جنيه مصري، والذي ساعدنا في تنفيذ مشروعات التصنيع في بلدنا . وعلى حد علمي فقد تبقى من هذا القرض هو ١٨ مليون جنيه، هل أنتم على استعداد لتقديم قرض جديد بنفس الحجم للمساعدة في بناء وتصنيع الدولة الجديدة بعد أن نقوم بسداد وتسوية القرض الأول ؟

-ج-: نحن موافقون من حيث المبدأ ومستعدون لمساعدتكم في تنمية وتطوير اقتصادكم الوطني عن طريق تقديم القروض . فقد أصبح لدينا الكثير من الفرص لتقديم المساعدة والقروض نتيجة تنمية وتطوير اقتصادنا وفقا لخطة السنوات السبعة التي وضعناها لبلادنا.

سؤال: وافقت حكومتكم من قبل على قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين وعودة اللاجئين إلى منازلهم ودفع التعويضات لهم . اقترح الرئيس جمال عبد الناصر مؤخراً تشكيل لجنة تابعة لمنظمة الأمم المتحدة للرقابة على تنفيذ تلك القرارات . ما رأيك في هذا الاقتراح ؟

ج : لا أتذكر الآن تفاصيل هذا الاقتراح، ولكننا نتعاطف مع العرب واللاجئين الفلسطينيين .

سؤال: لم تعرب عن وجهة نظرك من موقف إسرائيل في مسألة الملاحة بقناة السويس ..... هل لي أن أسمع رأيك في هذه المسألة ؟

ج : تقع قناة السويس في الأراضي المصرية، وبالتالي فهي تُعد من مقدرات وممتلكات الجمهورية العربية المتحدة، ولديكم كل الحق خاصة وأنكم في حالة حرب مع إسرائيل . المشكلة واضحة بشكل كامل .

سؤال: ما هي وجهة نظركم إزاء نزوح اليهود من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل ؟... خاصة وأن بن جوريون يخرج بتصريحات من حين لآخر حول هذا الشأن .

ج : إن تصريحات الحكومة الإسرائيلية مليئة بالأخطاء ولا تستند لأي أساس من الصحة، وعلى النقيض فإنني أعلم إن اليهود الذين ينزحون من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل، سرعان ما يفرون من إسرائيل طالبين العودة مرة أخرى إلى الاتحاد السوفيتي نظراً لتدني وصعوبة مستوى المعيشة في إسرائيل .

سؤال: كتبت بعض الصحف الغربية أن شخصية إسرائيلية مسئولة رفيعة المستوى، لا أتذكر اسمه تحديداً، أجرى لقاءات معكم أثناء جولتكم بالولايات المتحدة الأمريكية بهدف التوصل إلى تفاهم متبادل حول مسالة هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل . هل تسمح لي سيادة رئيس الوزراء بالاستماع إلى تعليقك حول هذا النبأ.

ـج ـ: عندما كنتُ في زيارة للولايات المتحدة الأمريكية، كنتُ في كامل قـواي العقلية وأتمتع بذاكرة قوية ولا أذكر أن يكون هناك شـخص ما قد أتى للقائي والحديث معي في هذا الشأن.

سـؤال: ولهذا أردتُ أن أبلغكـم بأن رفضكم اللقاء مع أحـد قادة الحركة الصهيونيـة أثنـاء جولتكـم الأخيرة بأمريـكا كان محل فخـر واعتزاز لدى المشـرق العربي ... كنا نرغب في أن توضح لنا الأسـباب التي دفعتك لاتخاذ هذا الموقف ومعرفة وجهة نظرك حول نشاط المنظمات الصهيونية الدولية .

ـج ـ: لا تجمعنا أية مصالح مع هذه المنظمات، ولا نرغب مطلقاً في أن يـكون لدينا أية مصالح معهم.

سـؤال: جـاء علـى لسـانكم في الكلمـة الـتي ألقيتهـا أمـام دورة مجلس السـوفييت الأعلى، أن الشعب السوفيتي مثل باقي شعوب العالم المحبة للسلام، يشـعر بالقلـق إزاء الحرب المشـتعلة في الجزائر منذ خمس سـنوات . هل لي أن اعـرف وجهـة نظركـم إزاء الإجـراءات الـتي سـتؤدي إلى تقرير مصير الشـعب الجزائري ؟

ـج ـ: مـن الضروري وأن يتم تقديم حق تقريـر المصير للشـعب الجزائري . وفي حالـة إذا ما تم إتاحة هـذا الحق له، فمن المفترض وأن يعبر عن رأيه بكـل حرية ويـقرر مصيره بنفسه .

سؤال: كيف يتم إتاحة التنمية الحرة والمستقلة في الوقت الذي يـواصل فيه الجيش الفرنسـي احتلاله لأراضـي الجزائر أثناء إجراء الاستفتاء ؟

ـج ـ: مما لاشك فيه أنه في حالة استمرار هذا الاحتلال، فلن يصبح لدى الشعب الجزائري الفرصة في التعبير عن إرادته بكامل حريته . يمكن تسـوية كل ذلك وباقي التفاصيل الأخرى ومعالجتها في ظل التفاهم المتبادل بين الطرفين .

المشاجرة المنسية(٦٤)

حاول الطرفان البحث عن فرصة لإطفاء نيران تلك المشاجرة التي وقعت بينهما. فقد وصل ايجناتي نوفيكوف - وزير الكهرباء الروسي - في زيارة لمصر في يناير ١٩٥٩ (٦٥) للمشاركة في بدء عملية تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع بناء السد العالي. وكان خروتشوف قد أرسل معه خطاب لطيف ومتواضع إلى عبد الناصر، جاء فيه أن الوزير سيكون تحت تصرف عبد الناصر لمناقشة أية موضوعات يريد طرحها. وكان هناك هدية صغيرة مع الخطاب تمثلت في: علبة شوكولاته وعلبة كافيار.

كان يحرص جمال عبد الناصر للالتقاء مع أي وزير سوفيتي، وكان يحرص كذلك على أهمية الحديث مع نوفيكوف قبل الاحتفال الرسمي في أسوان. وبالفعل تم تنظيم لقاء حضره السيد موسى عرفة، وزير الأشغال والمهندس الفني المسئول عن مشروع بناء السد العالي. وقد تم تسليم الخطاب والهدية أثناء هذا اللقاء. قال ناصر لنوفيكوف أنه يعتبر أن الاحتفال في أسوان أمر على قدر من الأهمية لدرجة أنه فكر في تصنيع ميداليات ذهبية بهذه المناسبة. وقال عبد الناصر: «أريد إرسال إحدى تلك الميداليات إلى خروتشوف لكي يرتديها يوم الاحتفال».

سأل عبد الناصر نوفيكوف حول وجهة نظره تجاه عملية بناء السد العالي، أجابه نوفيكوف أنه يرى أن تقسيم عملية البناء والتشييد إلى مرحلتين هي عملية مكلفة وستخلق المشاكل. جاء على لسانه يقول: «نحن نقترح على سبيل المثال تحريك كمية كبيرة من الأحجار في المرحلة الأولى ولكن

(64) Hiekal , Mohamed .Sphinx and Commissar,PP.110-111.

(٥٦) التاريخ خطأ والصحيح هو يناير ١٩٦٠ .

بعد انتهاء بنائه، سنضطر لإعادة تلك الأحجار إلى أماكنها في المرحلة الثانية. أما إذا دمجنا المرحلتين في مرحلة واحدة، سنستطيع نقل وإزاحة الأحجار في المكان المناسب».

درس الخبراء المصريون هذه المشكلة وقدروا أنها ستزيد من ٢٥-٣٠٪ من تكلفة المرحلة الأولى. قال عبد الناصر لنوفيكوف في الحال: «لقد كنا نفكر دوما في أن تقسيم المشروع إلى مرحلتين هو أمر مكلف للغاية. هل يوافق خروتشوف على مناقشة المرحلة الثانية الآن؟ فهذا مطلبي الرسمي». بالطبع كان هذا الطلب بمثابة مفاجأة لنوفيكوف وقال أنه سيتصل بخروتشوف لإبلاغه بهذا الطلب.

جرى الاحتفال بأسوان في التاسع من يناير وحتى هذا الوقت لم يكن نوفيكوف قد حصل على رد من خروتشوف إزاء طلب عبد الناصر، وبقى نوفيكوف بمصر في انتظار الرد. انعقد اجتماع المكتب السياسي يوم السابع عشر من يناير وفي اليوم التالي خرج نوفيكوف بالبشرى السارة ليعلن أن الاتحاد السوفيتي مستعد لتمويل المرحلة الثانية من بناء السد العالي. واقترح خروتشوف أنه نظراً لضيق الوقت، فإنه ينبغي صياغة هذا القرار من خلال تبادل الرسائل بينه وعبد الناصر. وبعد عدة أيام وأثناء حفل الاستقبال بإحدى السفارات بموسكو، أعلن خروتشوف: «لقد نسينا خلافنا مع مصر، فقد كان ذلك مجرد سوء تفاهم ومضيعة للوقت».

الفصل الرابع

لقاءات في نيويورك

تسجيل حديث ن. س. خروتشوف مع جمال عبد الناصر

٢٠ سبتمبر ١٩٦٠[٦٦]

بعد تبادل السلام والتحية، قال عبد الناصر أنه سمع أن ن.س.خروتشوف يلقي كلمة أمام الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة .

يجيب ن.س.خروتشوف أن هذا اللقاء جاء نتيجة تراكم الكثير من المشاكل المعقدة والتي كان لابد من معالجتها وإيجاد حلول لها . يواصل خروتشوف حديثه، هناك البعض ممن يتحدث بعبارات الترحاب والحفاوة ولكننا نعبر عما يدور في رأسنا بشكل مباشر وصريح .

يقول جمال عبد الناصر إن الصحف الأمريكية تحاول تركيز اهتمام الرأي العام على ما يصفونه « بهجوم ن.س.خروتشوف على منظمة الأمم المتحدة »، تاركين قضايا نزع السلاح والاستعمار جانباً. يشير ن.س.خروتشوف إلى أن هؤلاء هم الأمريكان يصدرون نغمة كيفية الحديث، ولكن هذا لا يهم فقد فهمنا حقيقة الاستعمار .

يشير عبد الناصر إلى أن إحدى تلك الصحف تكرر عبارات كريستيان هرتر وكتبت تقول إن ن.س.خروتشوف يكاد يكون قد أعلن الحرب على منظمة الأمم المتحدة .

يجيب ن.س.خروتشوف أن الأمريكان يريدون الاحتفاظ بمنظمة الأمم المتحدة باعتبارها إحدى فروع الخارجية الأمريكية، وهامرشيلد يلعب دور نائب كارتر . غير أن هذا الوضع لا يمكن وأن يستمر، فلا يجوز أن يأتي

---

(٦٦) قام بتسجيل هذا الحديث ف.سوخودريف، الصراع الشرق أوسطي : ١٩٥٧–١٩٦٧ من وثائق أرشيف السياسة الخارجية لدولة روسيا الاتحادية، موسكو، ٢٠٠٣، من ص ص ٣٣٤–٣٤٠ .

كل وزيـر خارجية لينفذ إرادة أمريـكـا . ولن تتحمل أمريكا أن يتم اختيار وزير خارجية ليقوم بخدمة وتلبية مصالح الدول الاشتراكية .فما الذي يجعلنا إذن نصـبر على مثل هذا الوضع، عندما يصبح الأمين العام للأمم المتحدة مجرد أداة طيعـة في أيـدي القوى الإمبرياليـة بالولايات المتحـدة الأمريـكية ؛ ولهذا فقـد تقدمنا باقـتراح حول انتخـاب الأمين العـام لمنظمة الأمم المتحـدة على أن يتألف هذا المنصب من ثلاثة أفراد : أحدهم يمثل الدول الإمبريالية التي يترأسـها الولايـات المتحدة الأمريـكيـة، الثاني يمثل الدول الاشـتراكية والثالث يمثل دول الحيـاد . والانتخـاب على هذا الأسـاس لن يمثـل أي ضرر لا علـى الولايات المتحدة الأمريـكية ولا دول الحياد ولا الدول الاشتراكية . فهل هذا أمر سيئ؟

فالأمريـكان الآن لايريـدون أن يكـون هناك وضع متكافـئ، و نحن لا نريد التعامل مع مثل هذا الوضع غير المتكافئ .

فالأمريـكان يقترحون بعد إبرام اتفاق نزع السـلاح، إنشـاء قوات مسـلحة دولية . سـيظهر ذلك السـؤال : من الذي سيقود تلك القوات المسلحة إذن ؟ إذا ما كان هامرشـيلد هو الذي سـيقودهم، فهذا يعني أن تلك القوات ستصبح تحت قيادة الولايات المتحـدة الأمريـكية . وكما ترون، يؤكد ن.س.خروتشـوف، فإن هذه قضية مهمة، بل هي قضية كل القضايا . وطالما أنه لم يُحسم مسألة انتخاب الأمين العام للأمم المتحدة، فبالتالي لن يتم حسم مسألة نزع السلاح.

واليـك مثال الكونغو، فقد تم إرسـال قوات دولية مسـلحة إلى هناك تابعة لمنظمة الأمم المتحدة غير أن هامرشيلد هو من كان يقود تلك القوات، فانظروا إلى ما آلت إليه .

إذا مـا تم معالجـة القضايا على هذا النحو فيما بعـد، فإن الأمريـكان بذلك يرغبون في إرسـال قوات دولية مسـلحة إلى الاتحاد السـوفيتي و نحن بالطبع لن نوافـق على ذلك . وسـيكون الأفضل في هـذه الحالة هو العيـش تحت تهديد الصواريـخ، أفضـل مـن العيـش تحت تهديـد قوات دولية مسـلحة تحـت قيادة الولايات المتحدة الأمريـكية .

إن تشكيل الأمانة العامة للأمم المتحدة لتتكون من ثلاثة أفراد هو أمر قد عكس الوضع الحقيقي الذي تشكل اليوم في العالم، الذي يشهد ثلاثة مجموعات من الدول ذات الأنظمة السياسية والاجتماعية المختلفة .

يؤكد ن.س.خروتشوف على أنه ليس بمقدور أي طرف اليوم تغيير هذا الوضع الحالي للواقع ؛ ولهذا لم يكن مصادفة عندما دعوتك، سيادة الرئيس، منذ وقت بعيد لكي تصبح شيوعياً ولكن هذا لم يحدث وهو ما يدعوني للأسف .

يشير جمال عبد الناصر وهو يمزح إلى أن ن.س.خروتشوف قد نجح في إحراز بعض التقدم في هذا الطريق . وهنا يبتسم ن.س.خروتشوف و يجيب أنه إذا ما كان هناك مثل هذا النجاح بالفعل فهو للأسف لم يلاحظه .

يواصل ن.س.خروتشوف حديثه موضحا أن كل واحد فينا يصر على رأيه . وهذا أمر مشروع للغاية نظراً لأن عبد الناصر يميل في بعض القضايا إلى أفكار تتعارض مع أفكارنا بصورة مباشرة .غير أن منظمة الأمم المتحدة باعتبارها منظمة دولية، لا يجب وأن تتحرك لخدمة مصالح مجموعة واحدة من الدول. ويتوجه خروتشوف بالسؤال إلى ناصر قائلاً: «هل توافق على اختيار أمين عام للأمم المتحدة يكون شيوعيا ؟ بالطبع لا . ولهذا فلماذا لزاما علينا إذن أن نوافق على أن يكون هذا الأمين العام هو الشخص الذي ينفذ إرادة ورغبة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها ؟ ولهذا أرى أنه من الضروري وأن يشغل هذا المنصب ثلاثة أفراد .

يجيب جمال عبد الناصر أن عمل الأمين العام للأمم المتحدة يتحدد وفقًا للصلاحيات التي قدمها له مجلس الأمن الدولي .

ثانيًا : يتوقف عمل الأمين العام على من يقوم بتطبيق القرارات المتخذة. فقد رفضت قوات الجمهورية العربية المتحدة على سبيل المثال إطلاق النيران على الجنود في الكونغو عندما أصدرت قيادة الأمم المتحدة الأمر لهم بالاستيلاء على المطار في ليوبولد فيل.

ويشير عبد الناصر إلى أن اختيار الأفراد الذين يتعين عليهم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة يُعد مسألة هامة للغاية، فقد تصرفت هيئة الأمم المتحدة في الكونغو بالشكل الذي يخدم مصالح دول الغرب . وأعلنت حكومة الجمهورية العربية المتحدة أنها ستسحب قواتها من الكونغو إذا ما سيتم استغلالهم للاستيلاء على المطار ومبنى الإذاعة في ليوبولد فيل .

يعلق خروتشوف على أن هذا القرار صحيح، حيث يتصرف هامرشيلد في الكونغو وفقا للأوامر الصادرة له من الخارجية الأمريكية لصالح الولايات المتحدة الأمريكية .

يجيب عبد الناصر أن الأمم المتحدة تتصرف في الكونغو بشكل معادي لحكومة لومومبا بكل تأكيد، فهم يحاولون عزله بهدف إسقاط الحكومة التي يترأسها .

يوافق خروتشوف على هذا الرأي، ويقول أن هذا الأمر مخالف للقانون، فالأمم المتحدة تهاجم حكومة شرعية تم انتخابها بطريقة مشروعة . ولهذا فقد توجه لومومبا بطلب إلى الأمم المتحدة يطلب فيه إرسال قواتها إلى الكونغو لدعم النظام هناك .

والآن تقوم تلك القوات بمهاجمة الحكومة التي دعتهم لأراضيها . هذه هي سياسة الأوغاد . سياسة الأمريكان الذين لا يعترفون إلا بالقوة فحسب . فلماذا إذن يتعين علينا الخضوع والمثول لمثل هذه السياسة، في الوقت الذي يوجد لدينا القوة اللازمة لمقاومتها . و نحن لا نتطاول على مصالح أمريكا مطلقا . بل ينبغي على هامرشيلد ألا يتحرك فقط لخدمة مصالح الأوساط الإمبريالية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية فحسب، بل و يخدم مصالح الدول المحايدة والاشتراكية . فلا يوجد شخص قد أعطاه الحق في معالجة المشاكل والقضايا في نطاق يخدم مصالح مجموعة واحدة من مجموعات الدول الثلاثة . فالأمين العام للأمم المتحدة هو المسئول عن مراعاة مصالح تلك المجموعات الثلاثة من الدول .

يـؤكــد ن.س.خروتشــوف قائلا : أنني لا أهاجم هنا شــخص هامرشــيلد ، فهو على الأقل ليس أسـوأ المرشـحين لشـغل منصب الأمين العام للمنظمة الدولية، ولكنني أهاجم ذلك النظام الذي يـعكس الوضع الحالي الذي تشـهده الكرة الأرضيــة . فقــد باتت الفرصة سـا نحة الآن أمـام الولايات المتحـدة الأمريـكية لكــي تفعل ما تريده من خلال منصب الأمين العــام لمنظمة الأمم المتحدة . هيا بنا لنتحرك إذن لتصحيح هذا الوضـع الخاطئ وهناك طريقة واحدة لتصحيح هذا الوضع يتمثل في اختيار ثلاثة شـخصيات لشـغل منصب الأمين العام لهذه المنظمــة الدولية، بحيث يمثل كل شـخص مجموعات الـدول الثلاثة . عندئذ سـتقومون بانتخـاب من يمثل مجموعــة دول الحيــاد التي تنتمــون إليها و نحن سـنختار من يمثلنــا وكذلك الحال بالنسـبة للدول الإمبريالية. وبالمناسـبة إذا ما تقدموا بترشـيح هامرشـيلد لشـغل هذا المنصب، فإن الحكومة السوفيتية لــن تعترض على ذلك . وفي هــذا الوقت، يـقوم الضيوف برفـع أيديهم بكئوس الكونياك ويشـير ن.س. خروتشوف في مزحة إلى النادل، يبدو أنه غير محنك، ولا يـعلم أن العرب لا يشربون الخمور أمام العامة، فهم يشربون على انفراد وهم جالسين أمام المرآة .

يتحدث جمال عبد الناصر وهو مبتسـم في هذه الحالة لابد وأن يُعطى كل عربي حاضر هذا اللقاء مرآة خاصة به .

يجيب خروتشـوف بنفس الابتسامة، موضحا أنهم ليسوا في حاجة لمرآة وإنما لغرفة منفصلة. ويواصل خروتشوف حديثه عن القوى الإمبريالية وعدم رغبتهم في نزع السلاح ؛ ولذلك فهم يتمسكون بمسألة إعادة هيكلة الأمانة العامة لمنظمة الأمم المتحدة . وعلى أية حال، فإذا ما رفضوا معالجة قضية نزع السلاح، فنحــن على اسـتعداد للعيش في ظل الاحتفاظ بالقوات المسـلحة، فقد أسسـنا جيشا ليس سيئا ويمكننا الحفاظ عليه .

يقـول عبد الناصر أن وزيـر الخارجية الإ نجليزي هيـوم ونظيره الأمريـكي كـارتـر قـد اعترضـا في صـوت واحـد علـى اقـتراح ن.س.خروتشـوف الخاص بتشكيل منصب الأمين العام للمنظمة من ثلاثة أعضاء.

يشير ن.س.خروتشوف إلى أن القوى الإمبريالية تريد أن يوافق الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية على عملية نزع السلاح، لكي يقوموا بحل قواتهم المسلحة ويقضون على التسليح لديهم، ثم تأتي مرحلة تشكيل قوات دولية مسلحة تكون تحت قيادة تلك القوى الإمبريالية . ويبدو واضحا لكل إنسان عاقل أنه لا فائدة من كل ذلك، فكما يقول الروس ليس لدينا حمقى، فقد كانوا موجودين بالماضي ولكننا قمنا بطردهم جميعاً والآن ينبغي البحث عن هؤلاء الحمقى لدى الخارجية الأمريكية .

يقول عبد الناصر أن الجمهورية العربية المتحدة قد أدركت بالفعل ماذا تعني القوات المسلحة الدولية التابعة للأمم المتحدة عندما تم إدخال هذه القوات إلى الأراضي المصرية عقب اندلاع العدوان الثلاثي على مصر . وقد أرادت الحكومة المصرية في ذلك الوقت إرسال طائراتها إلى إحدى المطارات الواقعة في سيناء، وهو مطار محتل من قبل الأمم المتحدة، غير أن قيادة الأمم المتحدة لم تسمح بذلك، بحجة أن هذا المطار لا يقع ضمن ملكية الحكومة المصرية وإنما هو خاضع لمنظمة الأمم المتحدة . ردا على ذلك، نجحت الحكومة المصرية في إرسال بطارية من جنودها إلى هذا المطار وعندئذ قامت قيادة الأمم المتحدة بإطلاق سراح الطائرات المصرية بالمطار. ويشير عبد الناصر إلى أن الكارثة تكمن في عدم وجود مثل هذه البطارية من الجنود لدى لومومبا .

يعرب ن.س.خروتشوف عن موافقته لحديث عبد الناصر .

يستطرد عبد الناصر مواصلا حديثه، ويذكر مثالا آخر، فقد أرادت الحكومة المصرية إرسال محافظها إلى منطقة غزة التي كانت محتلة من قبل قوات منظمة الأمم المتحدة، غير أن قيادة تلك المنظمة رفضت هذه المرة أيضا السماح بدخول محافظ مصري إلى تلك المنطقة، عندئذ أعلنت الحكومة المصرية أنها سترسل المحافظ برفقة كتيبة من القوات المصرية، واضطرت قيادة المنظمة الدولية الاستسلام للأمر .

يقـول ن.س.خروتشـوف أن هـذا يُعد تأكيـدا ودليلا واضحا على سياسة البلطجة التي يمارسـها هامرشيلد باسم الأمم المتحدة . وإذا ما كان هناك ممثل للـدول المحايـدة والاشـتراكية بالأمانـة العامـة للمنظمة الدوليـة إلى جانب هامرشيلد لما سمحوا بمثل هذا الوضع .

يواصل ن.س.خروتشـوف حديثه موضحا أن القوى الإمبرياليـة أصبحت وقحة للغايـة . أذكـر عندما كنـتُ في إنجلترا في عـام ١٩٥٥، كنـا في مباحثات مـع إيـدن و لويد، قال إيدن آنذاك أنه إذا ما تفاقمت الأوضاع في الشـرق الأدنى على النحو الذي يحرم إنجلترا إمكانية الحصول على مصادر النفط، سـتعلن إنجلـترا إذن الحـرب لأنهـا لا يمكـن أن تعيـش بدون نفـط . قلتُ لـه آنذاك : «وهل اتفقتم على اسـتيراد هذا النفط وفقا لعقود تجارية . إذا ما حاولتم فرض إرادتكم بالقوة فإن الاتحاد السوفيتي سيتدخل ولن يسمح بذلك».

يشير عبد الناصر إلى أن إيدن يذكر تلك المباحثات في مذكراته .

في حين يقول ن.س.خروتشوف إنه عقب هذا الحديث، والذي لم يستطع إيدن أن يكتبـه في مذكراتـه، لأنـه لم يكن يعلم أن الوفد السـوفيتي بإنجلترا قـد توصل إلى نتيجـة مفاداها أن الإنجليز يحاولون توجيـه التهديدات للاتحاد السوفيتي، وتم اتخاذ قرار مغادرة إنجلترا في حالة إذا ما واصل الإنجليز التصرف علـى هذا النحو الوقح . ولكن في اليوم التالي أخذت الحكومة الإنجليزية في تغيير النغمة بعد أن رأت انه تم مقاومتها.

يشـير ن.س.خروتشـوف إلى أن أخـلاق الإمبرياليـين هـي أخـلاق وسـلوك بلطجـي. فعندما يرون أنهم قادرون على خنق شـخص ما، فإنهم حتما يقومون بخنقه، وإذا ما رأوا انه ليس لديهم القوة الكافية لذلك، يبدأون في احترامه .

يضيـف عبد الناصر مثـال آخر حول كيفيـة تعامل الـدول الإمبرياليـة مع الدول التي ترفض الخضوع لهـا، يقول إن إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية كانوا قد وعدوا بتمويل مشـروع بناء السـد العالي بأسـوان، وبعد ذلك تخلوا عن تلك الوعود .

يتحدث ن.س.خروتشوف أنه أثناء شن العدوان الثلاثي على مصر، قامت الحكومة السوفيتية بناء على اقتراحه، بإرسال خطاب إلى حكومات إنجلترا وفرنسا يتضمن تحذير من تداعيات ومغبة ذلك العدوان . وفي الوقت نفسه، فقد اقترحت الحكومة السوفيتية في خطابها الموجه إلى شخص الرئيس الأمريكي إيزنهاور ضرورة التحرك المشترك لمواجهة هذا العدوان الذي شنته إنجلترا وفرنسا . وبعد أن تلقى إيزنهاور هذه الرسالة، أصابته حالة من الهلع والرعب : فكيف للولايات المتحدة الأمريكية أن تهاجم حلفاءها ؟ وكانت الحكومة السوفيتية تعلم جيدا أن الولايات المتحدة الأمريكية لن توافق على هذا التعاون مع الحكومة السوفيتية ضد أصدقائها ولكنها بعثت بتلك الرسالة لكي تفضح الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تدين العدوان الثلاثي على مصر قبل وقت قصير من استلامها هذه الرسالة .

وفيما بعد عندما حاولت القوى الامبريالية غزو الأراضي السورية، اتخذ الاتحاد السوفيتي خطواته المعروفة تجاه تركيا، لأن هؤلاء الامبرياليين اعتزموا مواجهة سوريا على أيدي تركيا . وبعد ذلك قام الأتراك بقصف كل قيادتهم العامة، لأن الحكومة السوفيتية قد أشارت إلى القطع العسكرية المفترض وأن تشارك في العدوان، وقد تم الإشارة إليها بشكل دقيق على خريطة القيادة العامة التركية .

يشير عبد الناصر إلى أن القوى الإمبريالية تقوم الآن بتكثيف جهودها في منطقة الشرق الأدنى مستغلة بذلك الأردن، إسرائيل بالتعاون مع تركيا وإيران .

يشير ن.س.خروتشوف إلى أن الأتراك لا يستطيعون خوض أية مغامرة بالمنطقة في الوقت الحالي . ولكن بمقدور القوى الإمبريالية استغلال كل من الأردن وإسرائيل لتحقيق أهدافها .

فقد بات الوضع مختلفا الآن : حيث أصبحت الجمهورية العربية المتحدة أكثر قوة عن ذي قبل، حتى إن الوضع الدولي كذلك لم يعد في صالح تلك

القـوى العدوانية كما كان في الماضي . والمعسـكر الاشـتراكي هو الآخر أصبـح أكثر قوة مما كان عليـه وقت العدوان الثلاثي علـى مصر : حيث لم يكن لدى الإتحاد السوفيتي آنذاك صواريخ باليستية، والتي بمقدورها الوصول لأيـة بقعة في أراضـي الولايات المتحـدة الأمريكية عند إطلاقهـا من الاتحاد السـوفيتي . وهـذا هو ما أكدتـه التجارب الأخيرة لتلك الصواريخ السـوفيتية والـتي أصابت أحدهـم منطقة محددة بالقرب من ميناء بـيرل هاربر. وقد أكدت الولايـات المتحدة الأمريكية بنفسـها دقـة إصابة تلك الصواريـخ بعد قيامها بإرسـال قواربها وطائراتها إلى المنطقة التي سقط فيها الصاروخ وهذا من شأنه أن يؤكد صحة وسلامة أقوالنا ويثبت أننا نقول الحقيقة دائما .

يشـير ن.س.خروتشـوف إلى حديث الجميع عن تغيير هيكل الأمانة العامة لمنظمـة الأمم المتحدة ويمزح السـيد أ.أ جروميكو بقوله أنـه يتعين الآن إقناع السيد فوزي، وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة بذلك.

يضيـف ن.س.خروتشـوف أنـه إذا مـا تم ترشـيح أسمـاء هامرشـيلد ، فوزي، وجروميكـو لمنصـب الأمـين العـام لمنظمـة الأمـم المتحـدة، فـإن الحكومـة السـوفيتية سـتصوت بـكل ارتياح لأسماء هؤلاء المرشـحين. ويشـير السـيد فوزي إلى أن الدول الإمبريالية لن توافق علـى ترشـيح جروميكو ونظيره، لأنهم يعلمون أنهم أصدقاء وحلفاء من عهد بعيد .

يشير ن.س.خروتشوف إلى أن الأمريكان الآن لا يتمتعون بالغالبية المعهودة لهـم في أروقة منظمة الأمم المتحـدة . إذ أن الغالبية الآن في تلك المنظمة الدولية لصالح دول آسيا ، أفريقيا ودول المعسكر الاشتراكي .

يشير عبد الناصر إلى وجود مشكلة لدى الدول الأفريقية،حيث هناك عدد كبير من تلك الدول لازالت خاضعة لهيمنة فرنسـا ولابد لهم من مزيد من الوقت للحصول علـى الاستقلال التام . في حين يـؤكد ن.س.خروتشوف علـى موافقته التامـة مع حديث عبـد الناصر ويقول أنه سمع أثناء حضـوره اجتماع الجمعية

العامة للأمم المتحدة، سمع ممثلي هذه الدول وهم يتوجهون بالشكر للدول التي كانت مستعمرة لهم على منحهم الاستقلال . يبدو إذن أن هؤلاء الأفراد لم يتعافوا نفسيا بعد من حالة الرق والعبودية التي سببتها لهم الدول الاستعمارية ولا زالوا يتملقون هذه الدول .

يرى عبد الناصر أنه من الضروري في هذا الصدد تشجيع رغبة هذه الدول للوصول إلى الاستقلال الحقيقي . والدول التي تحررت ونالت استقلالها في أفريقيا سيكون لها أهمية كبيرة في هذا الشأن، لأنهم سيؤثرون على الدول الاستعمارية . فها هو سيكو توري يؤثر بشكل كبير على منطقة غرب أفريقيا . و نجاحه هذا يحفز على أن يكون نموذجا يقتدي به، وعدم نجاحه يُعد فشلاً عاماً . وتأمل الدول التي تحررت في أفريقيا أن يصبح لومومبا حافزا لهم في طريق نيل استقلالهم . ولهذا تقوم القوى الإمبريالية بتجنيد كل قواها لمحاربة لومومبا .

من الجدير بالذكر أنه منذ عامين وأثناء إجراء استفتاء عام، قامت المستعمرات الفرنسية في أفريقيا بالتصويت على البقاء في عباءة المجتمع الفرنسي، غير أن نموذج غينيا قد أدى إلى أن هذه الدول أصبحت تطالب بمزيد من الحرية والاستقلال .

يرى خروتشوف أن عملية تحرير الشعوب بالقارة الأفريقية قد بدأت تشق طريقها ولن يوقفها أي شخص . وإذا ما كان هناك بعض القادة بالدول الأفريقية قد ساروا في ركاب فرنسا، فقد حان الوقت الذي تقوم فيه شعوب تلك الدول بطرد أمثال هؤلاء القادة وانتخاب قيادات وطنية حقيقية لبلادهم أو إجبار هذه القيادات على تغيير سياستها . وعلى أية حال فمن المستحيل إيقاف النضال في منتصف الطريق وسيواصل الشعب الإفريقي نضاله من أجل نيل الاستقلال التام . ويتعين على كل الدول المحبة والداعمة للسلام تقديم الدعم المادي والمعنوي لهذه الشعوب .

يقـول عبد الناصـر أن مصر كانـت مركزا لتلقـي الهجمـات إلى أن نالت اسـتقلالها . وعندئذ قامت القـوى الإمبريـاليـة بتجنيد قيـادات رجعيـة من الدول الأخرى بالشـرق الأدنى مثـل العراق، لبنـان، الأردن والسـودان وغيرهم لمواجهة هـذه الجمهوريـة الوليدة . أما الآن فقد تحسـن الوضع إلى حـد كبير، في الوقت الذي مازالت فيه القوة الإمبريـاليـة تمارس ضغوطها علـى دول تلك المنطقة . فهم يمارسـون ضغطا قويا علـى رئيس وزراء لبنان من أجل إرغامه علـى التخلي عن الذهاب إلى اجتماع الجمعيـة العامة لمنظمة الأمم المتحدة .

يشـير ن.س.خروتشـوف إلى أننا نُعد جميعا شهود عيان على عمليـة يقظة شعوب إفريـقيا . ويـقول إنه قد أبدى إعجابه بتلك الكلمة التي ألقاها نـكروما أمـام الجمعيـة العامة للأمم المتحـدة . وعلـى الرغم من أن بعـض ما جاء في هذه الكلمة لا يتوافق مع موقفنا، إلا أنها كانت من أفضل الكلمات التي سمعتها علـى الإطـلاق في اجتمـاع الجمعيـة العامـة لأن نـكروما هاجم المسـتعمريـن بشـكل واضح ومباشر وصريـح .

وكـذلك الحال بالنسـبة لتيتو، فقـد ألقـى كلمة هاجم فيها المسـتعمريـن، ولكـنـي أنصحه بأن يهاجم بشـكـل انسـيابي حتـى يتعذر علـى الولايات المتحـدة رؤيـة مـن يدافـع عنـه . وقلتُ لـه إن يتحدث بالشـكـل الـذي يجعل كلماته تحمل معنيين، فهو وحده الذي يستطيع أن يدرك ما الذي يريد قوله .

ثم يتحدث ن.س.خروتشوف بعد ذلك عن رغبته في توضيح رأيه لعبد الناصر حول أحد الموضوعات التي طرحها أثناء كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة . فقد صعد الرئيس إيزنهاور إلى منصة الجمعيـة العامة من مكان أشبه بمنزل الكلب بجانب مقعد رئيس الجمعيـة . وسـار تيتو على نهج إيزنهاور وللأسف أقنعـوا نـكروما أن يحـذو حذوهم، واقترحوا أن أحـذوا حذوهم ولكني رفضت بشكل حاسم أن أقع في مثل هذا الفخ .

فقـد نصح ن.س.خروتشـوف عبـد الناصر كصديـق بألا يـوافـق علـى هذا الإجراء وأن يصعد إلى منبر الجمعيـة العامة من مكانه في قاعة الاجتماع مرورا

بالقاعة كلها . يوضح خروتشوف أنه بذلك يكتسب ناصر ثقلا كبيرا في عيون الشعوب الأفريقية والآسيوية . توقع ن.س.خروتشوف ان يكون أخطأ في حديثه وقال لعبد الناصر هذا شأنك بالطبع، فأنتم رؤساء وأنا مجرد رئيس وزراء، وإذا ما كان يروق لك منزل الكلب هذا، فهذا الأمر يعود إليك . فقد كان هامرشيلد هو من اخترع هذا التقليد لأجل إبراز مكانة الرئيس الأمريكي بشكل ما، وكانت تلك الفكرة من وحي خيال كارتر.

يقول عبد الناصر أنه إذا ما كان يجلس مع وفده، فلا داعي إذن لكي يصعد إلى المنصة من إحدى المخارج الجانبية بالقاعة .

يبتسم خروتشوف ويقول أن هذا قد حدث مع تيتو، الذي كان يجلس في البداية مع وفده وبعد ذلك أخرجوه إلى خارج القاعة وأدخلوه من الخلف .

يشير السيد فوزي إلى أنه في السابق كانت الإجراءات والتقاليد في الأمم المتحدة على نحو مغاير لذلك، فهو يرى أنه من الأفضل وأن يصعد رؤساء الدول كافة إلى المنصة مرورًا بالقاعة كلها . يجيب خروتشوف أن هذا الإجراء قد تغير، حيث أعلن ممثل الاتحاد السوفيتي أنه في حالة إذا ما تم عمل تقليد خاص للرئيس الأمريكي عبر القاعة كلها فإننا سنثير مشكلة كبيرة . عندئذ قام هامرشيلد بتغيير ذلك التقليد وحاول إرغامنا على أن نحذو حذو أيزنهاور وللأسف فقد وقع نكروما في هذا الفخ.

يمزح عبد الناصر وهو يسأل خروتشوف ألم يصعب عليه حال تيتو أيضًا ؟

يجيب خروتشوف أن نكروما مازال شابا صغيرا، فهو شخصية سياسية لم تكتسب الحنكة بعد، أما تيتو فهو شخصية سياسية محنكة جيدا .

يقوم عبد الناصر بوداع خروتشوف ويعرب عن أمله في اللقاء معه مره ثانية . وكان يحضر هذا اللقاء كذلك السيد فوزي، وزير الخارجية المصري وعدد من أعضاء وفد الجمهورية العربية المتحدة .



قادة دول عدم الإنحياز، الزعيم جمال عبد الناصر وكوامي نكروما بنوسطان جواهر لال نهرو وسوكارنو وتيتو - ٣٠ سبتمبر ١٩٦٠

وحضره من الجانب السوفيتي وزير الخارجية أ.أ جروميكو، والسيد ام.أ مينشيكوف - السفير السوفيتي بالولايات المتحدة الأمريكية.

حديث طويل في الحديقة[٦٧]

التقى (ناصر و خروتشوف - المؤلف) في بهو مقر منظمة الأمم المتحدة بمناسبة الافتتاح الضخم لدورتها في عام ١٩٦١[٦٨]، عندما قام خروتشوف بالانقضاض على نيويورك من خلال مؤتمر صحفي عقده من شرفة البعثة السوفيتية الأشبه بشرفة جولييت الغريبة ثم ألقى بحذائه على المنصة . اقترح ناصر اللقاء مع خروتشوف ووافق الأخير قائلا : «لدينا قضايا عدة ولابد من حلها». التقى الطرفان في الرابع والعشرين من سبتمبر في جلينكوف، بإحدى الفيلات الدبلوماسية الروسية الرائعة، الواقعة في ذلك الجزء الواسع الفسيح لمنطقة أصحاب الملايين في لونج أيلاند . استمرت المباحثات بينهم قرابة ساعة ونصف، ولكنها لم تكن مباحثات جادة للغاية لأن خروتشوف حذَّر عبد الناصر قائلا : «هذا المكان مراقب، فقد اكتشفنا وجود ميكروفونات». التقى الطرفان في المرة التالية يوم الثلاثين من سبتمبر، وحضر اللقاء هذه المرة أفراد آخرين، ممثلي عدد من دول عدم الا نحياز والتي كان الحديث معها من شبه المستحيلات .

ثم التقيا بعد ذلك في الثاني من أكتوبر واستمر اللقاء قرابة ثلاثة ساعات في حديقة جلين كوف بعيدا عن الميكروفونات . وأكد عبد الناصر على موقفه قائلا لخروتشوف أنه قام بحظر نشاط الحزب الشيوعي بمصر لأنه وجد أن الشيوعيين أعطوا تحليلا غير حقيقي لمستقبل تنمية البلاد، وأنه لا يشارك في الحملة الصليبية الدولية المعادية للشيوعية وهو ليس معاديا للشيوعية . وجاء على لسانه يقول : «سبق وأن قلت لسفيركم من قبل إنك صديقنا وأنت شيوعي المذهب . كذلك تيتو فهو صديقنا وشيوعي المذهب أيضا» .

(67) London , 1972,P. 140. Hiekal ,M. Nasser , The Cairo Documents

(٦٨) خطأ من المؤلف، والتاريخ الصحيح هو خريف عام ١٩٦٠ .

انفجر خروتشوف من الضحك قائلاً : «تيتو ليس شيوعيا، فهو ملك».

لقد كان الحديث بين الطرفين موسعًا، وغادر عبد الناصر اللقاء بعد انتهائه وهو يحمل مشاعر طيبة إزاء انتهاء جزء من الخلاف فيما بينهم، غير أن العلاقات ظلت فاترة».

الفصل الخامس

جولة في مصر

على متن الباخرة مع خروتشوف من يالطا إلى الإسكندرية(٦٩)

بعد تناول العشاء، تفرق كل منا إلى غرفته في السفينة، وجاءني سكرتير خروتشوف وقال لي إنه يريد رؤيتي، ذهبتُ إليه في المطعم القريب من غرفته. وقال: «أريد أن أسألك عن توقعاتك من زيارتي ؟» . أجبته بأنه يريد الحصول على قرض مالي بقيمة ٢٠٠ مليون روبل . «ماذا ؟» -اندهش خروتشوف . كررتُ على مسامعه مرة ثانية : « ٢٠٠ مليون روبل لأجل الخطة الجديدة للتنمية الصناعية». قال خروتشوف شيئا ما لسكرتيره، والمترجم لم ينقل ما قاله خروتشوف، وسألته عما يدور الحديث، قال خروتشوف : «تمهل» . ثم ظهر قبطان السفينة وأدى التحية . قال له خروتشوف شيئا ما، وتوجهتُ للمترجم لكي ينقل ما يقوله، فقال لي : «يقول الرفيق إنه طالما أن طلبكم لن يتحقق، فقد أصدر أمرا للقبطان بالعودة إلى يالطا». كان خروتشوف ينظر نحوي بشكل عابس وقال : «والآن تحدث بشكل جاد، ما هي كلمتك الأخيرة ؟» .

بدأت أوضح له قائلا : «سيدي الرئيس، ليس لدي أية صلاحيات لإجراء مباحثات، فإنني أكرر فقط ما قيل لي».

يقول خروتشوف : «لقد منحناكم ما هو كافٍ لإتمام المرحلة الأولى والثانية من مشروع السد العالي وقرضا كبيرا لاستغلاله في مجال الصناعة وهو قرض كبير للغاية، فمائة مليون روبل هو مبلغ كافٍ جدا».

---

(69) **Heikal , M.Sphinx and Commissar p. 133-135.**

،تم نشـر الوثائق الرسمية الخاصة بزيارة ن.س.خروتشـوف لمصر في كتاب : أسوان – رمز الصداقة السوفيتية – العربية . زيارة ن.س.خروتشوف، السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي، ورئيس مجلس الوزراء السوفيتي إلى أراضي الجمهورية العربية المتحدة : ٩–٢٥ مايو ١٩٦٤،موسكو ١٩٦٤ ”.

قلتُ له : «سيدي الرئيس، أرجو أن تستدعي القبطان مرة ثانية».

خروتشوف : «لماذا ؟» .

أجبته : «لأنني في حاجة لواحدة من قواربه حتى أصل إلى يالطا، لأنني إذا رجعتُ إلى مصر بدون ٢٠٠ مليون روبل، سيرفض عبد الناصر التعامل معي».
- قال خروتشوف : «حسنًا سنرى» . وفي اليوم التالي، كان هو اليوم الرابع في رحلتنا، اقتربت الباخرة «أرمينيا» من الشواطئ المصرية . وفي الصباح أجريت و خروتشوف حلقة نقاش طويل، أخذ يتحدث فيها عن الوحدة العربية . وكان يصر على رأيه بأن الوحدة الفعلية هي وحدة طبقة العمال والكادحين بالعالم أجمع . لقد ارتكبتُ خطأ إذن عند الحديث في هذا الموضوع المحظور .

قلتُ : «السيد الرئيس، إن وحدة طبقة العمال ليس كافيا . فلتنظر إلى دولتكم والصين . سنجد أن البروليتاريا هي التي تتربع على عرش السلطة في كلا البلدين وعندما تتشاجر ستجد أن القومية هي التي تقف وراء هذا الخلاف».

يتنفس خروتشوف الصعداء قائلا : «عجبا، إن الأمور تزداد صعوبة».

قلتُ : « حسنا سيدي الرئيس، لقد تحدثت عن الحرب الوطنية العظمي، وسيادتك من قال لي إن الحزب قد ارتبك في بداية الحرب وان الشعب هو من قاوم الصدمة الأولى وأعطى الفرصة للحزب لكي يستجمع قواه مرة أخرى».

يجيب خروتشوف : «أنك لم تفهم مقصدي على النحو الصحيح، فالشعب لا يستطيع التحرك لولا وجود تنظيم لتحركه» .

بعد ذلك أخذ خروتشوف يتساءل، لماذا نقوم باعتقال الشيوعيين وكيف يتم طرح هذا الموضوع أمام عبد الناصر . قلتُ : «لقد تم الإفراج عن كافة الشيوعيين وغادروا السجون» . وأخذ يطرح عدة أسئلة في موضوعات مختلفة

حول الإسلام، دور المفتي، حجم وعدد السكان بالقاهرة، ومصر وعدد من الدول العربية، هل نتحدث جميعا بلغة واحدة، ما هو دور الرابطة العربية، وما الذي حدث للسيد قاسم .... الخ .

كان من المفترض وأن نصل في صباح اليوم التالي، بعد تناول طعام الغذاء، صعدتُ إلى سطح الباخرة، أحمل معي راديو ترانزستور صغير لكي أسمع الأخبار من القاهرة . وكل موجز للأنباء كان يحمل جزء من الاستعدادات المتخذة لزيارة خروتشوف . جاءني خروتشوف وسألني عما أسمعه، قلتُ له باختصار ما اسمعه، فقال : «هناك موضوع لا أعلم في الحقيقة إذا ما كان ينبغي طرحه عليك أم لا . فإنني شخص صريح، فقد تلقيتُ خبرا يفيد بأن حكومتكم تبذل قصارى جهدها للحيلولة دون خروج المواطنين إلى الشوارع لاستقبالي».

أجبته : «سيدي الرئيس،هذا أمر بعيد كل البعد عن الحقيقة» .

يأسف خروتشوف قائلا : «لكن يبدو أنهم لا يرغبون في إجراء استقبال حافل لي».

أجبته : «هل لي أن أقول لك أمرا ما ؟» - عندما تحلل ضيفا على أي شخص من أهل الشرق، فإن طريقة استقباله لك لا تنعكس عليك، بل على صاحب المكان . فإذا ما تم استقبال الضيف بفتور، فهذا يُعد عيبا في حق المضيف وليس الضيف . والأفراد الذين أبلغوك بهذه المعلومة، لا يعلمون أي شيء عن عادات وتقاليد أهل الشرق «.

أجاب خروتشوف : «حسنًا، فلننتظر إذن». - أثناء العشاء الأخير على متن الباخرة، أخذ خروتشوف يتناول كأس كبيرة من الكونياك ثم أعقبه بكأس آخر . صاحت ابنته رادا قائلة له : « أبي هذا يكفي «يرد عليها خروتشوف : « لا، لا، هذا هو آخر كأس سأشربه، ومن الغد سأصبح مسلمًا مثل عبد الناصر». ذهب الجميع لكي يناموا مبكرين . وفي الصباح، بعد أن استيقظتُ وجدتُ



خروتشـوف قد أرسـل لي بمترجمه يريدني أن أذهب إليه . أسـرعتُ إلى غرفته . ظـل خروتشـوف يحملق في وجهي وقـال : «قلتُ لك بالأمـس إن حكومتكم تعتـزم تقليل مظاهر اسـتقبالي». ومعي الدليل على ذلـك الآن. فمن المفترض وأن يكون عامر هو من يسـتقبلني بالإسـكندرية و عبـد الناصر لا ينوي أن يأتي لاسـتقبالي . أنتم تتبعون ذلك البروتوكـول، طالما أن عبد الناصر رئيس دولـة وأنا مجرد رئيـس وزراء» . أجبته : «لا يمكن أن يكـون ذلك، فهذا خطأ كبـير «. غـير أن خروتشـوف ظل مصرا على مـا قيل له . وبعد مـرور قليل من الوقـت، وبمجرد أن دخلت الباخرة الميـاه الإقليمية لمصر، اقترب زورق من الباخرة وعلى متنه المشير عامر . وكان عبد الناصر في انتظاره عند المرسى .

انتهي سـوء الفهم، وارتسـمت الفرحة على وجه خروتشـوف وسألهم عن مدى إعجابهـم بتلـك الرحلـة، وكان هنـاك ثلاثـة مـن الصحفيين علـى متن تلك الباخرة منهم أدجوبيا، سـايتيكوف، و أنا ووصفنا بأننا «الغزاة الفاتحين ذوي الأنف الطويل».

مـن الصعب وصف ذلك الاسـتقبال الـذي وجدناه عندما نزلنا إلى الشـاطئ. وهنـاك عـدة عوامل هي التي مهـدت لذلك الاسـتقبال الباهر . فقـد كان عبد الناصر في أوج حكمه، وخروتشـوف يُعد شخصية أسطورية بارزة ليس فقط

في مصـر . وصلنا إلى القاهرة عبر القطار وخرجنـا من المحطة لنجد موكب من السـيارات في انتظارنا للتحرك إلى قصر القبة، الشبيه بمقر رئاسة خروتشوف. عندما وصلنا إلى القصر، سألته : «ما رأيك فيما حدث ؟» – رأيتُ الدموع تترغرغ في عينيه . حيث لم يسـبق له مشـاهدة مثل هذا الاستقبال من قبل، فقد كان هناك أفواج وطوابير من المصريين المحتشدين لرؤيته في هذا اليوم .

لدي رغبة شديدة في الذهاب إلى القاهرة [٧٠]

كان حلم الشعب المصري هو استغلال مياه نهر النيل الفتي لصالح اقتصادهم. فقد تم استغلال مياه هذا النهر منذ قرون بعيدة ولكن المقصود هنا هو استخدام موارده المائية وإجبار النيل على تشغيل التوربينات للحصول على التيار الكهربائي لسد الاحتياجات الاقتصادية للبلاد .

عندما وصل عبد الناصر إلى السلطة، باتت هذه المسألة مطلبا حيوياً وتم إجراء بعض المفاوضات والتوصل إلى اتفاق مع البنك الدولي او الوطني الأمريكي. وكان هناك وعود بمنح قروض لأجل إنشاء سد في مجرى نهر النيل . توقع المصريون أن حلمهم سيصبح حقيقة أخيراً. ونظرا لأن مصر قد خرجت من المجرى الملاحي لسياسة أمريكا، إنجلترا وفرنسا، مما أزعج القوى الإمبريالية، ففي اليوم الأول تم إعلان رفض البنك تقديم القروض التي وعد المصريين بها . الأمر الذي أثار غضب مصر ورئيسها عبد الناصر . ومن ثم أعلن عبد الناصر قرار تأميم شركة قناة السويس، الأمر الذي زاد من سخونة درجة حرارة السياسة الدولية وزيادة حجم التوتر .

وكان يتواجد بمنطقة قناة السويس طاقم خدمات وأعمال صيانة فرنسي بشكل رئيس إلى جانب عدد من البحارة والعمال . تم استدعاؤهم جميعا للعودة إلى بلادهم وأصبحت مصر بدون كوادر . اعتقد الغرب أن مصر بذلك ستفقد ثقلها لأنها لن تعد قادرة على التغلب على الصعوبات والمشاكل التي ستواجهها خاصة بعد استدعاء الخبراء والعمال، وأن القناة ستتوقف عن العمل،

---

(٧٠) من الأرشيف الروسي الحكومي للتاريخ المعاصر مخزن رقم ٥٢ ن.س.خروتشوف، قائمة رقم ٢، حافظة رقم ٨، السطور : ١٤-٤٩ .

الأمر الذي سيزيد من حجم المشاكل المالية والسياسية على مصر، لأنه قبل قرار التأميم كان هناك اتفاق دولي وتم إقرار نظام معين لتشغيل واستغلال قناة السويس .

توجهت الحكومة المصرية بطلب إلينا لتقديم العون والمساعدة، وها نحن الآن نقدم تلك المساعدة . حيث أرسلنا إليهم الخبراء والمهندسين في المجال البحري كي يستطيع المصريون الاستفادة من كيفية إدارة قناة السويس . غير أن القناة فاقت كل التوقعات، فهذه هي سياسة دالاس، سياسة من موقف القوة، ساعدت في تقريبنا مع مصر وكان من السهل عليها أن تعرف أصدقاءها من أعدائها . وعلى الرغم من أن صحافتنا قد نشرت بعض المقالات الانتقادية، إلا أننا كنا نقف دوما إلى جانب مصر في اللحظات الصعبة لمساندة النضال العادل للشعب المصري في مواجهة المستعمر وتعزيز استقلال هذا الشعب .

بدأت الوفود العسكري المصرية تتوافد إلينا وعلى رأسهم المشير عبد الحكيم عامر – القائد الأعلى للجيش المصري . أجرينا معهم المباحثات وقدمنا لهم المساعدة التي يحتاجوها . وفي الوقت نفسه، فقد كانوا محصنين بسلاحنا . حيث أعطيناهم زوارق طوربيد مسلحة بالصواريخ. وأعتقد أننا أعطيناهم كذلك عدد من الغواصات وابتعنا لهم زوارق للحراسة وأسلحة أخرى،هذا فضلا عن شرائهم للطائرات . واتفقنا كذلك على منحهم ترخيص صناعة طائرات « ميج – ٢١» . ويمكن أكون مخطئا في ذلك . ولكن لماذا أتحدث عن هذا الأمر الآن ؟ لأن هذا لم يكن سرا بالنسبة لنا . فقد منحنا الهند أيضا مواصفات تكنولوجيا تصنيع هذا النوع من الطائرات، وبالتالي يمكن منحها لمصر أيضا. وإذا لم نكن أعطيناها لهم، فهذا لأنهم لم يطلبوها، فهم يعتقدون أنهم لا يستطيعوا تصنيعها .

توجه المصريون باقتراح إلينا لكي نوافق على إنشاء السد العالي . رفضنا ذلك الاقتراح في البداية، واعتقد أن الرئيس تيتو قد نصحهم بالتوجه إلينا بطلب مقنع نظهر فيه النوايا الحسنة والصديقة نحوهم . فقد نصحهم بمحاولة



إقناعنـا بالموافقة على بناء السد العالـي . ولكن لماذا أفكر بهذا الشـكل ؟ فعندما كنا نلتقي مع الرفيق تيتو، كنا نتباحث ونناقش موضوعات مختلفة وكان غالبـا ما يكون هناك تبادل للآراء حول مصر . كان تيتو يبدو حزينا على الوضع في مصر . وكان يمتدح جمال عبد الناصر ويبرهن على ضرورة مساعدته . وقد كان على حق في ذلك . فقد أثبتت الحياة والتاريخ مدى صحة حكمـه على هذه المسـألة . تجمعنا الآن مع مصر أفضل أنـواع العلاقات وهذا يأتي لصالح مصر والاتحاد السوفيتي وكل القوى التقدمية .

في البداية تم طرح هذا الموضوع في ظل أحاديث متفرقة مع أعضاء سـفارتنا بمصر، ثم وصل عامر . تجدر الإشـارة إلى أن عامر قد أنهى حياته بصورة درامية مأسـاوية للغايـة، فقد انتحـر . لقـد تكبد الجيـش المصري كارثـة، وعامر باعتباره القائد الأعلى لهذا الجيش، فهو المسئول عن تلك الكارثة . فهو المسئول عـن وقـوع تلك الكارثـة . ومن الصعب بالنسـبة لي أن أحكـم على ما حدث . وعلـى الرغم من ذلـك، فقد ترك عامر لـدي انطباع جيد، انطبـاع ذلك الرجل

المخلص والأمين لأمر الشعب المصري . فقد كان مدركا لأهمية وجود علاقات صداقة قوية بين شعوب مصر والاتحاد السوفيتي . للأسف فقد خدعتني شخصية عامر، فقد أجريتُ معه مباحثات وتعاملت معه بكل ثقة معتقدا أنه شخص نزيه ومخلص وأن الصداقة بين شعبينا ليست أمرا وقتيا وكنتُ متأكد من أن الصداقة مع الاتحاد السوفيتي تأتي لصالح الشعب المصري للنهوض باقتصاده وثقافته ورخائه . لقد ذهب عامر إلى روسيا عدة مرات، وكان دائما ما يطلب اللقاء معي وكنا نوافق على طلبه . التقيتُ معه بقرار من اللجنة المركزية، استمعتُ إليه وتحدثنا عن وجهات نظرنا . وجاء إلينا مرة أخرى واستطاع هذه المرة أن يظهر إصراره وليس إلحاحه أو تطفله . حاول أن يقنع محدثه بأن مصر عندما تكون قوية، فهذا سيصب في صالح الاتحاد السوفيتي أيضا، فالوضع الاقتصادي الحالي ضعيف في مصر ولن نستطيع النهوض به بدون بناء السد العالي . والطاقة الكهربائية في مصر ضعيفة، وعند بناء السد العالي سيزيد معدل ري الأراضي الزراعية للثلث تقريبا، مما سينتج ثروة كبيرة للدولة والشعب .

قلت له : « نحن نوافق على ذلك بالفعل، غير أن هذا يحتاج الكثير من رأس المال، وهذا ليس بمقدورنا الآن».

وعقب هذا اللقاء تبادلنا الآراء في الحكومة واللجنة المركزية للحزب حول كيفية التصرف في هذا الأمر . قمنا بتكليف رجال الاقتصاد والمعنيين بخطة الدولة لدراسة ذلك الاقتراح . وقد ظلوا يتدارسونه لوقت طويل، ثم خرجوا علينا بتقرير في النهاية يوضحون فيه تكلفة المشروع، المدة التي يستغرقها البناء . وكان هناك رأي يقول بأن هذه الصفقة من الممكن أن تعود علينا بالمنفعة السياسية والاقتصادية . ولكن لابد من فهم ما المقصود بتلك المنفعة الاقتصادية .

فهـي تعني أننـا نقوم بتعزيز اقتصـاد صديقنا وبالتالي فإننـا نعزز علاقات الصداقة معه، هذا من الناحية السياسية، فهذه الأموال ليست بخسة، بل ستعود إلينـا مرة ثانية في صورة واردات . حيـث بمقدور مصر أن تصدر لنا أفضل أنواع القطن، فهي تتمتع بالقطن طويل التيلة إلى جانب محاصيل مثل الأرز والسـلع الأخرى . وأوضح باختصار أن هذه النقود ليست منحة ولا عطية، إنما هي قرض سـيتم سـداده . بالإضافة إلى ذلك فإننا سنحصل على مكسب مجاني يتمثل في كسـب ثقة ليس فقط الشعب المصري، بل وشـعوب الوطن العربي والدول الأخرى النامية في القارة الإفريقية، الذين سيشـاهدون كيف يتصرف الاتحاد السـوفيتي وكيـف يمكن الاعتماد عليـه وكيف انه يتعامـل بدون النظر لأية مطامع إزاء احتياجات ومطالب الشـعوب التي تخلصت من براثن الاسـتعمار والقـوى الإمبرياليـة. وهذا يحمـل لنا مغزى سياسـي كبير، وهو مـا يُعد أهم بكثير من المغزى الاقتصادي . ترى ما الذي يعنيه دعم مصر والشعوب العربية وتعزيـز علاقات الصداقـة معهم ؟ هذا يعني بالطبع إضعاف المعسـكر المعادي لنا . فإذا لم نسـعى لدعم العلاقات مع الشـعوب التي تحررت من الاسـتعمار، فإن القـوى الإمبريالية سـتبحث عن كل صدع لكي تجذب هذه الشـعوب خلفها وتعادينا بشـكل أوسـع وقوة أكبر . مما سيدفعنا نحن بالطبع لإنفاق المزيد علـى دعم جيشـنا وتعزيز قـدرات قواتنـا المسـلحة . وبالتالي سنخسـر، أما إذا درسـنا الموضوع بشـكل أعمق فسـنربح بكل تأكيد. ولهذا عندما ناقشنا الموضوع من كافة جوانبه، توصلنا إلى أنه بمقدورنا بناء السد العالي في أسوان وسيكون بمقدورنا إتمام المشروع في ظل كل تلك الاعتمادات، ونستطيع في ذلك الوقت التغلب على هذا الأمر . فقد وافقنا وأبرمنا اتفاق مع مصر لإنشاء السد العالي .

وعندمـا أجرينـا المفاوضات، أصـرت مصر علـى أن نلعب نحـن دور المقاول وأن نلتـزم بإتمام البناء في الوقت المحدد . ثم يبدأون من جانبهم الوفاء باسـتثمار رأس المـال وتعويض نفقاتنا . سـبق وأن رفضنـا مثل هذا النوع مـن التعاون مع دول أخرى . وقد رفضنا علـى أسـاس أنه إذا ما تعاملنا في صورة مقاول، سـنقوم

باستئجار العمالة المصرية وسنتعامل معهم وكأننا مديرين عليهم . وفي هذه الحالة من المؤكد أن تنجم مشاكل فيما بيننا، مثل تلك التي تظهر بين المدير والعمال . وسينظر إلينا الشعب المصري وكأننا مستغلين ولسنا أصدقاء . سنقوم من جانبنا بإنشاء سد أسوان على حساب قروضنا، أما بالنسبة لهؤلاء الذين يعملون لدينا، فإن تعاملنا معهم سيختلف، لن يكون مثل تعامل دولة ما نحة للقروض وإنما دولة تقود هذا العمل وكأنها مقاول . فنحن نقوم باستئجار القوى العاملة وندفع لهم أجرهم ومن المتوقع أن تكون هناك خلافات مع العمال وسكان مصر وهذا هو ما لا نريده، ولهذا فقد رفضنا ذلك مع كل الدول التي منحناهم القروض . وسبق وأن اتفقنا مع الهند على إنشاء مجمع للحديد والصلب لديهم وعدد من المشروعات الأخرى .

أعتقد أن هذه السياسة هي السائدة الآن لأنها السياسة الوحيدة الصحيحة والحكيمة، ولهذا فقد رفضنا وقلنا للمصريين : « أنتم تتولوا عملية البناء و نحن نتعهد بالإدارة الفنية بالكامل . حيث نتولى تجهيز المعدات والآلات وسيقوم خبراءنا بوضع أسس المشروع، ولكن لابد وأن يكون لحكومتكم دور أيضا، فأنتم من سيقوم بدراسة المشروع والتصديق عليه».

وهكذا فقد تحسنت العلاقات مع مصر خطوة بخطوة حتى إنها كادت تتحول إلى علاقات صداقة وساهم في ذلك الاتفاق على إنشاء السد العالي وقدرة القيادة المصرية على تفهم علاقات الصداقة بيننا . ولم يكن هذا المستوى من التفاهم لدى مصر وحدها، بل وكذلك لدى كل الدول التي أصبحت على طريق النضال لنيل حريتها أو تلك التي تحررت من براثن الاستعمار وأصبحت تقف على طريق هيكلة اقتصادها على أسس جديدة واقصد هنا بمفهوم «أسس جديدة» أي عدم وصولها إلى الطريق الاشتراكي .

ولكننا على يقين من أن هؤلاء الأفراد الذين تحرروا من براثن الاستعمار ونالوا استقلالهم وباتوا في طريق حياة سياسية مستقلة، سيدركون إن عاجلا أو آجلا أهمية إحراز تقدم في طريق البناء الاشتراكي . لقد أدركنا

انـه لابد مـن التحلي بالصبر وعدم فرض فكرة بناء نظام اجتماعي وسياسـي لأي مجتمـع وإتاحة الفرصة للأفراد لكي يسـيروا بأنفسـهم نحو هذا الطريق و يختارون النظام الاشـتراكي.وعندئذ سـيناضلون من أجل إنشاء هذا النظام ودعمه وتطويره .

لابد من الإشـارة إلى أن خبراءنا لديهم خبرة محنكة في مجال إنشاء المحطات المائيـة وهذه ليسـت مبالغـة، بل هي حقيقة لابـد من الاعتراف بهـا . فقد نجح خبراءنا، مهندسـينا وعلماؤنا في وقت قصير في إنشاء مشروعا لتشغيل اكبر وأضخم محطة مائية وبالفعل تم إنشاء أكبر طريين مائي . الأمر الذي أسهم في تراكم الخبرات لديهم . وبفضل تلك الخبرات والممارسـات العلمية، أصبح لدى مهندسـينا الفرصة في التوصـل إلى أفضل الحلول الفنيـة والتكنولوجية ذات الطابع العلمي للكثير من المحطات المائية .

والآن لا يمكنني القول بأنه بمقدور مهندسـي دول أخرى تنفيذ مشروع بناء السـد العالي. وعندما قام مهندسـونا بدراسـة المشـروع، وجدوا أنه من الممكن إيجاد أفضل الطرق المتقدمة والاقتصادية لإنشاء تلك المحطة المائية العملاقة .

لقد نسـيتُ تلك الاقتراحات والتوصيات التي يتموضعها في مشـروعات دول الغـرب .غـير أن هذا الأمر لا يمثل أيـة أهمية للحديث عنـه في مذكراتي الآن لأنه أمر يتعلق بالشـئون الفنية . ومن يريد الاطلاع عليه فلن يكون ذلك في مذكراتـي بالطبع، فهناك أعمـال أدبية تكتب الآن حول هـذا الموضوع، وفي المسـتقبل سيكون هناك أعمال كلاسـيكية حول أنشاء المحطات المائية . ومن المفترض وأن يجد السد العالي مكانة ضمن هذه الأعمال .

اقترحـت القيادة المصرية أن يقوم الوفد السـوفيتي بزيارة مصر للتعرف علي الموقـع الذي سـيقوم عليه المشـروع وإقامة مزيـد من علاقـات الصداقة . كنتُ أشـغل منصبا رفيعا في ذلك الوقت، ولذلك عندمـا تحدثوا معي أخبروني بأنهم يدعونـي لتلـك الزيارة . وقـد كنتُ أرغـب بالفعل في الذهـاب إلى مصر . ولم

يكن هذا حلمي بمفردي، بل هو حلم كل شخص يريد التعرف على الشعوب الأخرى ويرى طريقة معيشتهم خاصة إذا ما كانوا مصريين. فمصر- هي مهد الحضارة الإنسانية ولهذا فهي تمثل لنا شيئا ما يتسم بالغموض والسرية وتراكم خبرة تاريخية عظيمة للبشرية بأكملها. ومثل هذه البلاد تُعد جديرة بالمشاهدة.

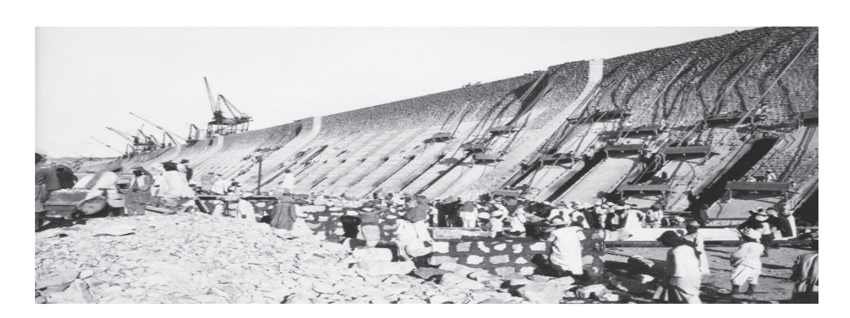
أدركت لماذا أراد المصريون أن أترأس بنفسي الوفد السوفيتي، فقد كنتُ أشغل المنصب المناسب، وأرادوا توثيق علاقات الصداقة بيننا لتحقيق أهدافهم المتمثلة في الحصول على مساعدة اقتصادية من جانبنا ودعم السياسة التي تنتهجها القيادة المصرية. ولهذا فقد رأوا أنه من الأفضل الاتفاق معي حول هذا الأمر.

وجهوا لنا الدعوة للزيارة لحظة وضع حجر الأساس لمشروع السد العالي، ولكني لم أستطع الذهاب في ذلك الوقت نظراً لانشغالي بمهام أخرى. فكما سبق وأن قلت من قبل إن عامر قد جاء إلينا وطرح مسألة أن نقوم بتقديم المساعدة وأن نتعهد ببناء السد العالي لمصر. وكان هناك أحاديث أخرى حول المساعدة الاقتصادية. وعندما جاء موضوع زيارتي، كنتُ أجيب بشكل مازح قائلاً: «انتم تدعوني للزيارة في الوقت الذي يقبع فيه الشيوعيون لديكم داخل السجون. وفقا لقانونكم فإن الشيوعيين ليس من حقهم الإقامة بشكل شرعي داخل البلاد. ولهذا فإن الحزب الشيوعي لديكم يعمل بصورة قانونية , ونحن نعلم أن الحزب يمارس نشاطه وعلى دراية بأفراد قيادة الحزب الشيوعي المصري ونعلم أيضاً أن معظم أفراد تلك القيادة يقبعون داخل السجن. ولهذا فإنني لا أريد أن أعرض نفسي لهذا الخطر وأكون السبب في شن حملة ضد هؤلاء الشيوعيين الذين نحترمهم وأنتم تعتقلونهم داخل السجون. بالإضافة إلى ما سبق فإنني شيوعي وأنتم تعلمون ذلك جيدا وأخشى أن يتم الزج بي داخل السجن وبالتالي أكون السبب في زيادة عدد نزلاء سجون مصر«.

ودائما ما كان ينظر عامر ويهز رأسه ضاحكا : « هذا ليس صحيح، فليس لديكم معلومات صحيحة». أخذ الكثيرون ومن بينهم القيادة المصرية في محاولة لإثبات أن الشيوعيين المصريين ليسوا مثل نظرائهم في الاتحاد السوفيتي ولهذا فقد اضطروا لفعل ذلك لإصلاح شعبهم ودولتهم. وللأسف فإنني لم أسمع تلك الحجج فقط من الجانب المصري، بل ومن قيادات دول أخرى . « أقول لا، فقد سمعنا تلك القصص من قيادات تلك الدول التي يقبع فيها الشيوعيون داخل السجون أو يعملون في تنظيمات سرية . ويفسرون عمليات قمع الشيوعيين داخل السجون بحجة أنهم ليسوا مثل نظرائهم بالاتحاد السوفيتي».

أعلم ذلك من معايشتي بالاتحاد السوفيتي، أتذكر هنا أثناء الحرب الأهلية التي اندلعت في عام ١٩٢٠، كان يتعين على التفاوض مع عدد من المثقفين في منطقة كراسنادار، وكان لابد من المساس بهم خاصة بعد عملية انتهاك حقوق البورجوازية التي قمنا بها تحت قيادة فورمانوف، والذي كان يشغل آنذاك منصب قائد الإدارة السياسية وكان يترأس هذه الحملة . فقد كان هناك بالمنزل الذي أعيش فيه مجموعة من الأفراد الطيبة . ولكن كان لديهم تصور غير صحيح عن مفهوم الاشتراكية، ثورة أكتوبر وعن الشيوعيين الذين شاركوا في الثورة وظلوا يدافعون عن مكتسباتها وكانوا يباركون لينين . وأذكر أن أحد هؤلاء السكان كان ممثلا ويقول : « نحن مع لينين، مع شيوعيي موسكو، لأن شيوعيي موسكو لأنهم ليسوا مثل شيوعي منطقة كراسنادار» ، حاولنا أن نشرح لهم الوضع وتصحيح الصورة لديهم ودخلنا في جدال ومناقشات ساخنة . ولهذا لم تكن تلك الحجة التي قدمتها القيادة المصرية لي جديدة على مسامعي .

لقد مر الوقت، والأعمال الخاصة ببناء السد العالي تسير بنجاح . وقد جرت أعمال أخرى لإنشاء المصانع والمعامل . أذكر أننا قدمنا المساعدة الفنية ومنحنا قرض لأجل إنشاء مصنع للحديد والصلب . قامت مصر بأعمال البناء بالفعل ولكننا نحن من قدم الإدارة الفنية للمشروع، ففي الحقيقة أن مهندسينا هم من أداروا أعمال بناء هذا المشروع وبذلك نكون قد زرعنا الثقة لدى القيادة المصرية ورفعنا درجة التعاطف مع قيادتنا وشعبنا ودولتنا .



لابـد مـن القول بـأن القيادة المصريـة قد تعقدت بسـبب الضبـاط والطبقة البورجوازيـة المتوسـطة. حيـث يتمتع هـؤلاء الأفراد بمسـتوى معين سمح لهم بالحصول على التعليم العسـكري. وكان من بين تلك القيادة أفراد مختلفة من حيث المستوى الاجتماعي والطبقـي. وبالتالي فلم تكن تجمع تلك القيادة وحدة من نسيج اجتماعي واحد. وهذا أمـر طبيعي. ولهذا كان التعامل معنا يسـير بشـكل مختلف من جانب تلـك القيادة. وعندما تسـير هـذه العملية سيتم ملاحظتها من الخارج في كل دول لأنها عملية عديمة الجدوى.

انتهت الحرب الأهلية لتوها في نيجيريا، بعد أن استمرت قرابة عامين ونصف. وقـد اندلعت الحـرب، على الرغم من أن الدولة قد تحررت من اسـتعمار إنجلترا لها، غير أن قيادتها المعقدة لم تكن متحدة النسيج وتعرضت لضغوط مختلفة وسـعت وراء مصالح مختلفة. وكـان بمصر مثل هذه القيادة المختلفة من حيث البنـاء الاجتماعـي. واعتقـد أن هذا الأمر قـد انتهى الآن. حيث مـر الكثير من الوقـت وتم عمل انتقاء للقـوى الرجعية وظهرت قوى جديـدة تدعم الحكومة الـتي تنتهج سياسـة الإصـلاح الاجتماعـي. في البدايـة كانـوا يتحدثون عن الاشـتراكية العربية ثم بعد ذلك صاروا يتحدثون عن الاشـتراكية العلمية بحيث ينتهجون سياسـة البناء على أساس علمي.

لقد أسـهم مشـروع بنـاء السـد العالـي في تقريبنا ليـس فقط مـن القيادة المصرية، بل وكـذلك من الشـعب المصري، حيث شـارك في هذا العمل الكثير من مهندسـينا والكوادر العمالية البارزة وقد احتكوا وتعاملوا مع المهندسـين



والعمـال والفنيـين المصريـين بشـكل مباشـر ولصيـق . وبالنسـبة للعمالة المصريـة فقـد كانـوا من الفلاحـين الذين جـاءوا للمشـاركة في بناء السـد العالي . قام مهندسونا وعمالنا بتعليمهم وعملوا معهم على نفس الماكينات، الحفارات والسيارات . مما زاد من إحداث مزيد من التقارب بين الفريقين وزيادة حجم الثقة بينهم .

أوشـكت عملية بناء السـد العالي علـى الانتهاء من المرحلة الأولى وسـيتم تحويل مجرى وهذا ضمن الأسس الرئيسية لعملية البناء وبعد ذلك تأتي مرحلة تعلية السد وتركيب التوربينات المائية .

صـار المصريـون يصرون بشـكل قـوي لكـي أحضر هـذا العمـل المهيب والعظيم لأن السد العالي بالنسبة لهم هو حلم مقدس للشعب المصري .

ولكننـا أثناء المباحثات كنا نرد بشـكل هزلـي، ولم يكن ذلك من باب المزاح، بل للإشارة إلى السياسة غير الصحيحة التي ينتهجوها إزاء القوى الرجعية لديهـم، ولهذا عندما جاءني السـفير المصري بتكليف مـن الحكومة المصرية لتوجيـه الدعـوة لي، قلتُ لـه : « كيف يمكنـني الذهاب إليكـم ؟ « وأدرك غالـب مـا أريد أن أقولـه. وهنا ازدادت الثقـة فيما بيننا . لأنـه عندما ظهرت في سـوريا تلـك القوى المعاديـة لفكرة الوحدة ووصلوا لحد نسـف تلـك الوحدة والخروج منها، ابتسـم السـفير غالب أثناء لقائه معي وأجاب على سؤال كيف سار الحال مع سوريا، قائلاً : «سار مثلما قلت من قبل» وكذلك عندما انطلقت

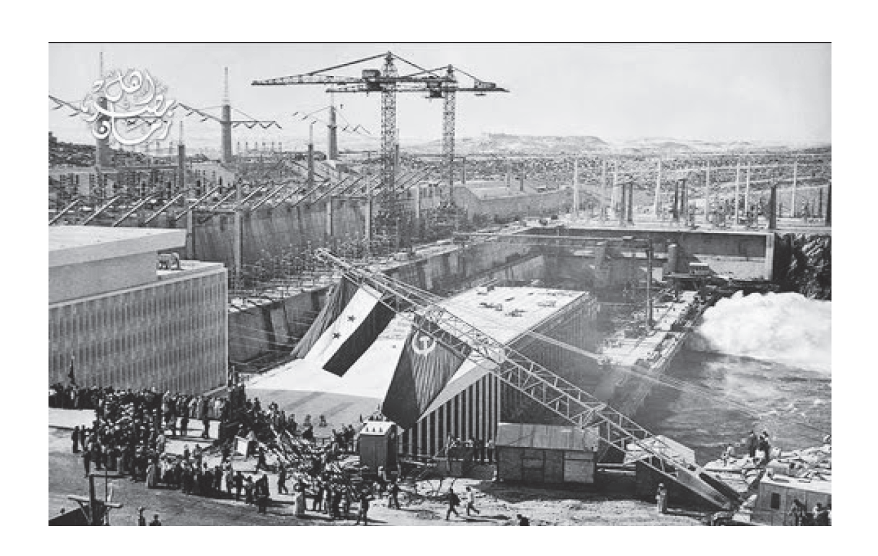
قوى نشطة تسعى نحو انسحاب سوريا من تلك الوحدة، كان عامر في سوريا في ذلك الوقت وتم التحفظ عليه هناك ووضعه تحت الإقامة الجبرية بمنزله ثم أُطلق سراحه. ولا أتذكر هنا في أي وقت تحديدا كان عامر أسيرًا بالدولة السورية ومتى أطلق سراحه.

لقد أسهم فشل مشروع الوحدة بين مصر وسوريا في زيادة وزننا في عيون ناصر وعدد من قادة مصر، لأنه حدث ما سبق وأن تنبأنا به وأنذرنا منه. وهناك مراسلات كنا نبعث بها لناصر وكانت ترسل إلينا عدد من دول أخرى لمعرفة وجهة نظرنا حول هذه المسألة. وقد حدث ما سبق وأن توقعته وحدثت به عبد الناصر وأكدت عليه في مراسلاتي لعبد الناصر و قاسم.

لقد كنا في الواقع نقف بجانبهم بإخلاص وبذلنا قصارى جهدنا للحفاظ على النظام بمصر، وكنا نتحلى بالصبر في تعاملنا مع المعترضين على وجهة نظرنا. لأننا كنا نرى أن هذا الأمر يعد ظاهرة داخلية وسيأتي الوقت الذي يقتنعون فيه بأنفسهم بسوء فهمهم لهذه المسألة. ولهذا فقد سار نقدهم في صورة مزاح وكتبت الصحف تنتقد سياستهم الداخلية وتعامل مصر مع حزبها الشيوعي، ولكن من ناحية أخرى كنا نساعد بكل طاقتنا لدعم هذه الدولة سواء لقواتها المسلحة او اقتصادها على حد سواء.

عندما حان الوقت لتحويل مجرى نهر النيل، أصر الجانب المصري على دعوتي لحضور هذا الحدث. بحيث أذهب قبل وقت طويل من هذا الحدث لكي أستطيع التحرك بحرية، أتعرف على مصر وأجرى مباحثات مجدية. وقالوا إن لديهم عددًا قليلا من الشيوعيين داخل السجون، غير أن الرئيس قال إنه سيتم إطلاق سراحهم جميعا قبل وصولي.

وافقنا على هذه الرحلة التي كانت في مايو ١٩٦٤، ترأستُ الوفد وكان برفقتي اندريه اندريفيتش جروميكو - وزير الخارجية، جريتشيكو - نائب وزير الدفاع، وغيرهم من الرفاق. كان جريتشكو برفقتنا لأنه كان من المتوقع وأن يتم طرح موضوعات عسكرية في هذا اللقاء. أردنا بعد ذلك ان يلتقي جريتشكو مع الجانب العسكري من الجمهورية العربية المتحدة.



لم يكـن جروميكو متعافي صحيـا، ولكـن حضوره كان أمـرًا ضروريًا لمناقشـة قضايا وإشـكالات السياسـة الدولية. وقد تم ترتيب اللقاء بشـكل جيـد، حيـث جـاء التنظيم حسـب رتبتنـا وعلاقاتنـا. وكانـت الأحاديث التي أجريناهـا طوال مدة الزيارة جيدة وودودة. شـاهدنا خـلال الزيارة بعض المدن، المواقـع التي تم تشـييدها بفضل جهودنا وقـد أتت بثمارها. الأمر الذي أسـهم في زيادة شـهرتنا وسمعتنا الطيبة. وأذكر على سـبيل المثال أننا قمنا بتشـييد مصنع لإنتاج الأدوية، وقبل ذلك كانوا يدفعون مبالغ طائلة لاستيراد الأدوية مـن إنجلترا وفجأة أصبحوا يصنعونه بأنفسـهم، وقد أسـهم هذا المصنع في فتح البـاب أمـام اسـتخدام الأدوية لأن النـاس في مصر فقـراء للغاية وقليلـي الموارد الماليـة, ويتعذر عليهم شـراء الـدواء الباهظ الثمـن. وفجأة بـات لديهم الفرصة للحصول على هذا الدواء بسعر رخيص لتلبية احتياجات الشعب.

تجولنا كذلك في عدد من المصانع وكان الشـعب في اسـتقبالنا في جو من البهجة والسـرور لقيامنا بتقديم يد العون لهم في إنشاء بعض المصانع والمعامل ممـا سـاعد في خلق الآلاف من فـرص العمل. ثم جاء يـوم تحويل مجرى النهر،

تم عمـل أنفاق لتصريف المياه وتحويل مجـرى نهر النيل إلى مجرى آخر، وتهيئة الظـروف المناسـبة لتعلية السـد وتركيب الأجهـزة والمعدات . ذهبنـا مع عبد الناصـر إلى منطقة السـد العالـي بالقطار . لابد مـن القول بـأن عبد الناصر قد تـرك لدى انطبـاع جيد للغاية . فقـد كـان ناصر زعيمـا في عيون المصريين، وكان لـه هيبـة كبيرة واسـتقبل بحمـاس كبير : الجميـع يهتف ناصر ! ناصـر! ناصـر!، وإنني أعلـم كيف يقومون بذلـك في مواقف أخـرى، ولكني رأيـتُ هذه المرة حماس يمتزج بالإخلاص، حماس يعبر عن مشـاعر شـعب مصر تجاه رئيسـهم . وصلنا إلى أسوان وكان هناك الرئيس بن بيلا، رئيس الجزائر، ورئيـس وزراء اليمـن ولكـن لا يحضرنـي اسمه الآن، والسـيد عـارف، رئيس جمهوريـة العـراق، حيث تم دعـوة كل هؤلاء لحضور حفـل تحويل مجرى نهر النيل . لم تكن تجمعنا مع عارف علاقات جيدة، فقد اعتبرناه شخصا ذا توجه غـير تقدمـي ولهذا فقد أعربـت لعبد الناصر عـن رأي قائلا : « إنه شـخص غير مريح، ولا يُسـتحب الحديث معه « وقبيل حفل الغـذاء الذي نظمه عبد الناصر تشـريفا للضيـوف الحضور، جاءنا خبر يفيد بأن السـيد عارف قـام بالتنكيل بالقوى التقدمية في العراق . ولهذا قلتُ لناصر : « انه شـخص غير مريح للغاية، تفيـد معلوماتنـا بأنه قام بهـذا العمـل بالفعل وقام إمـا باعتقالهـم او القضاء عليهـم ولهذا لا ينبغي الجلـوس بجانبه، فقد كـان ترتيـب المقاعد علـى النحو الذي يجعلني أجلس بجواره مباشرة أو بعد شخص او اثنين علـى المائدة وهذا أمر بغيض للغاية».

يقـول عبـد الناصر : «اعتقد أن هـذه المعلومات غير صحيحـة، لا أعتقد أنه يقوم بذلك في الوقت الذي يحل فيه ضيفا بمصر وسـيلتقي معك . وهو يرغب في هذا اللقاء لأنه يـريد إقرار علاقات أكثر متانة مع الاتحاد السـوفيتي» . قلت لناصـر : «أشـك في ذلك، لأن هـذا الأمر غير واضح في أحاديثـه» . يقول ناصر : «حسـنًا أعلم ذلك». وبعد مرور بعض الوقت قال لي ناصر: «هل تعلم أنه أقسـم بأنـه لم يفعـل ذلك، وأن هـذا من اختـلاق الصحافة البورجوازيـة، لم يـكن لها وجود بالعراق من قبل . وأنا أثق فيه لأنه شخص متدين، يسجد طول الوقت علـى

ركبته في عبادة الله، يدعوه لتحقيق مطالبه . ولهذا فلا يمكن أن يكذب، أؤكد لك». سار حفل الغذاء بشكل احتفالي رائع وبعد ذلك تحدثت مع عارف . طرح عارف الموضوع بنفسه قائلا : «المعلومات التي حصلت عليها غير صحيحة، ومن أدلى بهذه المعلومات هم أفراد لا يحرصون على تحسين العلاقات بين العراق والاتحاد السوفيتي , وإنني لم ولن افعل ذلك». قلتُ له : «إنني سعيد بتصريحك هذا وأنك لم تفعل ذلك . ولكننا حصلنا على هذه المعلومات». من الواضح أن معلوماتنا لم تكن دقيقة إذن . أما بن بيلا، فقد كان من أفضل الشخصيات التي تركت لدى انطباعا جيدا للغاية . فهو شخص مثقف، مهذب، يتحدث في موضوعات كثيرة منها بناء الاشتراكية، الشئون الماركسية، فهو شخص يحرص على بناء نظام اشتراكي علمي، يقول أنه لا يوجد أي سبيل آخر لبناء الاشتراكية سوى الماركسية والطريقة العلمية . وأنا معجب بسياسته الداخلية . اذكر على سبيل المثال أن الحزب الشيوعي في الجزائر يعمل بصورة غير شرعية وهو في وضع معقد، لأنهم يعيشون بحرية واللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري تتصرف بكل حرية . فقد كان معظم قيادات الحزب الشيوعي معروفة للقيادة الجزائرية وكان الشيوعيون يقولون لي إن بن بيلا استدعى شخصيات بارزة من الحزب الشيوعي وسألهم : «ما هي طلباتكم ؟ من حقكم شغل مناصب في النقابات العمالية، اهتموا بقضايا التنوير والثقافة والاقتصاد» . وهذا يعني أن الشيوعيين لا يشكلون أي عائق عند تغلغلهم في الجهاز الحكومي .

نعود مرة أخرى للحديث عن الاحتفال بتحويل مجرى نهر النيل، فقد كان احتفالا مهيبا لدرجة أن أعدادا غفيرة من الشعب خرجت لمشاهدة هذا الحدث . فقد ألقى الرئيس كلمته، أما الوزير المسئول بشكل مباشر عن بناء السد، فقد أدلى ببيان للرئيس . ثم جاءت لحظة إطلاق شارة البدء . أخبرني الرئيس آنذاك : «هذا هو سدنا، ولكن انتم من قمتم بعملية البناء الفعلي له وقمتم بإقراضنا المبالغ المالية لبنائه، فهو مشروعكم الفني ولهذا أدعوك لكي تشاركني في الضغط على مفتاح تفجير السد المائي لتحويل مجرى النهر إلى مجرى جديد».



لقد كانت تلك مهمة شرفية بالفعل، ولهذا لم يكن هناك أي مجال للتراجع. فهذا شرف بالنسبة لي؛ ولذلك فقد رحبتُ على الفور بهذا الاقتراح. وقمتُ مع الرئيس بالضغط على مفتاح التشغيل. وحدث الانفجار واندفعت المياه في المجري الجديد. وفي الحقيقة، قالوا لي بعد ذلك إن هناك فردين قد احتبسا داخل الأنفاق واجترفتهم مياه النهر، وقالوا فيما بعد أنه تم إنقاذهم. ولكني لا أعلم ما مدى صحة ذلك.

جرت احتفالية تحويل مجرى النهر بشكل مبهر للغاية، كان لابد من رؤية هذا المشهد، لأنه يصعب فيه وصف ذلك النور الذي كان يتلألأ على وجوه المصريين وكيف لمعت عيونهم عندما رأوا مياه النيل وهي تندفع في المجرى الجديد.

لقد حذروني من المناخ الجاف في أسوان، فالأمطار هناك تتساقط كل بضع سنوات. ولكني استعددت لهذا المناخ. وعندما وصلنا إلى أسوان لم يكن هناك أي مخبأ من أشعة الشمس الحارقة، غير أن المكان الذي كنتُ أجلس به كان جيدا والهواء كان باردا وكذلك المياه. ولكن فكرة الحصول على حمام بارد كانت دربا من دروب الخيال، لأن المياه في المواسير كانت ساخنة بفضل حرارة شمس أسوان.



تم تنظيـم اجتماع في المسـاء، وقبل هذا الاجتماع كان هنـاك اجتماع آخر مصغر للخبراء والعمال السـوفييت . حيث كان لديهم نادي هناك وقد دعوني لكـي القي كلمة أمامهم، وقد رحبتُ بذلك . تحدثت معهم وناقشـنا الأوضاع في البـلاد ،وكان الوضع جيد بوجه عام وكذلك الحالة المعنوية لدى الشـعب جيدة .

بـدأ الاجتمـاع بعد غروب الشـمس، والسـبب في ذلـك، لأنه من المسـتحيل التواجـد في الجو المكشـوف في فـترة النهار . تقـدم الرئيس ليلقـي كلمته . ولأول مـرة تحدث عن الاشـتراكية التي يقومـون ببنائها على أسـس علمية . أي أنـه ابتعد عن الحديث المعتـاد حول بناء الاشـتراكية العربية وبدأ يتحدث هنا ولأول مرة عن الاشـتراكية العلمية . وذلك على الرغم من أنه لم يستشهد بأسمـاء ماركـس ولينـين. ولم يستشـهد بالمفهـوم الداخلـي، وإنمـا وضع في اعتبـاره توجهات أعدائه وحلفائـه الذين لا يدركون هذه المسـألة جيدا . ولهذا فقـد قدم تنازل مؤقت وعلى أية حال فقد كان ذلـك خطوة للأمام وقد اعتدتُ على سماع ذلك .

كنـتُ قد أعددتُ كلمة صغيرة لكي ألقيهـا في هذا الحفل وقد حظيت تلـك الكلمـة بإعجـاب الحضـور . وبعـد ذلـك جـاءت كلمة أحمد بـن بلا، وكانـت جيدة للغاية . ثم تحدث بعد ذلك السـيد عـارف . وكان من الصعب



الموافقة على الحديث الذي أدلى به عارف لأنـه كان معقدا للغاية من الناحية السياسية، فقد تشابكت كلمته بمفهوم غير صحيح . حيث تحدث فيها عن الاشتراكية العراقية فقـط، ثم تحدث كثيرا عن الرب علـى اعتبار أنه رجل مؤمـن . وعلى أية حال فلم تكن كلمته مثل كلمة ناصر ولم ترق لمستوى كلمة أحمد بن بلا على الإطلاق .

وبالنسبة لكلمة رئيس وزراء اليمن، فلم تتسم بشيء مميز . فقد كانت كلمـة افتتاحية معتادة في معظـم الاجتماعات ولهذا لم تثر حولها أي حماس . ولم يقل أي شيء يمكن الاعتراض عليه . ولكن ينبغي النظر بعين الاعتبار إلى الوضع الداخلي لهذه الدولة ووجهات نظر رئيس وزرائها . فهو ليس شيوعيا، بـل هو قائد عسـكري ولهذا لا يمكن أن نطلب منه أي شـيء. لم يكن لديه أيـة دعوات خاصة . ولكنه أوضح رغبتـه في إقامة علاقات صداقة مع الاتحاد السـوفيتي . و نحن فهمنا ذلك وقدمنا له الدعم والمسـاندة . وقمنا آنذاك بإنشـاء مرسـى بحـري لليمـن إلى جانب منشـآت أخـرى . ولكننـا لم نجر مشـروعات كبيرة باليمن بسـبب الوضع الداخلي الذي لم يـكن مسـتقرًا في ذلك الوقت، ولم يكن رئيس الوزراء لديه الوقت الكافي للاهتمام بإنشاء مشروعات . فقد كان يقـود حربا ضد الأمير البـدر، الذي أصبح ملكًا بعد ذلك فهو شـخصية مهمـة . سـأتحدث عنه فيمـا بعد لأنني لم ألتق معه سـوى مرتـين أو ثلاثة على

الأرجح. فهو شخصية غريبة الأطوار، التقيتُ معه عندما كان وليًا للعهد عند الملك اليمني .

جلست في هذا الاجتماع إلى جوار أحمد بن بلة، عندما كان عارف يلقى كلمته، ظل بن بلة يضحك طوال الوقت ويهتز في مكانه ويبتسم لي . وأدرك أنني لا أوافق على ما يقوله عارف ولذلك فقد كان يعبر عن رأيه بكل صراحة تجاه كلمة عارف . عندما أوشك عارف على الانتهاء من كلمته، أخذ بن بلة يقنعني بأن أتحدث بكلمة، قلتُ له : «اسمح لي هذا سيكون من باب سوء التصرف . لقد أعطيت لي الفرصة بالإدلاء بكلمة وقد تحدثتُ بالفعل وقلتُ ما أريد قوله، أما الآن فليس لدي كلمة مجهزة . وإذا ما تحدثت بدون إعداد سابق، سيتم تأويل ما أقوله بشكل سيئ، لأنني من الممكن أن أعلن عن أية دعوات خاصة لم يضعها الضيف». قال لي : «ماذا تقول !». وأخذ يقنعني : «ثق في وأن ما تقوله سيتم استيعابه بشكل جيد . وإذا لم يكن لديك نص مكتوب، فإنني على يقين من أنك ستجد ما تقوله وقل المفيد بالنسبة لعارف وباقي الحضور». رفضتُ هذا المقترح لأنني رأيت أنه لن يكون محببا بالنسبة لناصر ثم قلتُ : «ليس من اللائق أن أتحدث بصراحة مع عارف في هذا الاجتماع. أليس رئيسًا لجمهورية العراق». وهنا تدخل عبد الناصر وقال لي : «أنصحك بأن تتحدث . فأنت لن تدخل في جدال معه ولن تذكر اسمه، ولكن عبر عن وجهة نظرك، والتي ستكون بالطبع مفيدة لعارف وباقي الحضور .وإلا سيُفهم أننا نشاركه الرأي». قلتُ : «ضع في اعتبارك أنني سأعبر عن وجهة نظري التي تعلمها أنت ولهذا لا تدعي علي». وقد أدليت بكلمة بالفعل تحدثت فيها عن الاشتراكية العلمية . وكان لدى عارف مجموعة من الأفكار مثل تلك التي كانت لدى عبد الناصر في وقت من الأوقات . ولكنها كانت بالنسبة لناصر مرحلة وانتهت، أما بالنسبة لعارف فهو مازال يعيش نفس المرحلة ولم ينتهِ منها : الشعب العربي، نبذل قصارى جهدنا لأجل الشعب العربي و نحن نؤمن بالشعب العربي . فهو لم يقسمه إلى طبقات وإنما يتعامل معه ككتلة واحدة . وقد طرحتُ هذا الموضوع في كلمتي وقلتُ : «هناك البعض ممن يتحدث عن الشعب العربي مثله مثل باقي شعوب دول العالم، لديه بناء معقد . فهناك عرب



من العمال . فمن يقصد أي محاضر هنا من تلك الفئات في حديثه . ثم إن العرب الفلاحين يريدون الحصول على أملاك والعرب من أصحاب الأملاك لا يريدون إعطاء الفلاحين تلك الأملاك . والعرب العمال لديهم مطالب : فهم يريدون العمل قليلا مقابل الحصول على أجر كبير.فأنت مع من مِن هؤلاء العرب ؟ هل مع العرب العمال أم الفلاحين أم أصحاب رأس المال ؟». وأضفتُ أمثلة أخرى خاصة بالماركسية وأنهيت كلمتي .

وقد أدرك من فهم حديثي إنني أتجادل مع عارف وكلمته . ولكن عندما كنت استعد لإلقاء الكلمة، كان كل تفكيري منصبا على تجميع الأفكار وترتيبها بشكل متتالي ولهذا كنتُ في حالة من القلق، هل سيفهمني العمال الحاضرين بهذا الاجتماع، خاصة وأن غالبيتهم غير متعلمين وقد نمو وترعرعوا على أن التقدم بالنسبة لهم يتمثل في الاشتراكية العربية ولابد من النضال لحماية العرب . وهذا أمر مفهوم، لأن مصر ظلت لسنوات طويلة تحت أقدام المستعمر الإنجليزي، ثم خاضت الشعوب العربية حربا ضد إسرائيل التي احتلت أراضيهم . ولهذا فإنهم عندما يقولون " لصالح العرب «و» لصالح الشعب العربي «فهم يتصورون في مفهومهم أن هذا ضد العدو الخارجي. وفي هذه الحالة تختفي أية مشاكل داخلية او قضايا طبقية . وبالنسبة للأحزاب الشيوعية سواء كانت بمصر او باقي الدول فهي تعمل بشكل سري وتتسم بالضعف . وقد انتابني القلق بعدما كشفت البناء الطبقي للمجتمع

المصري والدول العربية الأخرى، فكيف سيدرك العمال ذلك ؟ هل سيفهمون بشكل صحيح ؟ غير أن الشعب ينصت ويستمع بمنتهى الحرص واليقظة . ويبدو أن المترجم قد نقل حديثي بشكل جيد لأن الجمهور استقبل حديثي بصورة جيدة واستحسنه وقوبل بتصفيق حاد.

وبعد أن أنهيت حديثي، أبدى الحضور إعجابهم بالكلمة، وكان أحمد بن بلة راضيا عنا، وقال لي : «أحسنت» . ووجدت الإطراء والمديح من عبد الناصر. ولكن بالنسبة لناصر فقد مدحني لأنه المضيف وهذا من واجب الضيافة، أما بن بلة فقد استوعب كلمتي بالفعل وكان يتفق معي بشكل كامل ولم يكن لدى أدنى شك في انه يقول ما يفكر فيه . انتهى الجميع من الإدلاء بكلماتهم، وأغلق الاجتماع أبوابه . وأدرك عارف مكنون كلمتي . إنني اعتبره شخصًا محدود الأفق ولكن لا يجب أن يكون ذكيا وفطنا كي يدرك أن كلمتي ما هي إلا مجادلة لحديثه . وعلى أية حال فقد ترك لدى هذا الشخص انطباعا سيئا منذ البداية . ولكنه رئيس ولذلك يتعامل معه عبد الناصر و أحمد بن بلة بشكل جيد . وقد أعرب بن بلة عن رأيه صراحة وقال : «أيها الرفيق العجوز، عليك أن تفهم أن عارف معنا ولن يفترق عنا أبدا . سيسير معنا حتى النهاية ولهذا يجب علينا مساندته . وما لا يدركه الآن، سيجيء عليه الوقت الذي يدركه فيه لاحقًا. ولا يوجد من يفهم أكثر منه . وإذا ما كان هناك أفراد لديهم مواقف أخرى، فهم ضدنا وليسوا معنا . فهو يساند الوحدة العربية ويدعمها وفقا لمفهومه . وعلى أية حال فهو يقف مع الوحدة معنا ولهذا فلا يجب إبعاده بل على العكس، يجب علينا مساندته. وفي حالة عدم وجوده من الممكن أن يأتي آخرون ذوو سياسة مخالفة». راقت لي كلمات بن بلة كثيرا، فقد تحدث بشكل صحيح، أجبته قائلا : «إنني أفهمك أيها الرفيق بن بلة، في الواقع لابد من التحلي بالصبر وليس هناك سبيل آخر».

لقد اتفقنا على التحلي بالصبر في التعامل معه . وقد دفعني ناصر و بن بلة على هذا الصبر . قلت لهم : «اتفق معكم، هذا تفكير صائب، ولا داعي

لوخـزه بالدبابيس الـتي تزعجه وتوهن من عزيمته، بـل على العكس لابد من مســاندته». وبعد عودتى إلى موسـكو تبادلنا وجهات النظر حول هذا الموضوع وقررنا الاسـتماع إلى نصيحة بن بلة و عبـد الناصر في محاولة لدفع عارف وفهم موقفه الذي يتمسك به .

وهكذا انتهى الاجتماع المنعقد بمناسـبة تحويل مجرى نهر النيل بأسـوان. وقـال لي الزمـلاء السـوفييت، الذين يعرفون اللغـة العربيـة أن العرب كانوا يسـتمعون لكلمـتي باهتمام وأدركوها جيـدا. لا أتذكر ذلـك الخبير الذي كان يجلس بجوار السـائق العربي، حيث كان هذا السـائق يجلس بالسيارة ويسـتمع لـكل الكلمـات التي جـاءت بالاجتماع بمـا فيها كلمـتي الأولى والثانيـة . وبعـد أن غادروا قال لـي : " هذه هي أول مرة في حياتي أسـتمع فيها لهذا المفهوم عن الشعب العربي والوحدة العربية بمثل هذه الصراحة . فقد كان حديثا صائبا . في الواقع نحن لدينا مصالح متعددة».

فهـذا هو مفهوم التفكك الطبقي الذي تناولته بشـكل جاد وكان لدينا منذ زمن قديم، ولكنه الآن يشكل ظاهرة جديدة لدى العرب . لم يطرح أي من الكوادر القيادية ذلك الموضوع . فمن المرجح أن يكون الشيوعيون قد طرحوه من قبل ولكنهم كانوا يعملون بصورة سرية وكان الحزب الشيوعي قليل العدد، ولهذا لم يجد له مريدين بين صفوف الشعب . ولم يصل ذلك إلى البسطاء من الناس . لقد كنتُ سـعيدا لأن كلمتي أسهمت في زرع بذور الفهم الصحيح لهيكل وبناء المجتمع الذي يُعد مجتمعا طبقيا، وكل طبقة لديها مصالحها الخاصة التي تتعارض مع مصالح الطبقة الأخرى .

كـان مخططا في برنامج زيارتي لمصر، الذهاب إلى البحر الأحمر . قيل لنا إن هناك سفنا و نحن سنقيم عليها . لا أتذكر مدة بقائنا هناك هل كان يومان أو ثلاثـة، لا أعلـم تحديدًا . فقـد كان بمقدور محبي الصيد اصطياد السـمك هنـاك، أما نحن سـنتباحث فيما بيننا و نجري مباحثـات عامة مع ممثلي الدول العربيـة الأخرى . وأكرر ممثلي تلك الدول كانوا : اليمن، الجزائر، العراق . لم

يستطع ممثلي سوريا الحضور . فبعد نسف الوحدة التي تم إنشائها، لم تحضر سوريا .

ذهبنا إلى منطقة البحر الأحمر بالطائرة . وجدنا السفن هناك بالفعل . تم توزيعنا عليها . كان الجو أكثر انتعاشا هناك عن تلك الصحراء التي تحتضن أسوان . فهواء البحر منعشا وسهل التنفس . ويقوم الصيادون الآن بصيد الأسماك في الوقت الذي يقوم فيه ممثلو الدول بتنظيم اللقاءات والمباحثات .

كانت الأحاديث التي أجريناها مفيدة ومثمرة لنا . فقد أوضحت وجهات نظرنا من جديد . وأثناء تبادل الآراء وجدنا الكثير من نقاط التماس ومزيد من التفاهم المتبادل حول الكثير من الموضوعات والقضايا التي تتطلب الحسم . ولا أتذكر الآن ما هي تلك الموضوعات تحديدا ولكنها قضايا دولية، موضوعات خاصة بالبناء الداخلي ووحدة الدول التي تقف عند وضع محاربة المستعمر والتعايش السلمي . وسبق وأن تحدثنا في الاجتماع الأول حول وجهات نظرنا إزاء النظام والبناء الداخلي لكل دولة . وعن ذلك الطريق الذي من المفترض وأن تسلكه البورجوازية او الاشتراكية . تحدث عبد الناصر مدافعا عن الاشتراكية العلمية، وتحدث عارف مدافعا عن الاشتراكية العربية ليس لأنه يعترض بوجهة نظره على رأي عبد الناصر . هذا ليس صحيحا لأن عبد الناصر كان بالنسبة له شخصية ذات نفوذ، وكان دائما ما يسانده بدون تفكير . وما هو واضح لنا لم يتضح بعد للسيد عارف . لا أقول ذلك عن أحمد بن بلة، الذي أراه الأكثر قربا لنا نحن الماركسيين، لم يتحدث صراحة عن ماركسية لينين ولكنه ينتهج هذا المبدأ في حياته العملية . وهو يتصرف على هذا النحو لاعتبارات داخلية لأنه يتوجب عليه وان ينقل الشعب إلى نقطة النضج والاستيعاب الصحيح لهذا المبدأ . لا يجوز الابتعاد عن شعبه حتى لا يعارضه ولا يعطي الفرصة للأعداء لاستغلال مواقعهم القوية بين شعوب العالم العربي الأمية . ولا أعلم الآن ما هو وضع بن بلة بعد الإطاحة به وقد علمتُ بذلك من خلال الصحف . ولكني أرى أن ذلك يعد خسارة كبيرة للاتحاد السوفيتي،

دول الكتلة الاشتراكية والحركة الشيوعية. لأنني رأيت أنه يعد شيوعي المذهب، والسياسة التي ينتهجها لم تكن تتعارض والتكتيك الشيوعي. المسألة هنا ليست نظرية، بل هو تكتيك كان يسير عليه وينتهج سياسة حكيمة وصائبة.

البحر الأحمر - بحر دافئ المياه، ولكني للأسف لم أسبح فيه. أما زملاؤنا فقد سبحوا فيه واصطادوا السمك أيضا، فهو بحر غني بالأسماك المختلفة، وشواطئه أشبه بشواطئ "بحر قزوين" المحاط بالرمال والصحراء أيضا. والمشهد من داخل البحر إلى الشاطئ هو مشهد فريد من نوعه فهو ممزوج بالصحراء والرمال والكثبان الرملية.

حان الوقت لمغادرة المكان، طرنا إلى أسوان مرة أخرى، وواصلنا طريقنا من هناك وفي اللخطة الموضوعة. حيث كان من المفترض وأن نذهب لزيارة مدينة الأقصر - العاصمة التاريخية القديمة للمملكة المصرية، الغنية بالآثار والتي كان لابد من إنقاذها من الغرق.

لا يمكنني أن أتذكر الآن كيف وصلنا إلى أسوان، هل عن طريق القطار ام الطائرة. فقد كانت تلك الزيارة قصيرة ولكنها ثرية، فقد مر عليها الكثير من الوقت وتراكمت في رأسي الكثير من تفاصيلها، فمن الصعب الاعتماد على الذاكرة أو أية مصادر أخرى لاستعادة تفاصيل تلك الزيارة. وكل ما تبقي في الذاكرة عن تلك الرحلة هو مشهد تدفق مياه نهر النيل من الأعلى في شريط ضيق. ولكنه مشهد حزين للغاية، لأن مساحة المناطق المزروعة الواقعة على يسار ويمين النهر صغيرة للغاية وباقي المساحة عبارة عن صحراء قاحلة. ومفهوم الصحراء معروف لنا جغرافيا. ولكن عندما ترى تلك الصحراء على أرض الواقع في الهواء الطلق يتشكل لديك انطباع آخر.

عندما تباحثنا مع الرئيس ونائبه عامر، حول الاستعداد العسكري، اتضح أنهم بالفعل قاموا بإعداد كتائب للعمل في الصحراء. ومن الواضح أنهم تدربوا

بشـكل جيد في حالة إذا مـا تطلب الأمر العمل في الصحـراء، أصبحوا قادريـن علـى العيش في جو الصحراء يتغذون على كلأ المرعى . ولكن أي كلأ هذا الموجود في هذه الصحراء القاحلة ؟ يقال إنه يوجد ثعابين في الصحراء ولهذا فهي تمثل الطعام بالنسـبة لهم . واتضح كذلك أن الشـخص يسـتطيع العيش في الصحراء لوقت طويل في حالة إذا ما تلقى التدريب المناسب .

تضمـن برنامـج زيارتي لمصر كذلـك الذهـاب برفقة الرئيس عبـد الناصر إلى مدينـة الإسـكندرية لتفقـد المشروعات الراميـة لاسـتصلاح الأراضـي بالمستقبل، أي بعد إنشاء مشروع السد العالي، حيث ستزداد عملية استصلاح الأراضي بنسـبة الثلث، وهذه نسبة كبيرة للغاية . لابد من الوضع في الاعتبار ان هـذه الأراضي صالحة للري مما يزيد من قيمتها . فهي تزيد نسـبة المزروع من المحاصيـل بمعدل الضعـف أو ثلاثة مـرات لبعض المحاصيل الزراعية سـنويا . ولكن ماذا يعني كلمة عام (سـنة) في مصر ؟ إن البرد لديهم بدون ثلج، أيهو مجرد جو بارد من خلال منظورنا نحن . ومن هنا تبرز أهمية السد العالي بالنسبة لشـعب مصر، فأحلامهم هنا ليست مرتبطة بالحصول على الطاقة الكهربائية فحسـب، بل لأجل توسيع البقعة الزراعية وتهيئة الظروف لضمان توفير الطعام والمحاصيل الزراعية .

سـافرنا ووصلنا إلى منطقة ما، كان هناك عدد كبير من المهندسين الذين يضعـون الخطط الخاصة بتحديد المناطق السـكنية . ولكن كان مبدأهم يسـير على الطريقة القديمـة، أي أن يتم تخصيص قطـع صغيرة من الأراضي التي سـيحصلون عليها نتيجة للري ويعتمـدون على تلك التقنية القديمة التي تعود لآلاف السـنوات . وعندما سافرت مع عبد الناصر، شاهدت من نافذة القطار أو السـيارة جاموسة معصوبة العينين، تنزح الماء وتلقي به في حقول الأرز لأجل ريهـا . وكان حقل الأرز صغير جدا، وكأنه نموذج مصغر من الحقل . وكان هنـاك بعض الفلاحين الذيـن يقومون بحرث الأرض بأيديهـم . من الواضح إذن أن النـاس تعيـش هنا في فقر مدقع، مثل حياة القـوارض داخل الجحور . وأخص

بالحديث هنا حياة الناس في القرى . وأعتقد أنه بسبب هذا المستوى من الفقر المدقع، لم يقترح الرئيس زيارة إحدى المواقع السكنية . واستطعت فقط مشاهدة الطرق، وقد رأيت في مكان ما شيء أشبه بالتل الصغير، ولكن اتضح أنه مجموعة من الأفراد تعيش هناك، ولا أعلم هل كانوا هؤلاء هم الأكثر بؤسا وحرمانا أم لا، حتى أن المظهر الخارجي لسكان المدينة كان يبدو فقيرا . وهذا أمر مفهوم، لأن الإحصائيات تشير إلى مستوى معيشة متدني للغاية .

وذات مرة ذهبنا مع الرئيس في سيارة واحدة، وفجأة غاب الرئيس عن الوعي وقام بإيقاف السيارة، انغلقت عيناه، استلقى بظهره على مقعده . الأمر الذي أصابني بقلق بالغ وقال إنه يشعر بوعكة صحية ولديه دوار في الرأس ولن يستطيع أن يكمل السير بالسيارة . واعتذر وانتقل إلى سيارة أخرى واعتقد انه عاد إلى الإسكندرية . واقترح علينا أن نواصل رحلتنا المخطط لها . لا أتذكر من أكمل معنا تلك الرحلة، ولكن يبدو انه كان عامر، لأنه كان يرافقنا بشكل دائم وكان هناك حالات نادرة عندما لا يكون فيها عامر موجودا مع الرئيس أثناء مشاهدة معالم البلد أو المنشآت .

ذهبنا وشاهدنا المواقع، كان الأفراد يبذلون قصارى جهدهم للتحكم الرشيد في استخدام تلك المساحات الجديدة من الأراضي وتهيئة الظروف الإنسانية الملائمة لسكان القرى . تشكل لدى انطباع يفيد بأن الركيزة الأساسية لا تعتمد على بداية متقدمة، ولكني بالطبع لم أفصح عن انطباعي هذا وأخذت أعقد مقارنة مع جمهوريات وسط آسيا . حيث هناك تشابه كبير في الظروف : فالنشاط الرئيس هو النشاط الزراعي الذي يعتمد على نهر النيل كما الحال في كل من أوزباكستان وطاجاكستان، وبدون مياه الري هذه لا يمكن الحصول على أية محاصيل زراعية، وأخص بالذكر محاصيل مثل الأرز والقطن والفواكه . وبالنسبة لمحاصيل الفاكهة في دول وسط آسيا فهي رائعة ولكنها تعتمد جميعا على مياه الري وفي حالة اختفاء هذه

المياه سيختفي بالتالي كل هذه الأنواع وتتحول الأرض إلى صحراء جرداء . لقد قطعنا شوطا كبيرا في أجراء أعمال ميكنة كبيرة لتسوية الأراضي وقياس المناسيب وشق القنوات . ولكني لم أجد أي شيء من هذا القبيل هنا . بالنسبة لهم فإن تمهيد الأرض بهذه الطريقة هو أمر مستحيل، ولهذا فقد كنتُ أنتقد خططهم لاستصلاح الأراضي . ولكني كنت متأرجحا لوقت طويل – هل أعبر عن شكوكي هذه للرئيس أم لا، كنت أخشى من أن يعطي ذلك حجة للتفكير بأنني أدفعه بهذه الطريقة نحو إجراء اتحاسمة وجذرية في إدارة المجال الزراعي او نحو العمل الجماعي أو باقي الأشكال الأخرى للاقتصاد القوي . على الرغم من أنني كنتُ أرى في مصر إمكانية إحراز تقدم في استصلاح الأراضي التي ظهرت نتيجة لتدفق مياه النيل بفضل بناء السد العالي. وصلنا إلى الإسكندرية، وكان من المفترض وأن نجتمع في المساء وفقا للخطة، ذهبنا لتناول الغذاء . بالنسبة لي كان من المفترض وأن أتناول الغذاء في قصر منفصل، وكان ذلك القصر ثريا وفخم للغاية فهو قصر الملك . وفي المساء دعاني عبد الناصر إليه، حيث كان لديه استراحة واسعة وجيدة ومريحة . وكان بمقدوره أن يستقبل فيها عشرات الضيوف . وقد اجتمعنا في قاعة داخل تلك الاستراحة، ذهبنا نحن الاثنان معا ولم يكن عامر معنا .

كان لدي طول الوقت رغبة داخلية تدفعني للتعبير عن معتقداتي، اعتذرت للرئيس وأوضحت له أن حديثي هذا لايمكن أن يكون توصية بأي حال من الأحوال، إنها مجرد آرائي ولا يمكن أن أفرضها على أي طرف .وتوجهت إليه ولا أتذكر صيغة حديثي معه ولكن أعتقد أنه عندما كنا بمفردنا كنت أخاطبه "الرفيق ناصر" وأحيانا «الرئيس».

قلتُ له : «لدى بعض الاعتبارات ولكني أشعر بالتذبذب حيال الإفصاح عنها من عدمه «ولكني وجدته قد ترك لدى انطباع جيد : نظرة مليئة بالحنان والإنسانية تجاهي. فقد أعجبني وإنني الآن أشعر بالتعاطف معه عندما أتذكر لقاءاتنا، أحاديثنا وزيارتي لمصر، قال لي : " قل ما يدور في ذهنك».

قلتُ له : «إنني أفكر في تلك الأراضي التي يجب عليكم إعدادها وتمهيدها للزراعة . أريد أن أسألك ما هي رؤيتك لاستصلاح تلك الأراضي ؟» أجاب قائلا : «سنقوم باستصلاحها وتقسيمها على الشعب، لدينا الكثير من الأفراد الذين لا يملكون أراضي، فالاحتياج هنا كبير للغاية». هذا لم يكن جديدا بالنسبة لي . فقد كنت اعلم ان لديهم عدد كبير من الأيدي العاملة أكبر من الأعمال المتاحة . فهم في حاجة لزيادة حصص الأرض ويتوقعون الحصول عليها بعد إنشاء السد العالي .

يقول عبد الناصر : «هل تفكر في توزيع تلك الأراضي على الفلاحين؟» قلتُ له : «بالطبع هذا عمل كبير حيث سيكون لديكم ثروة ضخمة . ولكن فلتسمح لي أن أعبر عن آرائي . أرجو أن تفهمني بشكل صحيح ولا تنزعج من إلحاحي كضيف، أنها مجرد أراء ولا أستطيع فرضها عليك . استمع لي ولك كامل الحق في الرد علي وكيفية دراسة هذه الاعتبارات هو شأنك الخاص» ، يقول : «تفضل، أنا أسمعك» .

قلتُ له إذا ما كنتُ في مكانك، فلن أقوم بتوزيع تلك الأراضي، بل سأنشئ مزارع حكومية تابعة للدولة والتي نطلق عليها لدينا مزارع حكومية وهي عبارة عن منشآت زراعية حكومية سوفيتية، و نحن نتمتع بخبرة كبيرة في هذا المجال . وقد قمنا بإنشاء مثل تلك المزارع في أوزباكستان، تركمانيا، و طاجاكستان . وقبل ذلك الوقت كنا قد أنشأنا العشرات من المزارع الحكومية وقمنا بتشغيل تلك المزارع الجديدة منذ عدة سنوات . ولهذا هناك إمكانية لإبرام اتفاق حول استغلال تلك المزارع، وكيفية استثمارها . أستطيع أن أتحدث بشكل دقيق وبدون أرقام ولكن يمكن الاستعانة بالذاكرة لاستذكار تلك الأرقام: " سأقول لك ما الذي نفعله . فنحن الآن نقوم بأعمال كبيرة في منطقة السهول القاحلة وهناك إمكانيات كثيرة . ومسألة استصلاح هذه الأراضي يتوقف على حجم الاستثمارات وكمية المياه المتاحة . رفضنا إقامة مزارع جماعية فوق هذه الأراضي، وقررنا إنشاء مزارع

حكومية، أنشـأنا قرى على طراز المدن بحيث تتضمن كافة وسـائل المعيشة والخدمات والمرافق وشيدنا المدارس وحضانات للأطفال وحدائق . أي قمنا بتوفير كل سـبل المعيشـة لمن يعمل في تلك المزارع . هذا يتطلب بالطبع الكثير من المـوارد والاسـتثمارات. ولكـن التجربة أوضحـت لنا أنه يكفـي زراعة ثلاثة محاصيـل فحسـب، وسـتكون قادرة علـى الإتيان بثمـار تلك الاسـتثمارات. وتعتمـد المحاصيـل الجيـدة في الأراضـي المرويـة علـى كيفيـة اسـتصلاح تلـك الأراضي والخـبرة في التعامل معها . وفي ضوء ذلك يسـهل الحصول على ٣٠ سنتنار من القطن. (سنتنار = ١٠٠كجم - المترجمة).

وكلمـا زادت جـودة المـزارع، زاد الإنتاج الجيد بهـا . وكان رجال الاقتصاد لدينا يرسـلون لى التقارير التي تفيد بأنـه إذا وضعنا تكلفة هذا المحصول في تصنيـع المنتجات القطنية بـدلا من تصدير القطن الخام، سـيتم تعويض حجم الاسـتثمارات بقيمـة ٢ـ ٢,٥ مـن تكلفة المحصـول، وفي حالـة وجود محصول جيد سـتزداد القيمة مرة ونصفثم لتكن الضعف فيما بعد . هذا يعني أنه في غضون أربع سنوات ستكونون قادرين على تعويض كل تلك الاستثمارات، مما سـيمنحكم موارد مالية كبيرة. وبالتالي فإذا ما أقمتم مزارع حكومية وفق مسـتواكم، سـتتحول تلك المـزارع إلى ماكينـة طبع النقود . وسـتعود بالنفـع علـى الشـعب المصري لأنك بذلـك تقـوم بتحويله إلى أيـدي عاملة في تلك المزارع الحكومية، وسـترفع من مستوى ثقافته، وتأهيله وبالتالي سيزداد راتبه بشـكل كبير. أما الآن فأنتم لا تعملون على هذا النحو، وإنما تعملون بطريقـة الطـور الذي يـدور في السـاقية لكي يـروى الأرض . أرجو ألا تسـتاء ممـا أقوله، ولكـن سـبق وأن رأيـت في كتـاب بـه خرائط مثل هـذه الطريقة لـري الأرض في حقبة ما قبـل الثورة وهو ما يحـدث الآن في مصر ". لقد كانت علاقاتنـا مع الرئيس طيبـة للغاية ولهذا فقد تحدثت بـدون تكلف واعتبرت أنه سـيفهم ما أقولـه بصورة صحيحة ولـن يتذمر من هذا الحديـث. " إذا أن هذه الطريقـة المسـتخدمة في مجال الزراعـة و ري الأراضي هي طريقـة قديمة للغاية منـذ عهد الملك رمسـيس الأول ومازال معمـولا بها حتى عهد عبـد الناصر الأول

أيضا، لقد مرت مئات السنين عليها، فلماذا الإصرار على استخدامها حتى الآن ؟ لان الزراعة هنا تعتمد على قطاعات صغيرة من الأرض . فالفرد لا يستطيع أن يستخدم الطلمبة أو ماكينة جمع القطن وآلة البذر . فمن الصعب نقل مثل تلك البالات إلى هناك، فلا يوجد مكان لتطويرها وصيانتها . ولهذا فإنني أرى أنكم تهيئون ظروفا غير متقدمة لإدارة المجال الزراعي . وإذا ما قمت بتوزيع تلك الأراضي على الفلاحين، فإنهم سيشعرون بالامتنان والشكر لقيامك بهذا العمل الخير والطيب . فهو عمل تقدمي بالفعل . ولكن بعد ذلك لن تستطيع إدخال التكنولوجيا بهذه الأراضي لان تلك القطاعات الصغيرة من الأراضي لن تصبح بحاجة إلى أي نوع من أنواع التكنولوجيا . فالفلاح سيصبح عبدًا لأرضه، لان كل مجهوده سيعتمد على المجهود اليدوي فحسب .وكذلك لن تستطيع التحكم في الأجور والرواتب التي سيحصل عليها الفلاحون وبالتالي ستفقد هذا الجانب وتعود مرة أخرى لتطبيق منظومة الضرائب. وفي ظل هذه المنظومة سيصبح العائد من قطاع الإنتاج الزراعي قليلا وكذلك هامش الربح الذي يعود للدولة . وإليك رأي في هذا الشأن : إذا ما وافقت على وجهة نظري أعدك بأن العائد سيكون أفضل بكثير عن ذي قبل . كل ماعليك هو تجهيز وفد حكومي رفيع المستوى سيذهب إلى أوزباكستان، طاجاكستان او تركمنستان بحيث نستطيع أن نستعرض أي مجال زراعي لكي يشاهد هذا الوفد على أرض الواقع ما يلي : زراعتنا، الماكينات والمعدات المستخدمة، أماكن توزيع المياه .... إلخ. وقد قمنا بذلك على أعلى مستوى، ونظرًا لوجود قيادات حكيمة هناك، فإن المجال الزراعي يتم إدارته على نحو فعال . لقد كنتُ أجاهد مع نفسي طويلا – هل أفصح لك عن رأي أم لا، ولكني في النهاية أفصحت بما يدور في خلدي . والأمر يرجع إليك إذا ما استعنت برأي وإذا لم يصلني رد منك فاعتبر وكأنك لم تسمع أي شيء مما قلته لك . فلن يفرض عليك أي شيء» .

ولكنه كان ينصت إلى ما أقوله بكل اهتمام وقال لي : «أعتقد أن هذه الطريقة لا تناسبنا. أولا : ليس لدينا الكوادر المطلوبة إلى جانب وجود الفساد.

فهذا أمر مستحيل . فمن الصعب إحكام السيطرة والرقابة وبالتالي سيصبح القطاع الزراعي من القطاعات الخاسرة وليست المربحة». قلتُ له : «هذا شأنك أنت، لقد استعرضت وجهة نظري والأمر إليك . فأنت الأكثر دراية بطبيعة شعبك جيدا وكذلك بالقطاع الزراعي لديكم ؛ولهذا مهما كان قرارك، فالأمر لا يعنيني في شيء . إنني أثق فيك وأنت أكثر من يعلم ما هو النافع والضار بالنسبة لكم . لقد تحدثت بشأن عدم وجود كوادر لديكم إلى جانب وجود الفساد . من الواضح إذن أن لديكم جرائم سرقة . و نحن أيضا كان لدينا مثل تلك الجرائم ولهذا لابد من الرقابة . إذا ما كان هناك إمكانية لكي يربح الأفراد مزيد من الدخول المنهوبة، سيزيد عدد اللصوص بالطبع . وفي حالة فرض الرقابة تحت إدارتك المباشرة، سيعود بالنفع على شعبك وميزانية دولتك، وسيكون ذلك بمثابة بوابة نقدية ستجلب لك الأموال وتحصل على ملايين من الروبلات» ولكن مع فارق العملة، فهم يتعاملون بالجنيه .

«وإذا لم يكن لديك الكوادر المناسبة، فمن الممكن اختيار ضباط مناسبين من الجيش، وإرسالهم للاتحاد السوفيتي وسنقوم بتدريبهم على ذلك. وسيعملون هناك طوال فترة بناء السد العالي . وفي هذا الوقت ستكون في وضع الاستعداد لاستقبال كمية كبيرة من المياه لاستصلاح مساحات كبيرة من الأراضي وسيصبح لديكم الكوادر المدربة التي تلقت النظريات الاقتصادية وحصلت على التدريب اللازم وقادرة على العمل بنفسها . ويمكن كذلك إرسال العمال وتدريبهم على استخدام الجرارات وماكينات المبذرة للقطن، وماكينات قطف وجني والقطن والأعمال الأخرى . نستطيع أن نقدم لكم الحقول لدينا لكي تستطيعوا تدريب الأفراد عليها . وهذا أمر سيأتي مع الوقت والخبرة. من الواضح انه سيصبح لديكم خبرة قوية في المجال الزراعي فيما بعد مثلما الحال لدى الأوزبيك. في الحقيقة، قبل الثورة لم يكن هناك اختلاف كبير بين الأوزبيك والفلاحين لديكم، كانوا يحصلون على الماء عن طريق السواقي التي يديرها الجاموس ونفس تلك الطريقة كان يستخدمها الطاجيك والكازاخ للحصول على الماء . وعندما توصلنا إلى بناء

المزارع السـوفيتيـة الكبرى، أصبح هناك تنظيم جيـد للعمل، وحقول جديدة ووسائل أخرى للري .

كنـا في الماضي نقوم بتسـويـة وتمهيد الأراضي، وأنشـأنا القنـوات المائيـة ولكن المشـكلـة في وجود إهدار كبير في المياه . وكان من الضروري العمل على إصلاح ذلـك النظام لأن في كل فصل من فصول العام كان يتم اجتراف القنوات بالردم من الأرض».

يجدر بي الإشـارة إلى أنني عندما كنت في زيارة لفرنسـا، نصحني الرئيس الفرنسـي د يجول بزيارة إحدى المزارع . لا أتذكر اسـم تلك المحافظة التي ذهبت إليها ولكني أتذكر أنها كانت واقعة على الحدود مع إسبانيا . ولقد أدهشني نظام الري لديهم. حيث أنهم أقاموا مواسـير من الحديد والإسمنت لتوصيل المياه، الأمر الذي يحول دون إهدار الماء . وهذا النظام يقـوم بتسـهيل عمليـة توزيع المياه وكل مـا هو مطلـوب هو تقديـم درجات الميل والا نحدارات المناسـبة وحسـاب كمية المياه المطلوبة وتوقيت احتياجها . ونظرا لإعجابي بهذا النظام بشـكل قوي، فقد قمنا على الفور بإرسـال مهندسـينا إلى هناك واسـتفادوا من طريقـة الفرنسيين اللطيفة واكتسبوا منهم الخبرة . و نحن الآن نستخدم هذه الطريقـة بشـكل واسـع، أقول :" هذا نظـام فعال للغايـة، ويمكـن إدخالـه وتطبيقـه بسهولة . بإمكانك رؤية كل هذا إذا وافقت على دعوة المتخصصين والخبراء لديك ألينا . ويمكنك كذلك الاطلاع على كتب في مجال المحاسبة للتأكد مـن كيفيـة تطبيق هذا النظـام على أرض الواقع ومعرفـة مـا مدى ملائمـة هذا النظـام لكـم. وإذا ما كـان مناسـبا سـتقوم بتطبيقـه وإن لم يكـن مناسـبا فكأن شـيئا لم يكـن . ولكنـى أتعجب، إذا ما كـان هذا النظام مناسـباً لنا، فكيف لا يكـون مناسب للعرب إذن؟ لا يمكنني أن أتجرأ على نصيحتك بما لا يعـود عليكم بالنفع . فإنني من أنصـار هذا الفكـر، فهو ليس من اختراعي . بـل إن خطـط التعاون وإنشـاء المزارع السـوفيتيـة هي من ابتـكار لينين وقد أثبتـت نجاحها بالفعل. حيث تم خلق جو من التعـاون بين الفلاحين على أسـاس

حكيم مع اختيار الكوادر الجيدة . وعلى قدر ما لدينا من مزارع حكومية خاسرة ومنهوبة، بقدر ما لدينا مزارع جماعية تالفة ومبددة ! كم من إهدار تم نتيجة لسياسة غير حكيمة من جراء العمل التعاوني، غير أن هذه مسألة أخرى تعود لتحليل الأخطاء والعيوب التي تم ارتكابها في نظام التعاونيات ولا شأن لكم به . أنتم الآن تختارون أفضل ما توصل إليه الشعب السوفيتي في إدارة خطة التعاونيات التي وضعها «لينين» لاحظت أنه بدأ ينصت لي باهتمام أكثر ويطرح المزيد من الأسئلة .

وصلنا إلى مقر رئاستي، وافترقنا وقال قبل الانصراف إنه سيأتي إلى في وقت ما لكي نذهب إلى هناك . «سيكون هناك قيادة الدولة المصرية ونريد إجراء مباحثات معكم»، «تفضل، سأتناول طعام الغذاء وسأكون في انتظارك» .

لابد من الإشارة إلى أن زيارتي لمصر كانت جيدة، لأن المصريين لا يشربون الكحوليات لأنهم مسلمون ودينهم يحظر عليهم شرب الخمور، وأنا أعلم بذلك . ولكن لا يلتزم جميع المصريين بوصايا رسولهم . فالمصريون يتناولون عصائر الفاكهة بشكل أساسي في احتفالاتهم ومآدب الغذاء بمنازلهم. لديهم أنواع كثيرة من العصائر المتنوعة الجيدة التي تروي الظمأ. فهي المنقذ الوحيد من حرارة وقيظ الجو لديهم . وهنا أستطيع أن أوجه كلمة شكر وامتنان لرسولهم لأنه حذر من تناول المشروبات الكحولية.

تناولت طعام الغذاء في الوقت المحدد ، وأنا لدي نظام معقد اعتدتُ عليه لسنوات طويلة : عندما أتناول طعام الغذاء بمفردي، فهذا يستغرق من الوقت ما بين ١٥ـ٢٠ دقيقة، ولا أتناول المشروبات الكحولية أثناء الغذاء ولذلك فقد انتهيت من الغذاء سريعا واستعددت للقاء .

أخبروني بأن الرئيس قد وصل، خرجتُ ووصل معه عامر، كنتُ اشعر بالراحة . لأن المباحثات مع الرئيس وعامر دائما ما كانت جيدة . قال لي الرئيس : " أنا و عامر شخص واحد، أي ما ستقوله لي يمكنك أن تقوله لعامر كذلك.



نحـن أصدقاء مقربـين ". وقد رأيتُ ذلك بالفعل . فقـد كـانوا أصدقاء مقربين، كانـوا يعيشـون بالقـرب من بعـض، حتـى إن عائلاتهـم كانوا يعيشـون وكأنهم أسرة واحدة . ولهذا فقد كنتُ سعيدًا أن صديقين مثل هؤلاء يعتبروا شـخصيات بارزة في العمل الجديد لإعادة بناء وهيكلة السياسـة والاقتصاد المصري .

ركبنا داخل السـيارة في طريقنا إلى اسـتراحة عبد الناصـر، وفي الطريق ابتسـم لي عبد الناصر وقال لي : «هل تعرف أيهـا الرفيق العجوز؟، لقد فكرتُ في حديثنـا سـويا وأبلغت عامر به وتبادلنـا الرأي ولابد أن أقـول لك أنك قدمت لنـا اقتراحا مغريـا جدا . وأرى أنه سـيعود بالنفـع علينا . فإذا مـا كـان مجديا بالنسـبة لكم فمن الطبع أن يكون مجديا بالنسـبة لنا أيضا «. وهنا تدخل عامـر في الحـوار قائلا : « ما قالـه لي الرئيس هـو أمر مقبول بالنسبة لنا، وأرى أنـه من الضروري من خلال تلك الطريقـة العمل على تنظيم الزراعة . فهذه هي الطريقـة الوحيدة المتقدمـة» . قلتُ : «إذا ما رأيت أنهـا طريقة متقدمة بالفعل وستعود بالنفع عليكم، فهذا سيكون من دواعي سروري . وسأشعر بالرضاء المعنوي لأنني استطعت تعويض نفقات زيارتي لكم من خلال إقناعكم بهذه الفكـرة الجيدة . فهذه مسـألة تاريخية . عليكم الآن بإعـادة بناء الفلاحين الذيـن يمتلكـون الأراضي ويزرعـون بالطريقـة البدائية . ودعـم تلك المزارع وتوحيدهـا يعـني إدارة نظام التعاونيـات . وأعلم أن الأمر يحتـاج لذلك النظام. وعندما تقيمون مزارع حكومية في الأراضي الجديدة سـتصبح نموذجًا جيدًا وهكذا ستصل إلى مرحلة إعادة بناء المزارع .

ولكني لا أطرح هذا الموضوع الآن لأنه خاص بالتعاونيات ويصحبه الكثير من المشـاكل . بالطبع سـتواجهكم الكثير من المشـاكل بصورة أكبر من تلـك الـتي واجهتنا عند تطبيق هـذا النظام . ولهذا ليس مـن الحكمة الآن إقرار نظـام المعالجة في الأراضي الجديدة التي سـتحصلون عليها وتكرار ما تراكم لدينـا منـذ وقت طويـل . فأنتم تعاقبون أنفسـكم وتحرمونهـا فرصة امتلاك احتياطـي كبير من رأس المال الذي يمكن توزيعه لصالح الدولة كلها سـواء في مجال الصناعة، الزراعة . سيصبح لديكم بنك للإقراض».

كنتُ سعيدًا لرؤيتهم مدى صواب وصحة توصياتي وقالوا إنهم سيفكرون فيها ويعملون مثلنا . لا أتذكر الآن تحديدا تلك الموضوعات التي طرحت للنقاش في هذا الاجتماع لدى الرئيس مع القيادة الرئيسية بالإسكندرية . واذكر أن عبـد الناصر قـد بدأ الحديث عن ذلك الحـوار الذي أجريته معـه ومع عامر واخذ يبرهن على مدى صواب تلك الفكرة وأنها ستقدم مساعدة اقتصادية كبيرة لمصر في حال تطبيقها، والأهم من ذلك أنها سـتفتح الباب أمام الإدارة الصحيحة لتنمية وتطوير القطاع الزراعي . وبذلك ستحصل مصر على إمكانية تنظيم تصنيع وإنتاج السلع والمنتجات الغذائية على أعلى مستوى باستخدام الوسائل التقنية الحديثة . فلديهم الأسمدة المعدنية وبمقدورهم إنشـاء المصانع الخاصة بإنتاج تلك الأسمدة من خلال إدارة اقتصاد على أعلى مستوى .

أرى أن هذا لا يعد تكرارًا لكلماتي، التي اثبت من خلالها صحة هذا الاتجاه في اسـتغلال الأراضي الجديدة . لقد شعرت من خلال حديث عبد الناصر بمدى قناعتـه بأن هذه هـي الطريقة الوحيـدة المتقدمـة؛ ولذلك لابد من اسـتخدامها وتطبيقهـا في تلك اللحظة التي أجرينا فيها المباحثات واللقاءات، لأن بناء السـد العالي يسـتغرق عدة سـنوات . كما أن إجراء الأعمال التمهيدية لاستصلاح التربة وأعمال الري يستغرق هو الآخر الكثير من السنوات .

وأخذوا يتناقشـون حول ذلك الشـخص الذي سيتم إرسـاله على رأس اللجنة أو الوفد الذي سـيتم إرسـاله إلى الاتحاد السـوفيتي او بالأدق إلى أوزباكسـتان

لدراسة تجربة وخبرة الأوزبيك ونقلها إلى الأراضي الجديدة التي ستظهر بعد بناء السد العالي .

ووقع الاختيار على رئيس الوزراء، الذي سيترأس هذا الوفد ، ولكني لا أتذكر اسمه الآن . ولكنه شخصية جيدة قد ترك انطباعا جيدا ويُعد كذلك الصديق المقرب لدى الرئيس عبد الناصر، فهو شخصية حكيمة وتضمن الوفد أفراد آخرين ولكني لا أتذكرهم الآن . وسبب اختيار رئيس الوزراء لهذه المهمة لأنه شخصية موثوق فيها ويُعتمد عليه، ولم تكن تلك الأسباب الوحيدة وراء اختياره، بل الأهم أنه كان قادرًا على اتخاذ القرارات . والمقصود هنا بمسألة اتخاذ القرارات هو اتخاذ قرار تمهيدي ؛ لأن الحكومة هي من تتخذ القرار النهائي. وكان من الضروري وأن يتضمن هذا الوفد مهندسين زراعيين، خبراء ماليين، محاسبين لدراسة الجانب الاقتصادي لتلك المزارع .

وعلى أية حال، فقد كان من الضروري كذلك تقدير كافة الظروف بحيث لا يتم اتخاذ القرار بشكل بديهي وإنما لابد وأن يكون قرارًا مدروسًا على أساس تقييم اقتصادي وفني مدروس بشكل جيد. وقد انتهت مناقشة الموضوع عند هذا الحد .

كنتُ قد اعتدتُ على سماع أحاديثهم ومناقشاتهم الجدلية، ولكني لم أسمع أي شيء من جانب باقي المصريين المشاركين في هذا الاجتماع، الأمر الذي يثير حالة من الريبة والشك . أعتقد أن يكون لدى أحدهم شكوك تساوره من الداخل، ولكنه في النهاية لم يعبر عنها . ولماذا هذا الاعتقاد ؟ لأن هذا يُعد تحطيم لإرادة مصر . فقد تراكم لديها خبرات في مجال الزراعة على مدار آلاف السنوات ومن ثم لابد من الوضع في الاعتبار تلك الآمال التي يعقدها الشعب المصري على بناء السد العالي والأراضي الصالحة للزراعة التي سيخلقها هذا السد، فهذا يعد مصدر من مصادر المعيشة بالإضافة إلى ذلك فقد قاموا بأنفسهم بعمل الدعاية اللازمة لهذا المشروع ؛ ولذلك فقد تم إنشاء وزارة خاصة للاهتمام بكل ما يتعلق بهذا المشروع . وشارك عدد كبير من الأفراد النشطاء في وضع

الخطط الخاصة بالمشروع، وهؤلاء الأفراد من المهندسين المعماريين، مهندسي الزراعة، رجال الاقتصاد وغيرهم ممن أسهموا في وضع دراسة هذا المشروع. وبالتالي فلم يكن الأمر سهلا بتلك الطريقة للتحول إلى ١٨٠درجة من التوزيع الفردي للأراضي الزراعية إلى فكرة التعميم.ولكنه لا يعتبر تعميما لأن تلك الأراضي هي أراضي حكومية وتابعة للدولة ولكنها أصبحت تقف على طريق إنشاء مشروعات حكومية كبيرة للإنتاج الزراعي على مستوى المعدات والماكينات. وهنا لن يعمل أصحاب الأراضي، بل العمال المأجورون وهذا يعد تحول كبير. لأنه سمح إلى حد كبير بإمكانية فهم النظام المعمول به في الاتحاد السوفيتي. ولكنني أعتقد انه لم يكن جميع الحاضرين بالقيادة على استعداد لاتخاذ تلك الخطوة. ومن هنا يأتي مشروعية تلك الشكوك وكان لابد من الانتظار لرؤية كيفية التصرف حيالها. وهنا كان لابد من إظهار التفهم والصبر وأن نوضح للشعب العائد الاقتصادي، وقد قدمت لهم ذلك العائد الاقتصادي في البداية. غير أنه قد استتبع وراءه تحطيم سياسي في إدارة الاقتصاد. وقد انتهى الحديث عند هذا الحد. وبعد تقاعدي على المعاش علمت من الصحف أن هذا الوفد قد ذهب بالفعل إلى الاتحاد السوفيتي برئاسة رئيس الحكومة المصرية. وقد سعدتُ كثيرا لرؤية نصيحتي وهي تتحقق على أرض الواقع حتى بعد بلوغي سن المعاش. وهذا يدل على أن عبد الناصر قد اقتنع بصحة وأهمية نصيحتي وجدوى إدارة مثل هذا الاقتصاد.

لا أستطيع الآن الحديث عن كيفية تطور المجال الزراعي بمصر بعد بناء السد العالي وظهور أراضٍ جديدة صالحة للزراعة. بل ومن الصعب مجرد التصور لحجم ذلك التطور من خلال ما يصل إلينا عبر الصحف. وكل ما أستطيع تأكيده هو أنه نتيجة لبناء سد أسوان والانتهاء منه، سيصبح لدى العرب إمكانية لزيادة نسبة الأراضي الجديدة إلى الثلث هذا إلى جانب الأراضي القديمة. ولكني لا أعلم الآن ما هي الآلية التي سيعتمدون عليها في استصلاح تلك الأراضي. ولكنهم إذا ما أعادوا النظر فيه، فإنني سأشعر بمزيد من الحسرة والأسف لأن هذا سيكون بمثابة خطوة إلى الوراء ليس فقط على

صعيد النظام الاقتصادي، وإنما سيحصلون على أجور قليلة وهذا سيكون خطوة إلى الوراء على الصعيد السياسي لأنه سيتم توسيع القطاع الخاص وفقًا لإدارة الأراضي الزراعية. وهذا الأمر سيخلف الكثير من المشاكل بالمستقبل عند الانتقال من الأسس الاشتراكية لإدارة المجال الزراعي وليس لدى أدني شك في ذلك. وقد أشار لينين إلى هذا الطريق. وهو شخص ذو ثقة ليس فقط لدى الاتحاد السوفيتي، وإنما هو شخص سديد الرأي لدى دول وشعوب العالم أجمع.

عندما تم قبول التوصيات التي اقترحتها، كنتُ قد تبادلت الرأي حول هذا الموضوع مع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والذين انضموا إلى الوفد، وكان من بينهم أندريه اندريفيتش جروميكو وجريتشكو وآخرون لا يحضرني أسماؤهم الآن. فقد تبادلنا النصائح مع الجميع وتولدت لدينا فكرة تفيد بأنه الآن هو الوقت المناسب والجيد لإنشاء تلك المزارع على مساحة عدد من الهكتارات وتزويدها بالتقنية الحديثة. وضرورة إعطاء الخبرة الفنية والزراعية في هذا المجال، لكي تصبح تلك المزارع نموذجا يحتذي به في ظل الظروف التي تمر بها مصر. ولا تسعفني الذاكرة الآن حول عدد تلك الهكتارات التي استخدمت لإنشاء المزارع، غير أن هذا الاقتراح يعد بمثابة طاقة الاتحاد السوفيتي، هذا إلى جانب قيامه بمنح المساعدة الاقتصادية التي كان من المفترض وأن يقدمها على حسابه، تلك المساعدة الممثلة في إعطاء عدد من الجرارات، المعدات والأجهزة الزراعية الخاصة بمعالجة وتمهيد التربة وجني المحاصيل.

قمنا بوضع تلك الاقتراحات وإرسالها إلى موسكو مع توضيح مدى أهميتها وطلبنا ضرورة طرحها للمناقشة في موسكو، إذا ما أدركوا صحة وجدوى تلك الاقتراحات، سيتم اتخاذ القرار على الفور وإعلانه للقيادة المصرية.

والسؤال الذي أطرحه الآن، هو لماذا جاءت تلك الاقتراحات؟ - لأننا سبق وإن قمنا بتطبيق مثل تلك المزرعة السوفيتية النموذجية لدى الصين، وقمنا بإنشاء مزرعة كبيرة أيضًا لدى الهند على حسابنا الخاص. وقد لعبت المزرعة

السوفيتية النموذجية دورًا مهماً في الهند في عملية الدعاية والترويج للمزرعة السوفيتية إلى جانب الترويج لمعداتنا و وأدواتنا الفنية في الإنتاج الزراعي والمنظومة الزراعية السوفيتية . وقامت الهند بعد ذلك بتوسيع تلك المزرعة على حسابهم الخاص وتدريب الكوادر لإدارة الحقل الزراعي بطريقتهم الخاصة وليس وفقا لنظامنا. لا أستطيع القول بأن ذلك كان بمثابة ركيزة اشتراكية في ظل ظروف رأسمالية .

هذا يعد مشروع رأسمالي لأن الموارد الأساسية للإنتاج توجد في أيدي البعض من أصحاب رأس المال والمصارف المالية في أيديهم أيضا . ولكن وعلى أية حال فقد كان هذه التوجه متقدم في المجال الزراعي . حيث كان لابد من مشاهدة طريقة استصلاح الأراضي الزراعية في كل من مصر والهند : فالفلاح يقوم بحرث وفلاحة الأرض بمحراثه الخشبي من أجل زراعة الأرز ويغوص بقدميه في هذا الطين الوحل . فهذا أمر فظيع للغاية، ومثل هذه المشاهد لا يمكن رؤيتها سوى في الصور فقط . ولكننا كنا نعمل بمثل هذه الطريقة قبل الثورة، يمكن مقارنة ذلك مع الجيل القديم من أفرادنا .

جاءنا الرد سريعا بالموافقة، واستطعنا إعلام القيادة المصرية بالرد . وانفرجت أسارير عبد الناصر بعد سماعه هذا الرد ويمكنني القول بأنني رأيت ابتسامته الجذابة على وجهه وتلألأت عيناه من الفرحة، وقد كنا سعداء لإبلاغه بهذا الخبر بأنفسنا . ولكن لا أعلم كيف تطورت الأمور بعد ذلك لأنني كنتُ قد أنهيت العمل بمنصبي ؛ولذلك لم يحالفني الحظ في متابعة ومعرفة سير الأحداث فيما بعد حيث لم تكن الفرص متاحة لدي .

قائمة بأسماء الشخصيات الواردة في الكتاب
معلومات مختصرة

* **آدجوبي اليكس ايفانوفيتش** * : (١٩٢٤-١٩٩٣) – صحفي سوفيتي ، رئيس تحرير صحيفة «كاموسمولسكايا برافدا» في الفترة من ١٩٥٧-١٩٥٩، وكان رئيسا لتحرير صحيفة « ازفستيا « في الفترة من ١٩٥٩-١٩٦٤ ، ويعد صهرا لـ ن.س. خروتشوف .

***خالد العظيم** * : (١٩٠٣-١٩٦٥) – رجل دولة سوري ، تولي منصب رئيس وزراء سوريا في الأعوام التالية : ١٩٤١ ، ١٩٤٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، (١٩٦٢-١٩٦٣) .

عبد الحكيم عامر : (١٩١٩-١٩٦٧) – رجل دولة مصري وقائد عسكري . تولى رئاسة وزارة الدفاع في الفترة من (١٩٥٣-١٩٦٧، وأصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة ، ثم نائبا لرئيس الجمهورية في عام ١٩٥٦ ، حصل على لقب المشير في عام ١٩٥٨ .

***عبد السلام عارف** * (١٩٢١-١٩٦٦) – رجل دولة وقائد عسكري عراقي ، تولى رئاسة العراق في الفترة من (١٩٦٣-١٩٦٦)، ولقي مصرعه إثر حادث سقوط طائرة .

***خالد بكداش** * : (١٩١٢-١٩٩٥) – سياسي سوري ، تولى قيادة الحزب الشيوعي السوري في الفترة من (١٩٣٧-١٩٩٥).

***أحمد بن بلة** * : (١٩١٨-٢٠١٢) : رجل دولة جزائري ، أول رئيس للجزائر بعد استقلالها في الفترة من (١٩٦٣-١٩٦٥).

***ديفيد بن جوريون** * : (١٨٨٦-١٩٧٣) – رجل دولة إسرائيلي ، تولى رئاسة وزراء إسرائيل في الفترة من (١٩٤٨-١٩٥٣) ، (١٩٥٥-١٩٦٣).

***بولجانين نيكولاي اليكسندروفيتش** * : (١٨٩٥-١٩٧٥) – رجل دولة سوفيتي ، تولى رئاسة وزارة الدفاع السوفيتية في الفترة من (١٩٥٣-١٩٥٥) ، ثم تولى رئاسة مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي في الفترة من (١٩٥٥-١٩٥٨).

* **الحبيب بورقيبه** * : (١٩٠٣-٢٠٠٠) – رجل دولة تونسي . تولى رئاسة البلاد في الفترة من (١٩٥٧-١٩٨٧).

* **فاروشيلوف ، كليمنت ايفريموفيتش** *: (١٨٨١-١٩٦٩) – رجل دولة وقائد عسكري سوفيتي وشخصية حزبية . تولى رئاسة المجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي في الفترة من (١٩٥٣-١٩٦٠).

* **محمود مراد غالب** * : (١٩٢٢-٢٠٠٧) – دبلوماسي مصري ، تولى منصب سفير الجمهورية العربية المتحدة في الاتحاد السوفيتي في الفترة من (١٩٦١-١٩٧١).

***هرتر كريستيان ارتشيبالد** * : (١٨٩٥-١٩٦٦) – دبلوماسي أمريكي ،ترأس وزارة الخارجية الأمريكية في الفترة من (١٩٥٩-١٩٦١).

* **جريتشكو أندريه أنطونوفيتش** * : (١٩٠٣-١٩٧٦) – رجل دولة وقائد عسكري سوفيتي . شغل منصب النائب الأول لوزير الدفاع السوفيتي في الفترة من (١٩٦٠-١٩٦٧)، ثم وزيرا للدفاع في الفترة من (١٩٦٧-١٩٧٦).

* **جروميكو أندريه أندريفيتش** * : (١٩٠٩-١٩٨٩) – رجل دولة سوفيتي ، ودبلوماسي . شغل منصب النائب الأول لوزير خارجية الاتحاد السوفيتي في الفترة من (١٩٥٣-١٩٥٧) ، ثم وزيرا للخارجية في الفترة من (١٩٥٧-١٩٨٥).

* **جون فوستر دالاس** * : (١٨٨٨-١٩٥٩) دبلوماسي ورجل دولة أمريكي ، تولى رئاسة الخارجية الأمريكية في الفترة من (١٩٥٢-١٩٥٩).

* **اليكسندر دوجلاس هيوم** * : (١٩٠٣-١٩٩٥) – دبلوماسي بريطاني ، شغل منصب وزير خارجية بريطانيا في الفترة من (١٩٦٠-١٩٦٣).

* **أنطوني إيدن** *: (١٨٩٧ – ١٩٧٧) – دبلوماسي ورجل دولة بريطاني ، شغل منصب نائب رئيس وزراء بريطانيا في الفترة من (١٩٥١-١٩٥٥) ، ثم وزيرا للخارجية البريطانية في الفترة من (١٩٥٥-١٩٥٧) ثم رئيسا للوزراء .

* **عبد الكريم قاسـم** * : (١٩١٤-١٩٦٣) – رجل دولة عراقي ، شـغل منصب رئيس وزراء العراق في الفترة من (١٩٥٨-١٩٦٣) ، تم اغتياله أثناء الانقلاب العسـكري الذي وقع في التاسع من فبراير١٩٦٣ .

***جـون فيتسـجرالد كينـدي** * : (١٩١٧-١٩٦٣) – رجـل دولـة أمريكـي ، تولـى رئاسـة الولايـات المتحدة الأمريكية في الفتـرة (١٩٦١-١٩٦٣) ، تم اغتياله في ٢٢ نوفمبر١٩٦٣ في ولاية دالاس الأمريكية .

* **فاديم اليكسـيفيتش كيربيتشـينكو*** : (١٩٢٢-٢٠٠٥) – رجل مخابرات سوفيتي، حصـل علـى لقب فريـق ، تولـى منصب نائـب وكيل جهـاز المخابرات السـوفيتي (ك.جي.بي) في مصر .

* **كيسـيلييف يفجيني دميتريفيتش** * : (١٩٠٨-١٩٦٣) – دبلوماسـي سوفيتي ، شغل منصب سـفير الاتحاد السـوفيتي بمصر في الفترة من(١٩٥٦-١٩٥٩) ، ثم سـفيرا للاتحاد السوفيتي في الجمهورية العربية المتحدة منذ عام ١٩٥٨ .

* **كوليجايـف أندريـه لوكيتـش** * : (١٨٨٧-١٩٣٧) – أحد قادة الأحـزاب الثورية الاشـتراكية ، تولى رئاسـة اللجنة الشـعبية للأعمال الزراعية في الفترة من ١٩٠٢-١٩١٧ . انسـحب من الحكومة السـوفيتية بعد إبرام معاهدة برست ليتوفسك للسلام .(معاهدة برسـت ليتوفسـك معاهدة سـلام وقعت في ٣ مارس ١٩١٨، بوساطة الجنوب إفريقي أندريك فولر، في برسـت ليتوفسـك بين جمهورية روسـيا السوفيتية الاتحادية الاشـتراكية ودول المركز، على رأسـها ألمانيا، لتُخرج روسـيا من الحرب العالمية الأولى. ويكيبيديا – المترجمة) .

* **كوسـيجين اليكسـي نيكولايفيتيش** * : (١٩٠٤-١٩٨٠) – رجل دولة وشـخصية حزبية سوفيتية . شغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء منذ عام ١٩٥٧ ، ثم النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء السوفيتي من عام ١٩٦٠ ، ثم رئيسا لمجلس الوزراء في الفترة من (١٩٦٤-١٩٨٠).

***شـكري القوتلي** * : (١٨٩١-١٩٦٧) – رجل دولة سوري ، تولى رئاسة سوريا في الفترة من (١٩٤٣- ١٩٤٩) ثم في الفترة من (١٩٥٥-١٩٥٨).

* **محمد عواد الكوني** * : (١٩٠٦-١٩٧٩)- دبلوماسي مصري ، شغل منصب سفير مصر في الاتحاد السوفيتي في الفترة من (١٩٥٥-١٩٦١) ، وسفيرا للجمهورية العربية المتحدة بالاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٥٨ .

* **سيلوين لويد** * : (١٩٠٤-١٩٧٨) – دبلوماسي بريطاني ، شغل منصب وزير خارجية بريطانيا في الفترة من (١٩٥٥-١٩٦٠) .

* **نوفيكوف، إجناتي تروفيموفيتش** * رجل دولة سوفيتي ، تولى منصب وزير بناء المحطات الكهربائية في الفترة من (١٩٥٨-١٩٦٢ ٩ ، ثم نائب مجلس الوزراء في الفترة من (١٩٦٢-١٩٨٣).

* **محمد رضا بهلوي** * (١٩١٩-١٩٨٠) – شاه إيران في الفترة من (١٩٤١-١٩٧٩).

* **شرف رشيدوفيتش رشيدوف** * (١٩١٧-١٩٨٣) – رجل دولة وحزبي سوفيتي ، تولى رئاسة المجلس الأعلى لأوزباكستان السوفيتية في الفترة من (١٩٥٠- ١٩٥٩).

* **بول رينو** * (١٨٧٨-١٩٦٦) – سياسي فرنسي ورجل دولة ، تولى رئاسة وزراء فرنسا في الفترة من (١٩٤٠/٣/٢١ – ١٩٤٠/٦/١٦).

* **على صبري** * - رجل دولة مصري ، شغل منصب مدير مكتب الرئيس في الفترة من (١٩٥٨-١٩٥٩) ، ثم وزيرا لشئون الرئاسة في الفترة من (١٩٦٠-١٩٦٢) ، ترأس حكومة الجمهورية العربية المتحدة في الفترة من (١٩٦٢-١٩٦٥) ، ثم نائب لرئيس الجمهورية العربية المتحدة في الفترة من (١٩٦٥-١٩٧٠) .

* **أنور السادات** * رجل دولة مصري . تولى منصب رئيس مجلس الشعب في الفترة من (١٩٦٠-١٩٦٨) ، نائب لرئيس البلاد في الفترة من (١٩٦٤-١٩٦٧)، (١٩٩- ١٩٧٠) ثم رئيسا للبلاد في الفترة من (١٩٧٠-١٩٨١).

* **نوري السيد** * (١٨٨٧ – ١٩٥٨) – رجل دولة عراقي . ظل يترأس حكومة العراق لثمانية مرات على التوالي في الفترة من (١٩٣٠-١٩٥٨) ، تم اغتياله في ١٩٥٨/٧/١٥ أثناء الثورة المعادية لنظام الحكم الملكي .

* **بافل اليكسيفيتش ساتيوكوف** * (١٩١١-١٩٧٦) – صحفي سوفيتي ، رئيس تحرير صحيفة « برافدا « في الفترة من (١٩٥٦-١٩٦٤).

* **سـعود بن عبد العزيز** * (١٩٠٢-١٩٦٩) – حكم السعودية في الفترة من (١٩٥٣-١٩٦٤).

* **ايفان اليكسـيفيتش سيروف** * (١٩٠٥-١٩٩٠) – أحد ضباط المخابرات السوفيتية . تولى رئاسـة جهاز « كي.جي.بي» في الفترة مـن (١٩٥٤-١٩٥٨) التابع لمجلس وزراء الاتحاد السوفيتي آنذاك ، وكان يحمل رتبة جنرال في الجيش .

* **سـوكارنو** * (١٩٠١-١٩٧٠) – رجل دولة اندونيسـي ، تولى رئاسـة اندونيسيا في الفترة من (١٩٤٥- ١٩٦٧) .

* **فيكتور ميخائيلوفيتش سوخادريف** * (١٩٣٢-٢٠١٤)، المترجم الشخصي لعدد من الشخصيات السوفيتية الحزبية مثل ن.س.خروتشوف و ل.إي.بريجنيف .

* **جوزيف بروز تيتو** * (١٨٩٢-١٩٨٠) – رجل دولة يوغسلافي ،تولى رئاسة البلاد في الفترة من (١٩٥٣-١٩٨٠).

* **أحمد سيكوتوري** * (١٩٢٢-١٩٨٤)، رجل دولة غيني ، أول من تولى رئاسة غينيا بعد استقلالها في الفترة من (١٩٥٨-١٩٨٤).

* **فاروق** * (١٩٢٠-١٩٦٥) – ملك مصر والسودان في الفترة من (١٩٣٦-١٩٥٢).

* **محمـود فـوزي** * (١٩٠٠-١٩٨١) – رجـل دولة مصري ، تولـى منصب وزير الخارجية في الفترة من (١٩٥٢- ١٩٦٧) .

* **ديمتري اندريفيتش فورمانوف** * (١٨٩١-١٩٢٦) – سياسـي وعسكري سوفيتي ، كاتب وناثر.

* **داج هامرشـيلد** * (١٩٠٥-١٩٦١) – رجل دولة سويسـري ، شغل منصب الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة في الفترة من (١٩٥٣-١٩٦١).

* **أكرم الحوراني** * (١٩١٢-١٩٩١) – سياسـي ورجل دولة سـوري ، شـغل منصب نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة في الفترة من (١٩٥٨-١٩٥٩).

* **خاتشاتوريان آرام اليتش** * (١٩٠٣ – ١٩٧٨) – موسيقار أرميني – سوفيتي ، قائد اوركسترا ، مُعلم ، فنان شعبي بالاتحاد السوفيتي .

* **محمد حسنين هيكل** * (١٩٢٣ – ٢٠١٦) – كاتب اجتماعي مصري . شغل منصب رئيـس تحرير واحدة من كبرى الصحف المصرية « صحيفة الأهرام « في الفترة من (١٩٥٧ – ١٩٧٤).

* **ديمتـــري تروفيموفيتـــش شـــبيلوف** * (١٩٠٥ – ١٩٩٥) – سياســي ورجل دولة ســوفيتي . شــغل منصب رئيس تحرير صحيفة « برافدا « في الفترة من (١٩٥٢ – ١٩٥٦) ، ثم وزيرا للخارجية بالاتحاد السوفيتي في الفترة من (١٩٥٦-١٩٥٧).

* **دوايــت ديفيد أيزنـهاور** * (١٨٩٠ – ١٩٦٩) – رجل دولة أمريكي ، أصبح رئيســا للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة من (١٩٥٣ – ١٩٦١).

SUMMARY

The book is devoted to the Soviet-Egyptian relations between 1958 and 1964. Development of these relations was determined by objective reasons and also by personal relations between Nikita Khruschev and Gamal Abdel Nasser, leaders of the Soviet Union and Egypt. The book includes documents and stories about meetings of two leaders in the Soviet Union, the United States and Egypt, exchange of letters between them, memories of Nikita Khruschev, abstracts on Egyptian-Soviet relations from the books by Mohamed Heikal who was the closed ally of Nasser.

المحتويات